كباري بنتن

جيمس باترسون

كباري لندن

جيمس باترسون

LONDON BRIDGES

JAMES PATTERSON

لقد عاد أليكس كروس

في مغامرته العاشرة والتي هي الأعنف على الاطلاق.

وسط الصحراء، وفي وضح النهار تقوم كتيبة من الجنود بإخلاء جميع قاطني مدينة صان رايز فالي في نيفادا، وبعدها بدقائق تنفجر قنبلة هائلة على ارتفاع عدة مئات من الأقدام مسببة خسائر فادحة في المنازل والسيارات والملاعب. لقد تبخرت المدينة في لمح البصر.

كما عاد وولف

كان أليكس كروس يقضي إجازته في سان فرانسيسكو مع صديقته «جاميلا هيوز». عندما تم استدعاؤه. ولقد أعلن المجرم العتيد الروسي المدعو وولف مسؤوليته عن الانفجار. إن وولف هو أعتى من واجه أليكس كروس من المجرمين، ومجرد وجوده حراً طليقاً يزعج كلاً من كروس ورؤسائه في مكتب المباحث الفيدرالية.

كما عاد ويزل

مجموعة من كبرى مدن العالم، بما فيها لندن وباريس ونيويورك مهددة بالتدمير الشامل. ولقد أثبت وولف قدرته على تنفيذ ذلك. لكن السؤال هو: هل يستطيع أحد إيقافه؟ كما كشف شريط المراقبة المأخوذ لموقع الحادث عن وجود أحد أخطر أعداء أليكس كروس، وهو القاتل القاسي المدعو ويزل ومجرد التفكير في اتحاد مثل هذين المجرمين معاً يجمد الدم في عروق أليكس كروس.

الى أي مدى تشعر بالذعر؟

أمام قادة العالم أربعة أيام فقط لا غير حتى يمنعوا تلك الكارثة المحدقة.

خلال ساعات يشترك كروس في مطاردة فائقة الخطورة. وبمعاونة كل من قوات شرطة سكوتلانديارد والبوليس الدولي يبدأ أليكس عمله بتتبع مجموعة من الأدلة الزائفة ومقابلة العديد من منتحلي الشخصيات والعملاء الأجانب قبل أن يقترب من حل تلك الجرائم. وبعد مطاردة عبر المنحنيات الحادة على شواطئ الريفيبرا في أروع ما كتب جيمس باترسون يواجه أليكس كروس هوية وولف. وهو ما قد يمثل تهديداً لحياة كروس نفسه.

إن هذه القصة تعج بالمغامرات الشيقة التي تحبس الأنفاس والتي تؤكد مجدداً لماذا يعد أليكس كروس أحد أهم الشخصيات وأبطال قصص المغامرات. (نقلاً عن جريدة دالاس مورنينج نيوز).



جيمس باترسون

هو مؤلف ثمانية وعشرين كتاباً بما فيها عشرة من أفضل الروايات مبيعاً للبطل أليكس كروس. وهو يعيش في فلوريدا.

كباري لندن

جيمس باترسون

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

London Bridges

A NOVEL BY

James Patterson

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ليست مجرد مكتبة ...

تمهيد

عودة ويزل ،
ويا لها من مفاجأة لطيفة

الفصل ١

كان الكولونيل "جيفرى شافير" يحب حياته الجديدة فى مدينة " سالفادور " ثالث أكبر مدن البرازيل وأكثرها إثارة للاهتمام كما يقول البعض ، وبالتأكيد كانت هى أكثر المدن متعة .

كان قد استأجر فيلا بها ست حجرات نوم وتطل مباشرة على شاطئ جواراجوبا حيث يقضى معظم يومه فى شرب المرطبات وتناول المثلجات وأحياناً ما يلعب كرة المضرب فى النادى ، وفى الليل يقوم الكولونيل شافير وهو القاتل المعقد نفسياً والمعروف باسم ويزل أو ابن عرس بممارسة ألعابه وحيله القديمة ، حيث يقوم بصيد ضحاياه ـ من شوارع المدينة القديمة المظلمة الضيقة الملتوية . ولقد قتل أعداداً أكثر مما يتذكر فى البرازيل إلا أنه لا يبدو أن أحداً فى سالفادور يهتم بهذا أو حتى يلاحظه . فلم يحدث مطلقاً أن نُشر أى خبر بالصحف عن اختفاء الساقطات صغيرات السن . ربما يكون ما يقال عن الناس هنا صحيحاً ،

حيث يقال إنهم مشغولون طيلة الوقت بالاحتفال ، وإن لم يكونوا يحتفلون ، فهم مشغولون بالإعداد للاحتفال التالى .

بعد الثانية صباحاً بقليل كان ويزل عائداً إلى فيلته بصحبة إحدى البغايا وكانت فتاة صغيرة السن وجميلة ، تطلق على نفسها ماريا . كم كان وجهها جميلاً ، وكم كان جسدها فاتناً ، خاصة لفتاة صغيرة مثلها . فقد قالت له إن عمرها ثلاث عشرة سنة فقط .

أخذ ويزل أصبعاً من الموز من حديقته المليئة بالفاكهة . وفى هذا الوقت من العام كانت لديه تشكيلة خاصة من جوز الهند والجوافة والمانجو والبينا وهى نوع من السفرجل الهندى . وبينما كان يقتطف الثمرة الناضجة راوده شعور بأنه يوجد دوماً فى سلفادور شىء ناضج جاهز للقطف . إنها مثل الجنة . بل ربما تكون هى الجحيم بذاته وأنا شيطان آثم ، هكذا فكر فى نفسه وهو يقهقه ضاحكاً فى سره .

قال لها وهو يناولها إصبع الموز : " هذا لك يا ماريا ، أنا واثق أنه سيعجبك " .

ابتسمت الفتاة له ولاحظ ويزل عينيها ، ويالهما من عينين بنيتين جميلتين ، وكلها ملكى الآن ، عيناها ، شفتاها ، كل جسدها .

عندئذ لاحظ ويزل أن هناك قرداً برازيلياً صغير الحجم من نوع يدعى ميكو وهو يحاول دخول المنزل عبر النافذة المغطاة بالسلك فصاح فيه : " اخرج من هنا أيها اللص الوغد ، هيا ، ارحل " .

ثم بدت حركة سريعة عبر الشجيرات وبعدها لمح ثلاثة رجال وهم يهجمون عليه . رجال الشرطة ، كان متأكداً من ذلك ، ربما كانوا من أمريكا ، هل بينهم أليكس كروس ؟

سرعان ما كان رجال الشرطة فوقه ، وقد أحاطت به الأذرع والسيقان القوية . وقد ضرب على رأسه بعصا غليظة أو ربما ماسورة بندقية وهو ما جعله يفقد الوعى تماماً .

قال أحد الرجال : " لقد أمسكنا به ، لقد أمسكنا ويزل من المحاولة الأولى . لم يكن ذلك صعباً . أدخلوه إلى داخل المنزل " .

ثم نظر إلى الفتاة الصغيرة التى بدا عليها الخوف واضحاً وقال : " لقد أديت مهمة طيبة يا ماريا لقد قدتنا إليه . " ثم استدار مخاطباً أحد الرجال وهو يقول : " اقتلها " .

تردد صدى صوت طلقة واحدة فى الحديقة الأمامية ولا يبدو أن أحداً يلاحظ شيئاً أو يهتم بشىء فى سالفادور .

الفصل ٢

كان ويزل يشعر بالرغبة فى الموت الآن . فقد كان معلقاً من قدميه فى سقف حجرة نومه الرئيسية حيث كانت الغرفة مليئة بالمرايا فى كل مكان وكان يرى نفسه فى انعكاسات مختلفة على جدرانها .

كان يبدو كالميت بالفعل ، حيث كان عارياً وينزف بغزارة . كانت يداه مكبلتين بإحكام خلف ظهره وكان كاحلاه مربوطين معاً وكان الدم متجمعاً فى رأسه بسبب هذا الوضع .

وبجانبه كان جثمان الفتاة الصغيرة ماريا معلقاً وكان قد مضى على موتها بضع ساعات ، ربما ما يقارب اليوم ، هذا هو ما خمنه من رائحة جسدها الشنيعة ، كانت عيناها البنيتان موجهتين نحوه وكانتا تحدقان إليه بثبات .

كان زعيم الخاطفين رجلاً ذا لحية وممسكاً بكرة سوداء فى إحدى يديه قد اقترب منه حتى أصبح على بعد قدم واحد من وجه شافير . وكان يتحدث بهدوء وبهمس .

" كان ما نفعله مع السجناء أثناء عملى فى الجيش هو أننا ندعهم يجلسون بكل بساطة وهدوء ، ثم نسحب ألسنتهم ونثبتها بمسامير إلى الطاولة المقابلة لهم . هذا صحيح تماماً يا صديقى المخادع . أتعلم ماذا أيضاً ، كنا ننتزع الشعر ببساطة ... من فتحة الأنف .... الصدر .... المعدة .... العانة ..... والأمر يفوق بكثير مجرد الألم العادى ، ألا توافقنى ؟ آه ، وبينما كان يقول هذا كان ينتزع بعض الشعيرات من صدر شافير العارى " .

" لكن سأخبرك بأسوأ طرق التعذيب من وجهة نظرى . أسوأ مما كنت تنوى فعله مع ماريا المسكينة . فبكل بساطة كنا نمسك بالسجين من كتفيه ثم نهزه بعنف حتى يتشنج جسده . فما يحدث هو أن عقله يهتز ويتزلزل حرفياً ويشعر السجين بأن رأسه سينخلع ، وأن جسده تجتاحه النيران ، وصدقنى أنا لا أبالغ " .

ثم استطرد قائلاً : " هيا ، دعنى أريك ما أعنى " .

استمر الهز العنيف القوى الموجه لـ " شافير " وهو معلق من قدميه قرابة الساعة .

وأخيراً أنزلوه فصرخ قائلاً : " من أنتم ؟ وماذا تريدون منى ؟ "

هز زعيم الخاطفين كتفيه وقال : " أنت بالفعل وغد صعب المراس ، لكن لا تنس ، لقد وجدتك وسأجدك ثانية إذا ما اقتضى الأمر ذلك . هل تفهمنى ؟ "

كان جيفرى شافير قادراً بالكاد على النظر بعينيه بثبات لكنه نظر إلى أعلى إلى حيث يظن مصدر الصوت وقال : " ماذا .... تريد .... أرجوك " .

انحنى الرجل ذو اللحية نحوه مقرباً وجهه منه وقال وقد لاح شبح ابتسامة على وجهه : " لدىّ مهمة لك . مهمة لا تصدق . صدقنى ، لقد ولدت من أجل هذه المهمة " .

همس ويزل بشفتيه النازفتين موجهاً السؤال الذى سأله مئات المرات أثناء تعذيبه وقال : " من أنت ؟ "

قال الرجل ذو اللحية : " أنا وولف " (أى الذئب) ربما تكون قد سمعت عنى " .

الجزء الأول

ما لا يخطر على البال

الفصل ٣

فى ظهيرة ذلك اليوم ذى الشمس المشرقة والسماء الزرقاء الصافية كان كل من فرانسيس ودوجى بوسلوسكى يقومان بتعليق الملاءات وأكياس الوسـائد وملابس أطفالهما لتجف تحت شمس ظهيرة ذلك اليـوم غـير عـالمين بـأن ذلك اليوم سيشهد موت أحدهما بصـورة مباغتـة ، غـير متوقعـة ودون أى سبب .

وفجأة بدأ جنود الجيش الأمريكى فى الوصول إلى الساحة الكبيرة التى تقبع بها المنازل المتنقلة فى أزور فيوز ببلدة صان رايز بولاية نيفادا . كـان هناك الكثير من الجنود ، حيث جاءت قافلة كاملة مـن عربـات الجيـب والشاحنات تتقافز فوق الطرق الترابية التى يعيشون حولها وتوقفت بغتة . وقـد بـدأ الجنـود فـى الخـروج منهـا بأعـداد غفـيرة . كـان الجنـود مسلحين بصورة جيدة وهو ما كان يشى بخطورة المهمـة التـى هـم مقبلـون عليها .

قال دوجى : " ما الذى يحدث بحق السماء ؟ " وكان يعانى حينها من إعاقة ناتجة عن عمله فى منجم كورتى ماين الموجود فى ويلز وكان يحاول التأقلم مع وضعه الجديد داخل المنزل . لكنه كان يعلم أنه غير ناجح فى هذا إلى أبعد حد ، ولهذا كان دائماً مكتئباً متجهماً وروحه المعنوية متدنية ويثور دائماً على فرانسيس المسكينة والأطفال .

ولاحظ دوجى أن الجنود ، الرجال منهم والنساء ، الذين كانوا يخرجون من مركباتهم كانوا مرتدين زى المعركة والمكون من الأحذية الجلدية العالية والسراويل المموهة والقمصان قصيرة الأكمام زيتونية اللون مع كامل العتاد ، كما لو كانوا متجهين نحو الحرب وليس إلى ولاية نيفادا الحقيرة . كانوا يحملون بنادقهم طراز الـ " إم ١٦ " ويجرون متجهين نحو أقرب المنازل لهم رافعين فوهة بنادقهم وقد بدا الخوف على بعضهم !

كانت رياح الصحراء تهب وقد وصلت أصواتهم حتى شرفة منزل فرانسيس ودوجى وهى تقول : " إننا نخلى البلدة ! هذه حالة طوارئ . لابد أن يترك الجميع منازلهم الآن فوراً ، الآن ، أيها الناس ! " .

كانت فرانسيس بوسلوسكى حاضرة الذهن لدرجة أنها لاحظت أن جميع الجنود كانوا يرددون نفس الكلمات كما لو كانوا قد تدربوا على ذلك وبدأ على وجوههم التجهمة الحادة أنهم لن يقبلوا بالرفض . وبدأ جيران عائلة بوسلوسكى البالغ عددهم ما يزيد على الثلاثمائة فى المغادرة بالفعل وهم يشكون ويتذمرون لكنهم منصاعون لما أمروا به .

هرولت الجارة الملاصقة لـ " فرانسيس " التى تدعى دلتا شور نحوها جرياً وهى تقول : " ماذا يحدث يا عزيزتى . ما سبب وجود كل هؤلاء الجنود هنا ؟ يا إلهى الرحيم ! هل تصدقين هذا ؟ لابد أنهم قادمون من نيليى أو فالون أو أى مكان آخر . أنا خائفة يا فرانسيس ، هل أنت خائفة أيضاً يا عزيزتى ؟ "

سقط مشبك الغسيل الذى كان فى فم فرانسيس أرضاً وهى تتحدث إلى دلتا وتقول : " إنهم يقولون إنهم يقومون بعملية إخلاء . لابد أن آتى بالفتيات " .

ثم جرت نحو منزلها المتنقل مسرعة وقد ظنت أن أيام الجرى أو حتى الهرولة قد ولت خاصة مع وزنها الذى يبلغ مائتين وأربعين رطلا الآن .

" ماديسون ، برت ، تعاليا إلى هنا . لا يوجد داع للخوف ، سوف نخرج من هنا لفترة ! سيكون الأمر ممتعاً . تماماً مثل الخروج للسينما ، هيا تحركا أنتما الاثنتان ! "

ظهرت الفتاتان ، إحداهما فى الثانية والأخرى فى الرابعة ، عند باب غرفة النوم حيث كانتا تشاهدان حلقات الرسوم المتحركة على قناة ديزنى . وبدأت الكبرى ماديسون فى الاستفسار والاحتجاج مثلما تفعل دوماً قائلة : " لماذا ؟ لماذا يجب علينا هذا ؟ لا أريد عمل ذلك ، نحن مشغولتان يا أماه " .

جذبت فرانسيس هاتفها الخلوى من على طاولة المطبخ وبعد ذلك حدث شيء من أغرب ما يكون . فعندما حاولت الاتصال بالشرطة ، لم تجد سوى شوشرة عالية . لم يحدث هذا من قبل ، ليس هذا النوع من الشوشرة والضوضاء العالية التى تسمعها . هل هناك نوع من الغزو ؟ شيء متعلق بقنبلة نووية ؟

" اللعنة " هكذا قالت مخاطبة هاتفها الخلوى وقد شارفت على البكاء وهى تقول : " ما الذى يجرى هنا ؟ "

قالت برت لأمها : " لقد تفوهت بكلمة بذيئة ! " ثم بدأت تضحك . فقد كانت تحب التفوه بتلك الكلمات ، وقد بدا لها كما لو أن أمها قد ارتكبت خطأ بهذا ، وكم يعجبها أن يقع الكبار فى الأخطاء !

قالت فرانسيس للفتاتين : " أحضرا دميتيكما ، هيا . فالفتاتان لن تغادرا إلى أى مكان دون دميتيهما حتى لو كان ما يداهمهما هو الطاعون

ذاته . وتمنت فرانسيس ألا يكون ذلك هو السبب ، ولكن ماذا قد يكون هو السبب ـ لماذا ينتشر جنود الجيش في كل مكان وهم يلوحون بأسلحتهم المفزعة في وجوه الناس ؟ "

كان بإمكانها سماع صوت جيرانها في الخارج وهم يرددون نفس الأفكار التي تتصارع بداخلها : " ماذا يحدث ؟ " من الذي يقول إنه يجب علينا الرحيل ؟ " أخبرونا عن السبب ! " ، " على جثتي أيها الجنود ! هل تسمعوني ؟ "

كان الصوت الأخير هو صوت دوجي ، ماذا ينوى أن يفعل ؟

صاحت فرانسيس قائلة : " عد إلى المنزل يا دوجي . ساعدني في إحضار الفتاتين يا دوجي ! أنا بحاجة لمساعدتك هنا " .

ثم سمعت صوت طلق ناري بالخارج ، حيث صدر الصوت العالي المفاجئ بسرعة البرق من فوهة إحدى البنادق .

جرت فرانسيس نحو الباب المغطى بالسلك ـ ها هي ذي تجري مجدداً ـ ورأت اثنين من جنود الجيش واقفين أمام جثة دوجي الممددة على الأرض .

يا إلهي ! إن دوجي لا يتحرك ! يا إلهي ! يا إلهي ! لقد أطلق الجنود الرصاص عليه مثل الكلب المسعور . بدون سبب ! بدأت الرعشة والارتجاف تجتاح جسد فرانسيس ثم تقيأت ما في بطنها .

صاحت ابنتاها قائلتين : " ياه يا أمي ! إن هذا مقرف ! لقد تقيأت على أرضية المطبخ " .

هنا ضرب أحد الجنود الباب المغطى بالسلك بقدمه ووجدته أمامها مباشرة وهو يصيح قائلاً : " اخرجن من هذا المنزل ؟ الآن ! إلا إذا أردتن الموت أيضاً " .

كان الجندي يصوب فوهة البندقية نحو فرانسيس وأضاف قائلاً : " أنا لا أمزح يا سيدتي . هيا اختاري ، وسوف أطلق النار عليك تماماً مثلما أحادثك الآن " .

الفصل ٤

كانت المهمة ـ أو العملية ـ تقتضي محو بلدة أمريكية تماماً من الوجود في وضح النهار .

كانت الفكرة عجيبة ومن الصعب تقبلها . فحتى أسوأ روايات وأفلام الرعب لن تمثل شيئاً بجانب ما سيجرى هنا في صان رايز بولاية نيفادا والبالغ سكانها ثلاثمائة وخمس عشرة نسمة والذي سرعان ما سيصبح عدد سكانها صفراً . من كان سيصدق شيئاً كهذا ؟ حسناً ، لا يهم ، ففي خلال أقل من ثلاث دقائق سيصدق الجميع ذلك .

لم يكن أي من الرجال الموجودين على متن الطائرة يعلم السبب وراء محو هذه البلدة ، أو أي شيء آخر عن تلك المهمة الغريبة باستثناء أنها مهمة ذات أجر مجز للغاية ، وقد تم بالفعل تسليم الأموال إليهم مقدماً . اللعنة ، لقد كانوا لا يعرفون حتى أسماء بعضهم البعض . فكل واحد منهم تم إبلاغه بمهمته التي سيؤديها في تلك العملية وكان لدى كل منهم قطعته الصغيرة من البازل . هذا هو ما يطلق عليه ، قطع صغيرة .

كان مايكل كوستا من لوس أنجلوس هو خبير الذخائر والمتفجرات على الطائرة وقد كانت الأوامر الموجهة له تقضى بأن يقوم بتجهيز قنبلة من قنابل الوقود التى تنفجر فى الهواء محدثة قوة تدميرية عالية بصورة غير شرعية بالطبع .

حسناً ، يمكنه فعل هذا بكل سهولة .

وقد كان نموذج القنبلة الذى يحاكيه هو النموذج بى إل يو ـ ٩٦ والذى يطلق عليه " دايزى كتر " وهو ما يعنى قاطع الزهور وهو الاسم الذى يصف بشكل واضح الأثر الذى تحدثه هذه القنبلة ، والتى كانت وظيفتها الأساسية هى إزالة حقول الألغام ، بالإضافة إلى إزالة الغابات والأدغال لتوفير مساحات لهبوط القوات العسكرية . ولكن بعد ذلك لاحت لأحد الأغبياء الملاعين فكرة مفادها أن دايزى كتر يمكن استخدامها أيضاً لمحو البشر بكل سهولة تماماً كما تمحو الأشجار وجلاميد الصخر .

وها هو الآن بداخل إحدى طائرات الشحن العتيقة التى تطير به فوق جبال توسكارا متجهة صوب سان رايز فالى فى نيفادا ، وكانوا الآن يقتربون من المنطقة " هـ " أى الهدف .

كان هو ورفاقه المقربون الآن يقومون بتجميع القنبلة على متن الطائرة . وكان أمامهم رسم تخطيطى يوضح لهم كيفية تجميعها كما لو كانوا مجرد مجموعة من الحمقى البلهاء حيث كان ذلك النموذج يدعى " تجميع قنابل الوقود الهوائية للمبتدئين " .

كانت القنبلة الأصلية من طراز بى إل يو ـ ٩٦ سلاحاً عسكرياً من الصعب الحصول عليه ، هذا ما كان يدركه كوستا . لكن لسوء حظ كل من يقطن ويحب ويأكل ويشرب فى سان رايز فالى كان من الممكن تجميع سلاح دايزى كتر فى المنزل عن طريق مكوناتها المتوافرة بالفعل فى متناول الجميع . وبالفعل كان كوستا قد اشترى خزاناً سعته ألف جالون من الوقود ثم ملأه بغاز الأوكتان وقام بتثبيت جهاز للتوزيع ثم أدخل بضع عصى من الديناميت لتكون بمثابة بادئ للإشعال . وبعد ذلك قام بوضع

مكابح للحركة ومفتاح للتشغيل والذى استعاره من أحد أجهزة تحديد الارتفاع التى يستخدمها قافزو المظلات لقد كانت عملية بسيطة للغاية .

بعد ذلك قال لبقية الموجودين على متن طائرة الشحن : " عندما نصل إلى منطقة الهدف ، عليكم إسقاط القنبلة عبر فتحة تفريغ البضائع وبعد ذلك نهرب من هنا كما لو كنا نهرب من الأسد . صدقونى إن دايزى كتر لن تخلف وراءها شيئاً سوى الأرض المسحوقة وستبدو سان رايز فالى مجرد بقعة محترقة على الخريطة . مجرد ذكرى ، فقط شاهدوا ما سيحدث " .

الفصل ٥

" الأمر بسيط أيها السادة . لن يصاب أحد بسوء . ليس هذه المرة " .

على بعد أكثر من ثمانمائة ميل كان وولف يشاهد ما يحدث فى صحراء نيفادا على الهواء . يا له من شيء عظيم ! كانت هناك أربع كاميرات مثبتة على الأرض فى صان رايز فالى وكانت تبث إرسالاً حياً لما يحدث هناك إلى أربع شاشات مراقبة موضوعة فى مسكنه فى مقاطعة بيل أير فى لوس أنجلوس حيث كان يمكث هناك ، مؤقتاً .

كان يشاهد منظر الناس وهم يتم اخلاؤهم من منازلهم المتنقلة بواسطة قوات الجيش ثم يتم نقلهم بواسطة شاحنات النقل . كانت جودة الإرسال عالية جداً ، حتى إنه كان بإمكانه رؤية الشارات الموضوعة على أذرع الجنود والمكتوب عليها : " قوات الجيش بولاية نيفادا ، وحدة الحرس رقم ٧٢ " .

فجأة صاح قائلاً : " اللعنة ، لا تفعل يا رجل " . وقد بدأ يعتصر الكرة السوداء الصغيرة التى يمسكها فى قبضته ، وهى عادة يفعلها كلما شعر بالقلق أو الغضب ، أو كليهما .

كان أحد المدنيين قد أشهر مسدسه مصوباً إياه نحو أحد الجنود . ويالها من غلطة غبية للغاية !

صاح وولف مخاطباً الشاشة : " أيها الأحمق الغبى ! " .

وبعد ثانية واحدة كان الرجل الممسك بالمسدس ملقى جثة هامدة على وجهه الملامس لرمال الصحراء وهو ما جعل عملية نقل باقى السكان إلى شاحنات النقل تتم بصورة أسرع . كان يجب أن يتم عمل حساب ذلك في الخطة منذ البداية . لكن لم يتم عمل هذا ، وهذه مشكلة صغيرة الآن .

بعد ذلك ركزت إحدى الكاميرات المحمولة على طائرة شحن صغيرة وهى تقترب من البلدة وتدور حولها . كم كان هذا منظراً رائعاً . كانت الكاميرا المحمولة موجودة على متن إحدى شاحنات الجيش والتى كانت تسير ، كما يأمل ، مبتعدة إلى خارج نطاق القنبلة .

كان التصوير رائعاً ، بالأبيض والأسود ، وهو الذى جعله أكثر تأثيراً فالأبيض والأسود أكثر واقعية دوماً ، أليس كذلك ؟ بلى - بالطبع .

تركزت الكاميرا على الطائرة وهى تهبط مقتربة من البلدة .

همس قائلاً : " ملاك الموت ، يالها من صورة جميلة ، أنا فنان مبدع " .

احتاج الأمر إلى رجلين لدفع الخزان الضخم من فتحة التفريغ ، وعلى الفور انحنى الطيار يساراً بزاوية حادة وأسرع بالهروب مستخدماً أقصى طاقة بالمحركات . كانت تلك هى مهمته ، قطعة البازل الخاصة به ، ولقد نفذها بنجاح ، تحدث وولف مخاطباً شاشة العرض ثانية وقال : " لقد تمكنتم من البقاء أحياء " .

كانت زاوية التصوير واسعة الآن وهى تصور هبوط القنبلة **الهادئ نحو** البلدة . تصوير رائع . لكنه مرعب للغاية ، حتى بالنسبة له . **وعلى** ارتفاع مائة قدم تقريباً من الأرض انفجرت القنبلة ، قال وولف : " يا للهول ! " وقد اندفعت تلك الكلمات من فمه دون وعى منه حيث لم يكن معروفاً عنه تأثره العاطفى بأى شيء أبداً .

وأمام عينيه ـ حيث لم يستطع إبعادهما ـ كان يرى دايزى كتر وهى تسوى كل شيء تماماً بالأرض فى دائرة محيطها خمسمائة قدم . وكان لديها القدرة كذلك على القضاء على كل كائن حى فى تلك المنطقة ، وهو ما حدث بالفعل . كان الدمار شاملاً لدرجة أن نوافذ المبانى انفجرت على بعد عشرة أميال واهتزت الأرض فى منطقة الكوفى نيفادا والتى تبعد خمسة وثلاثين ميلاً . وسمع دوى الانفجار فى الولاية المجاورة .

لكن الحقيقة هى أن أكثر من هذا كان سيحدث هنا فى لوس أنجلوس على سبيل المثال ، فما حدث فى بلدة صان رايز الصغيرة فى نيفادا كان مجرد تجربة بسيطة .

قال وولف : " إن هذا مجرد إحماء ، مجرد بداية لشيء عظيم ، تحفتى ، انتقامى " .

الفصل ٦

عندما بدأ الأمركنت فى إجازة لمدة أربعة أيام على الساحل الغربى ، وهى الأولى لى منذ عام كامل ، وكانت أولى محطاتى هى مدينة سياتل عاصمة ولاية واشنطن .

ومدينة سياتل مدينة جميلة تموج بالحياة . هذا رأيى على أى حال ـ وهى تجمع فى مزيج متوازن بين القديم والحديث ، مع لمحة تكنولوجية سائدة . وفى الظروف العادية كنت أتطلع للقيام بزيارة إلى هناك .

لكن الأوقات الآن غير مستقرة إلى حد ما ، وكل ما يلزمنى لتذكر السبب هو أن ألقى نظرة على الطفل الصغير الذى يمسك يدى بقوة بينما كنا نعبر شارع والينجفورد افينيو نورث .

كان علىّ فقط أن أستمع إلى قلبى

كان الولد الصغير هو ابنى أليكس ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى أراه فيها منذ أربعة أشهر . حيث إنه يعيش مع والدته فى مدينة سياتل الآن ، بينما كنت أعيش أنا فى العاصمة واشنطن . دى . سى حيث

أعمل كعميل للمباحث الفيدرالية . ولقد دخلت أنا ووالدة أليكس فى العديد من النزاعات القانونية " الودية " حول حقوق الحضانة .

" هل تستمتع بوقت طيب ؟ " هكذا - سألت صغيرى أليكس والذى كان يحمل دميته مو والتى كانت عبارة عن بقرة بيضاء ذات بقع سوداء اللون وهى الدمية المفضلة لديه منذ أن كان يعيش معى فى العاصمة واشنطن . كان يبلغ الثالثة من عمره فقط لكنه كان متحدثاً لبقاً ، بل ومتعاملاً لبقاً كذلك . يا إلهى ! كم أحب هذا الصغير . وقد كانت أمه مؤمنة بأنه طفل موهوب لـ بذكائه العالى وقدراته الإبداعية . وبما أن كريستين كانت مدرسة للمرحلة الابتدائية فعلى الأرجح أنها تعرف ذلك أكثر من أى شخص .

كان منزل كريستين يقع فى منطقة والينجفورد فى سياتل . ولقد قررنا أنا وأليكس البقاء بالقرب من المنزل حيث إن المنطقة المحيطة به من المناطق الجميلة التى يستمتع الإنسان بالتمشية فيها . ولقد بدأنا باللعب فى الباحة الخلفية التى كانت محاطة بسياج من الشجيرات القصيرة وبها مساحة كبيرة للعب ، وكانت تتيح منظراً جميلاً على جبال كاسكاد .

التقطت للصبى بضع صور فوتوغرافية ، بناءً على تعليمات من جدته . ولقد أراد أليكس أن يرينى حديقة الخضراوات الخاصة بوالدته وبالفعل كانت الحديقة أكثر من رائعة ، وكانت مليئة بثمار الطماطم والخس والقرع . وكانت الحشائش مستوية ومشذبة بكل عناية وعلى شرفات المطبخ كانت هناك أوان مليئة بنباتات الروز مارى والنعناع . والتقطت المزيد من الصور لـ " أليكس " .

بعد جولتنا بحديقة المنزل اتجهنا صوب ملعب منطقة والينجفورد ومشينا متشابكى الأيدى بجوار بحيرة جرين . وكان أليكس متحمساً للغاية بخصوص مسيرة الأطفال الاحتفالية الخاصة بمهرجان البحر ولم يستطع تفهم سبب عدم استطاعتى البقاء حتى موعده . وكنت أعلم ما سيحدث ولهذا حاولت تحضير نفسى له .

سألنى قائلاً : " لماذا عليك الابتعاد عنى دوماً ؟ " ولم تكن لدىّ إجابة لسؤاله ، بل كان كل ما شعرت به هو قبضة باردة تعتصر قلبى بصورة عنيفة ، وهو شعور ليس بالغريب علىّ . وكم كنت أود أن أقوله له : " بل أنا أود البقاء معك كل دقيقة وكل يوم " .

قلت له : " ليس الأمر بيدى ، لكن سأعود سريعاً ، أعدك بهذا وأنت تعلم أننى أفى بوعودى "

سألنى قائلاً : " هل هذا بسبب أنك أحد رجال الشرطة ؟ لِمَ يجب عليك السفر بعيداً ؟ "

" نعم ، إلى حدٍ ما . فهى وظيفتى ولابد لى من أن أكسب المال لشراء أجهزة الفيديو والحلوى "

قال متسائلاً : " ولِمَ لا تبحث عن وظيفة أخرى إذن ؟ "

قلت له : " سأفكر فى الأمر " . ولم أكن كاذباً حين قلت هذا ، فسوف أفعل ، بل إننى كنت أفكر بشأن مستقبلى الوظيفى فى سلك الشرطة كثيراً مؤخراً . بل إننى تحدثت فى هذا مع طبيبى ، طبيبى الذى بداخل رأسى .

وفى النهاية وبحلول الساعة الثانية والنصف عدنا إلى المنزل ، وهو منزل كلاسيكى تم تجديده وطلاؤه باللون الأزرق المشوب بخطوط بيضاء ، وكان فى حالة ممتازة ، وكان المنزل مريحاً هادئاً . وعلىّ أن أعترف أنه مكان ممتاز لتربية طفل ، كما هو الحال مع مدينة سياتل .

بل إن غرفة أليكس كانت تطل على منظر رائع لجبال كاساد ، فما الذى يمكن أن يطلبه طفل أكثر من ذلك ؟

ربما يطلب والداً يكون بجواره أكثر من مجرد مرة واحدة كل عدة شهور ، ماذا عن هذا الطلب ؟

كانت كريستين واقفة فى الشرفة فى انتظارنا ، وعند رؤيتها لنا رحبت بنا بكل دفء . وكم كان هذا مختلفاً عن آخر لقاء مباشر جمعنا فى واشنطن ، هل يمكننى ائتمان كريستين ؟ أعتقد أنه يجب علىّ هذا .

احتضنت أليكس وقبلته للمرة الأخيرة على الرصيف ثم التقطت **بضع** صور إضافية للطفل من أجل جدته .

بعد ذلك اختفى هو وأمه داخل المنزل ، ووقفت أنا بالخارج ، وحيداً ، ثم عدت إلى سيارتى المؤجرة واضعاً يدى فى جيبى متسائلاً عن معنى ومغزى كل ما يحدث وقد داهمنى شعور افتقادى لطفلى بالفعل ، كم كنت أفتقده بشدة ، وفى نفسى كنت أتساءل ما إذا كان مقدراً علىّ أن تكون لحظات الفراق بمثل هذه القسوة ، لكننى كنت على قناعة بأنها ستكون دوماً كذلك .

الفصل ٧

بعد انتهاء زيارتى لولدى أليكس فى سياتل ركبت الطائرة عائداً إلى سان فرانسيسكو لقضاء بعض الوقت مع محققة قسم جرائم القتل جاميلا هيوز ، ولقد كنا نتواعد لمدة عام تقريباً . وكم كنت أفتقد جام وأتوق للوجود بقربها ، حيث إن وجودى بقربها دائماً ما يريحنى ويسعدنى .

وطيلة رحلة الطيران كنت أستمع إلى أغنيات كل من أريكا بادو وكالفين ايتشاردسون بصوتيهما الرائعين ، وكم كانا هما أيضاً يريحاننى ، إلى حد ما .

وبينما كانت الطائرة تقترب من سان فرانسيسكو سعدنا برؤية منظر واضح لجسر جولدن جلوب بريدج ورؤية الشكل العام للمدينة من أعلى . وكان بإمكانى تحديد مبنى امباركاديرو ومبنى ترانس أميركا ، وبعد ذلك تركت نفسى أغوص فى المشهد الذى أمامى . لم أكن أطيق الانتظار لرؤية جام . ولقد ازدادت علاقتنا قرباً منذ أن عملنا سوياً فى أحد تحقيقات جرائم القتل ، لكن المشكلة الوحيدة كانت تتمثل فى أن كلينا يعيش فى

مكان بعيد عن الآخر . وكان كل منا يقدر مدينته ويحبها ، ويحب وظيفته ، ولم نستطع الوصول لحل هذه المشكلة حتى الآن .

ومن ناحية أخرى كان كل منا يستمتع برفقة الآخر بدرجة كبيرة ، وعندما رأيت جاميلا واقفة قرب باب الخروج الخاص بمطار سان فرانسيسكو المزدحم كان بإمكانى رؤية السعادة بادية على وجهها . وكانت واقفة أمام سيارتها النورث بيتش ديلى تصفق بيديها فى سرور وتتقافز فى مرح ، حيث كانت معتادة على التصرف بروح مرحة هكذا .

ابتسمت لها وقد شعرت بالتحسر لمجرد رؤيتها ودائماً ما كان لها هذا التأثير علىّ لأنها دائماً تبدو مشغولة ومستغرقة فى العمل . فقد كانت ترتدى معطفاً من الجلد الناعم ذى اللون الأصفر الداكن وقميصاً قصير الأكمام أزرق اللون وبنطالاً أسود من الجينز وكان يبدو عليها أنها قادمة لتوها من العمل . لكنها كانت تبدو رائعة ، رائعة للغاية .

كانت تضع القليل من أحمر الشفاة ، وعندما احتضنتها بين ذراعى أدركت أنها وضعت بعض العطر كذلك . وقلت لها : " آه ، يا عزيزتى ، كم أفتقدك " .

قالت لى : " إذن احتضنى وقبلنى ، كيف حال صغيرك ؟ كيف حال أليكس ؟ "

" إنه يزداد طولاً وذكاءً وظرفاً . إنه فى حالة رائعة . أنا أحب هذا الصغير ، بل إننى أفتقده الآن يا جاميلا " .

" أعلم هذا ، أعلم هذا يا عزيزتى ، أعطنى حضناً كبيراً " .

رفعت جام من على الأرض ودرت بها على الرغم من أن طولها خمس أقدام وتسع بوصات وذات قوام ممشوق ولاحظت أن البعض كان ينظر إلينا ، وكان معظمهم يبتسم . كيف يسعهم ألا يفعلوا ؟

بعد ذلك تقدم اثنان من الموجودين تجاهنا . وكانا رجلاً وامرأة يرتديان سترات سوداء . ما الأمر الآن ؟

رفعت المرأة شارتها أمامنا والتى كانت تفيد أنها من المباحث الفيدرالية .

آه ، كلا ، رجاء لا تفعلا هذا بى .

الفصل ٨

تأوهت وأنا أنزل جاميلا أرضاً برفق ، كما لو كنا نفعل شيئاً خاطئاً وليس عين الصواب . وبسرعة تبخرت كل المشاعر الطيبة بداخلى . بسرعة البرق . يا إلهى ! إننى بحاجة للراحة ، وبكل تأكيد لن تكون هذه هى الراحة التى أنشدها .

قالت المرأة : " أنا العميلة جين ماثيوث وهذا هو العميل جون طومسون " ثم أشارت بيدها لرجل أشقر الشعر فى الثلاثينيات من عمره والذى كان يمضغ قطعة من الشيكولاتة ، ثم أضافت : " نكره أن نقاطعك ، لكننا أرسلنا الى هنا لكى ننتظر طائرتك ، أنت أليكس كروس ، أليس كذلك ؟ " قالتها وقد فكرت أخيراً فى أن تتحقق من الأمر .

قلت لهما : " أجل ، أنا أليكس كروس وهذه هى المحققة هيوز من قسم شرطة سان فرانسيسكو ، يمكنكما الحديث هنا فى وجودها " .

هزت العميلة ماثيوث رأسها نافية وقالت :" كلا يا سيدى أخشى أنه لا يمكننا هذا " .

ربتت جاميلا على ذراعى وقالت : " لا بأس " ثم مشت مبتعدة تاركة إياى بصحبة هذين العميلين على عكس ما كنت أريد تماماً. فقد كنت أريد منهما أن يذهبا بعيداً ، بعيداً جداً .

قلت موجهاً سؤالى للعميلة ماثيوث : " ما الأمر ؟ " وقد أدركت أن الأمر يتعلق بكل تأكيد بشىء سيئ وهو أحد متاعب وظيفتى الحالية . إن مدير مكتب المباحث الفيدرالية المدعو بيرنز لديه بيان مفصل بالأماكن التى أكون متواجداً فيها والمواعيد كذلك طوال الوقت حتى عندما أكون فى إجازة ، وهو ما يعنى عملياً أننى لا أحصل على إجازة مطلقاً .

" كما أخبرتك يا سيدى ، لقد طلب منا لقاءك هنا ، ثم إرسالك على متن الطائرة المتجهة إلى نيفادا ، حيث توجد حالة طوارئ هناك . فقد تم قصف بلدة صغيرة ، حسناً لقد تم محو البلدة تماما عن الخريطة والمدير يريد منك الذهاب لموقع الحادث ، يا لها من كارثة مروعة " .

كنت أهز رأسى شاعراً بالإحباط وخيبة الأمل الشديدين وأنا أتوجه ناحية جاميلا . وكنت أشعر كما لو أن هناك فجوة هائلة فى صدرى قلت لها : " هناك حادث ضخم فى نيفادا وهم يقولون إن هذا أذيع فى الأخبار بالفعل ، ولابد لى من الذهاب الى هناك . سأحاول العودة بأسرع ما أستطيع ، أنا آسف . لا أعتقد أنك تدركين كم أشعر بالأسف لتركك".

قالت لى والنظرة المرتسمة على وجهها تؤكد كلامها : " أنا متفهمة ، بالطبع أنا متفهمة للموقف ، عد متى استطعت " .

حاولت احتضانها لكنها تراجعت ملوحة لى بيدها تلويحة وداع حزينة ثم استدارت وابتعدت دون أن تقول كلمة أخرى ، و أعتقد أننى علمت عندئذ أننى قد فقدتها كذلك " .

الفصل ٩

تحركت على الفور، لكن المشهد الذى أمامى كان محبطاً بدرجة كبيرة ، بل كان لا يصدق ، فبعد أن استقللت الطائرة الخاصة من سان فرانسيسكو الى إحدى المدن الصغيرة بولاية نيفادا ، أقلتنى إحدى المروحيات الخاصة بمكتب المباحث الفيدرالية إلى ما كانت يوماً ما تسمى صان رايز فالى .

كنت أحاول جاهدا عدم التفكير فى صغيرى أليكس ، وعدم التفكير فى جاميلا ، لكن لم أفلح كثيراً فى هذا الأمر حتى الآن . ربما أكف عن التفكير فيهما عندما أصل الى موقع انفجار القنبلة عندما أكون هناك فى موقع الحدث .

كان بإمكانى استناداً إلى الطريقة التى كان رجال الشرطة المحليون يتعاملون بها معى ويذعنون لى أن أدرك أن سمعتى أو بالأحرى قدومى من واشنطون يجعلهم يشعرون بالتوتر . فمن الواضح أن مدير المكتب قد أوضح للجميع أننى مشاغب ومثير للمشاكل ، خاصة بالنسبة له .

لم تستغرق رحلة المروحية إلى موقع إلقاء القنبلة إلا عشر دقائق فقط كان بإمكانى رؤية أضواء الطوارئ بكل أنحاء صان رايز فالى ، أو ما كان يدعى كذلك . كانت البلدة قد اختفت الآن . كان هناك دخان متصاعد لكن لم يكن بالإمكان رؤية أى نيران من الجو ، ربما لأنه لم يعد يوجد شىء تمسك به النيران.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بقليل ، ما الذى حدث هنا بحق الجحيم ؟ ولِمَ يتجشم أحدهم عناء تدمير بلدة ليس لها أى قدر من الأهمية مثل بلدة صان رايز فالى ؟

وبمجرد أن استقللت المروحية تم اخبارى بما حدث بصورة مختصرة ولسوء الحظ لم تكن هناك معلومات كثيرة متاحة . فقد تم إخلاء جميع قاطنى البلدة ـ باستثناء أحد الرجال ـ والذى أطلق عليه النار ـ فى الرابعة من عصر اليوم ، ويبدو أن القوات المسئولة عن مباشرة عملية الإخلاء كانت قوات تابعة للجيش الأمريكى . ولقد تم نقل السكان لمسافة أربعين ميلا إلى نقطة تقع فى منتصف الطريق نحو أقرب مدينة واسمها إلكو . ولقد تم إبلاغ موقعهم إلى قوات ولاية نيفادا . وعندما وصلت القوات لمساعدة سكان البلدة المرعوبين كانت شاحنات الجيش ومركباته قد اختفت جميعها . وكذلك اختفت بلدة صان رايز فالى وقد محيت تماما من على الخريطة .

وقد كان بإمكانى رؤية عربات الإطفاء الكبيرة والشاحنات ومركبات متوقفة وحوالى ست مروحيات . وبينما كانت مروحيتى تهبط لمحت بعض الخبراء مرتدين سترات كيميائية واقية .

يا إلهى ماذا حدث هنا ؟

هل هى حرب كيميائية ؟

هل شُنت حرب هنا ؟

هل هذا ممكن ؟ فى هذا العصر ؟ بالطبع إنه شىء ممكن .

الفصل ١٠

كان هذا هو أكثر المشاهد التى رأيتها خلال سنوات عملى فى قوات الشرطة إثارة للرعب ، فقد كان الدمار شاملاً ، دونما أدنى سبب واضح .

وبمجرد هبوط المروحية خرجت منها ، ثم ارتديت إحدى الحلل الواقية من المواد الكيميائية ، والتى بها قناع واق من الغازات بالإضافة للعديد من المعدات الأخرى ، وكان القناع المطاطى فى الواقع تحفة تكنولوجية حيث به نافذتان مزدوجتان للرؤية وأنبوب داخلى يسمح بالتزود بالسوائل ، وشعرت كأننى أحد أبطال القصص والأفلام الخيالية لكن هذا لم يستمر طويلا ، فعندما رأيت بعضاً من ضباط الجيش وهم يتجولون وقد خلعوا أقنعتهم الواقية فقد قمت بانتزاع قناعى .

بعد وصولى بقليل حصلنا على فترة راحة . وكان اثنان من متسلقى الجبال قد رأيا أحد الرجال وهو يقوم بتصوير الانفجار ، وقد بدا مثيراً للريبة ، لهذا قام أحد المتسلقين بتصوير ذلك الرجل باستخدام الكاميرا

الرقمية الخاصة به . كما قام المتسلقان بالتقاط بعض الصور أثناء إخلاء المدينة من السكان .

كان اثنان من المحققين يقومان باستجواب المتسلقين ورغبت فى استجوابهما بنفسى بعد أن ينتهى العميلان منهما ، ولسوء الحظ فإن رجال الشرطة المحلية هم أول من وصلوا للكاميرا التى تحوى هذه الصور وكانوا يحتجزونها حتى وصول رئيسهم إلى الموقع ولم يطلعونى عليها ، ولقد تأخر حيث إنه كان فى رحلة صيد.

وعندما وصل رئيس الشرطة أخيراً راكباً سيارته الدودج بولاريس السوداء القديمة أسرعت تجاهه . وبدأت فى الحديث معه قبل أن يخرج حتى من سيارته .

قلت دون أن أرفع صوتى محدثاً الرجل الذى يبلغ من العمر ستين عاماً صاحب البطن الضخم وكنت حريصاً على أن يفهم كلماتى : " أيها المأمور إن رجالك يحجبون عنا دليلاً هاماً ، ونحن بحاجة لرؤيته . إن هذا تحقيق فيدرالى الآن . وأنا هنا ممثل لكل من المباحث الفيدرالية والأمن القومى . ولقد ضاع منا وقت كبير بسبب تصرفات رجالك " .

فى حقيقة الأمر بدا المأمور نفسه مندهشاً وهو ما يحسب له ثم بدأ فى الصراخ فى رجاله قائلاً : " أحضروا الدليل هنا الآن أيها الأغبياء ما الذى تحاولون عمله بحق الجحيم ماذا كنتم تظنون ؟ هل أنتم قادرون على التفكير من الأساس ؟ هيا أحضروا الدليل " .

جاءه أحد الرجال يجرى والذى علمت فيما بعد أنه صهر المأمور وقام بمناولتى الكاميرا التى كانت من طراز كانون باور شوت وكنت أعلم كيفية إخراج الصور منها .

ما الذى لدينا هنا الآن ؟ كانت الصور الأولى صوراً لمناظر طبيعية . ولم يكن هناك بشر فى أيها . وكانت كلها صوراً مقربة وذات زاوية تصوير ضيقة .

ثم ظهرت صور عملية الإخلاء ، شىء لا يصدق .

ثم ظهرت لأول مرة صورة الرجل الذى كان يصور **عملية الانفجار** .

كان موليا ظهره للكاميرا . وقد كـان واقفا فـى بدايـة الأمـر لكـن فـى الصور التالية كان جالسا على إحدى ركبتيه ، غالبا بغرض الحصول على زاوية أفضل للتصوير .

لا أعلم ما الذى دعا متسلق الجبل لالتقاط تلـك الصـور ، لكـن كانـت غريزته فى محلها . فقد كان الرجل الغامض يقوم بتصوير المدينة - والتى ارتفعت بها ألسنة اللهب لمئات الأقدام ، وكان من الواضح أنه كـان يعلـم بحدوث الهجوم قبل وقوعه.

أظهرت الصـور التاليـة الرجـل وهـو يستدير تجـاه المتسـلقين . وفـى الحقيقة بدأ فى المشى تجاههم أو هكذا ظهر فى الفيلم . وتسـاءلت مـا إذا كان لاحظ أن أحدهما كان يلتقط له صوراً ، فقد بدا وكأنه ينظر تجاههم .

عندئذ شاهدت وجهه ولم أكن أصدق مـا أرى . وتعرفت عليـه لتـوى ولِمَ لا ؟ لقد كنت أطارده لأعوام ولا يزال مطلوباً فى أكثر من اثنتى عشـرة جريمة قتل هنا وفى أوروبا . وهو قاتل سيكوباتى شرير وواحـد مـن أسـوأ البشر فى العالم .

كان اسمه هو جيفرى شافير لكنى كنت أعرفه أفضل باسم ويزل .

ما الذى كان يفعله هنا ؟

الفصل ١١

كانت هناك بضع صور أخرى واضحة ظهر فيها وجه ويزل الكريـه وهـو يقترب من الكاميرا .

وبمجرد رؤيته بدأ عقلى فى التفكير بسرعة وشـعرت بالغثيـان قليـلا . كان حلقى جافا وظللت ألعق شفتى بلسـانى . مـاذا يفعـل شـافير ؟ ومـا وجه الصلة بينه وبين القنبلة التى سوّت البلدة بالأرض تماما ؟ كان الأمر يشـبه الجنون وبدا مثل الحلم ، بعيداً عن الحقيقة تماماً .

كان أول مرة أقابل فيها الكولونيل جيفرى شـافير منـذ ثـلاث سـنوات فى واشنطن ولقد قتـل أكثـر مـن اثنـى عشـر شخصـاً هنـاك ، إلا أننـا لم نستطع إثبات ذلك ولقد كـان يتخفـى فـى هيئـة أحـد سـائقى السـيارات الأجرة عادة فى الجزء الجنوبى الشرقى مـن المدينـة ، وهـو الجـزء الـذى أقطن به ، وكان من السهل عليـه انتقـاء ضحـاياه . حيـث كـان يعلـم أن تحقيقات رجال الشرطة فى واشنطن دي سي ليست على درجة عالية من الدقة وذلك إذا كان الضحية رجـلاً أسـود أو فقـيراً ، وكـان لـدى شـافير

عمل بالنهار حيث كان يعمل عقيداً (كولونيل) داخل السفارة البريطانية . فقد كان هذا الرجل ظاهرياً شخصاً محترماً ، لا غبار عليه ومع ذلك فقد كان قاتلاً بشعاً من أسوأ أنواع القتلة الذين صادفتهم فى حياتى .

انضم لى أحد العملاء المحليين ويدعى فريد ويد بالقرب من المروحية التى جئت على متنها ، وكنت لا أزال عاكفاً على دراسة الصور التى التقطها المتسلق ، وأخبرنى ويد أنه يريد أن يعرف ما الذى يحدث . ولم أكن لألومه ، فأنا نفسى لدىّ نفس الرغبة .

قلت لـ " ويد " : " إن الرجل الذى قام بتصوير الانفجار يدعى جيفرى شافير . وأنا أعرفه وقد ارتكب عدة جرائم قتل فى واشنطن سى دى عندما كنت أعمل محققاً فى قسم جرائم القتل هناك ، وآخر ما سمعناه عنه أنه سافر إلى لندن ولقد قتل زوجته أمام أطفالهما فى أحد أسواق لندن ، ثم اختفى بعد ذلك . حسنا ، أعتقد أنه قد عاد الآن . ولا أدرى لماذا ، لكن رأسى يؤلمنى من مجرد التفكير فى الأمر " .

أخرجت هاتفى الخلوى وقمت بالاتصال بواشنطن . وبينما كنت أقوم بوصف كل ما توصلت إليه كنت أراجع آخر مجموعة من الصور الملتقطة للكولونيل شافير . وفى إحدى هذه الصور كان يركب سيارة فور برونكو حمراء اللون .

أما آخر لقطة فكانت لمؤخرة السيارة وهى مبتعدة عن المكان . يا إلهى ! إن لوحات السيارة واضحة .

وكان هذا هو أغرب ما فى الأمر : لقد ارتكب ويزل خطأ .

لكن ويزل الذى أعرفه لا يرتكب أى خطأ على الإطلاق .

ربما لم يكن بالأمر خطأ إذن ،

ربما كان هذا جزءاً من الخطة .

الفصل ١٢

كان وولف يقبع فى مكانه فى لوس أنجلوس لكن كانت التقارير تأتيه من صحراء نيفادا بانتظام .

حيث وصلت قوات الشرطة إلى صان رايز فالى ... ثم المروحيات ... ثم قوات الجيش ... وأخيراً رجال المباحث الفيدرالية .

وكان صديقه القديم أليكس كروس هناك أيضاً . شىء طيب من أليكس كروس ، يا له من جندى مخلص .

لا أحد يفهم شيئاً بكل تأكيد .

لا توجد نظرية متسقة تفسر ما حدث فى الصحراء .

كيف يمكن أن تكون هناك أى نظرية ؟

لقد كان الأمر بمثابة فوضى عارمة ، وهذا أجمل ما فى الأمر حيث لا يوجد شىء يخيف الناس أكثر من شعورهم بعدم الفهم لما يحدث .

كان هناك أحد الحمقى من لوس أنجلوس ويدعى فيديا ابرامتسوف وزوجته ليزا . وكان فيديا يرغب فى أن يكون أحد رجال عصابات المافيا

الكبار ومع ذلك كان يحيا حياة مرفهة مثل نجوم السينما فى بيفرلى هيلز .

وهو الآن جالس فى منزل فيديا وليزا ، لكن وولف كان مؤمنا بأنه منزله هو . فعلى أى حال ، تعتبر أموالهما فى الأساس أمواله هو وبدونه لكانا مجرد تافهين أحمقين تملؤهما الطموحات الكبيرة .

لم يكن لدى فيديا أو ليزا أى علم بوجوده فى منزلهما .

كم سيشعران بالدهشة .

يوجد رجل تبدو عليه ملامح القوة جالس بمفرده فى حجرة المعيشة . يجلس بكل هدوء ويقوم بالضغط بانتظام على كرة مطاطية فى يده اليمنى .

لم تسبق لهما رؤيته من قبل .

قالت ليزا : " من أنت بحق الجحيم ؟ ماذا تفعل هنا ؟ "

فرد وولف ذراعيه وقال : أنا الشخص الذى أعطاكما كل هذه الأشياء الرائعة فماذا سيكون ردكما فى المقابل ؟ هل تظهران عدم الاحترام هكذا ؟ أنا وولف " .

سمع فيديا ما يكفيه ، فقد كان يعلم أنه لو كان وولف هو الجالس هناك الآن ، فبكل تأكيد يمكنه أن يعتبر نفسه هو وليزا فى عداد الموتى . من الأفضل له الهرب إذن داعياً الله أن يكون وولف هنا بمفرده ، وهو ما يعتبر احتمالاً بعيداً .

تحرك خطوة واحدة ولكن وولف رفع يده المسكة بمسدس من على الأريكة ، وكان تصويبه محكماً ، حيث أصابت الطلقة فيديا ابرامتسوف فى أعلى ظهره ، طلقة واحدة فى مؤخرة رقبته .

قال بصوت هادئ : " إنه ميت الآن . " وكان يعلم أن اسم ليزا ليس اسمها الحقيقى : " أنا أفضل أن أدعوك يلزافيتا ، فهو ليس اسماً شائعاً وليس ذا صبغة أمريكية ، هيا تعالى من فضلك " .

ثم ربت على الأريكة وأضاف : " هيا ، لا أحب أن أكرر طلبى " .

كانت الفتاة جميلة ـ وذكية أيضاً ويبدو أنها تتمتع بالدهاء مثل الثعابين . مشت عبر الغرفة باتجاهه وجلست بجواره . فعلت كما أخبرها تماماً . فقد كانت فتاة طيبة على أى حال . نظر إلى عينيها البنيتين الجميلتين وقال : " إننى أحبك يا يلزافيتا . ولكن ليس أمامى خيار آخر ـ لقد عصيتنى . لقد سرقت أموالى أنت وفيديا . لا تجادلينى . فأنا أعلم ذلك جيداً . هل تعلمين ما هو الزاموشيت ؟ إنه كسر العظام ؟ "

ويبدو أن يلزافيتا كانت تعلم ؛ لأنها صرخت صرخة مدوية .

قال وولف وهو يجذب رسغ الفتاة الأيسر الضعيف : " هذا جيد ، كل شئ سوف يسير على ما يرام اليوم "

وبدأ بإصبع يلزافيتا الصغير .

الفصل ١٣

تُرى هل بدأت الحرب ؟ وإذا كان هذا صحيحاً ، فمن هو العدو ؟

كان الظلام حالكاً والبرد قارساً فى الصحراء . وإذا وصفنا الجو السائد بعبارة أخرى لقلنا إنه كان مرعباً و داعياً للارتباك . لم يكن القمر بازغاً ، هل هذا أيضاً جزء من الخطة ؟ ما الذى سيحدث بعد ذلك ؟ وأين ؟ ولمن ؟ ولماذا ؟

حاولت تجميع أفكارى والتفكير فيما يشبه الخطة التى سنعمل على أساسها خلال الساعات القليلة القادمة على أساس شبه منظم ، كم كان هذا صعباً ، يقارب المستحيل . كنا نبحث عن قافلة صغيرة من شاحنات الجيش وعربات الجيب التى تبدو كأنها اختفت تماماً ؟ وكأنما ابتلعتها رمال الصحراء . كما كنا نبحث أيضاً عن سيارة فورد برونكو تحمل لوحات معدنية من ولاية نيفادا رقمها JBP 322 وعليها شعار الشمس الغاربة .

كما كنا نبحث عن جيفرى شافير . **لماذا كان ويزل هنا ؟**

وبينما كنا فى انتظار حدوث شىء ، مثل قدوم رسالة أو تحذير قمت بالتجول قليلاً فى البلدة التى كانت تسمي صان رايز فالى . وعندما نظرت إلى المكان الذى انفجرت القنبلة فوقه تماماً لم أجد أن السيارات والمبانى قد تمت تسويتها بالأرض وحسب ـ وإنما تبخرت حرفياً . وكانت قطع صغيرة من الرماد والغبار الذى يحمل رائحة الموت والدمار تتطاير فى الهواء . وكانت السماء المظلمة تحجبها سحابة سوداء قاتمة من الدخان ، وراودتنى فكرة بشعة وهى أن الإنسان وحده هو الذى يتسبب فى مثل هذا الدمار البشع ، وأن الإنسان فقط هو من يرغب فى فعل شىء كهذا .

وأثناء تجولى بين الأطلال وأكوام الحطام كنت أتحدث مع بعض العملاء والفنيين المشتركين فى التحقيقات وبدأت فى تدوين بعض الملاحظات الخاصة عن مسرح الجريمة .

أجزاء محطمة ومتناثرة من معسكر للمنازل المتنقلة موجودة فى كل مكان .

يقول الشهود إنهم شاهدوا ما يشبه خزاناً كبيراً للوقود يتم إلقاؤه من إحدى الطائرات.

وبينما كان ذلك الخزان يقترب وعلى وشك الارتطام بأحد المنازل انفجر فى الهواء .

فى البداية شكّل الانفجار ما يشبه " سحابة بيضاء رخوة متماوجة " ثم اشتعلت تلك السحابة .

واندفعت فيها موجات عنيفة من النيران الحارقة وبسرعة عارمة لعدة دقائق .

وإلى الآن لم يكن يوجد إلا جثة واحدة وفكر الجميع فى نفس السؤال : لماذا جثة واحدة فقط ؟ لماذا تم إنقاذ حياة الباقين ؟ لماذا تم تدمير البلدة الصغيرة المؤلفة من عدة منازل متنقلة من الأساس ؟

لم يكن لكل هذا معنى ، وعلى الأخص وجود شافير .

نادت إحدى عميلات المباحث الفيدرالية واسمها جينى **موريـاتى علـىّ** واستدرت لأكلمها فوجدتها تلوح مشيرة إلىّ فى انفعال شديد . والآن ماذا لدينا ؟

اتجهت إليها مسرعاً حيث كانت واقفة مع بعض رجال الشرطة المحليين . وبدا عليهم جميعاً نفس الانفعال .

قالت لى : " لقد وجدنا السيارة البرونكو إلا أننا لم نجد شاحنات الجيش وقد وجدنا السيارة البرونكو فى بلدة ويلز " .

سألت موريـاتى قائلاً : " وماذا يوجد فى ويلز ؟ "

قالت : " مطار " .

الفصل ١٤

"هيا بنا !" .

رجعت ثانية إلى المروحية التابعة للمباحث الفيدرالية واتجهنا صوب ويلز على أمل اللحاق بـ " ويزل " والإمساك به . كان الاحتمال ضعيفاً ولكن لم يكن أمامنا غيره . وقد رافقنى كل من العميل ويد والعميلة موريارتى حيث لم يكونا راغبين فى أن يفوتهما ما سيحدث فى ويلز أياً كان .

وبينما كنا نحلق فوق ما بقى من صان رايز فالى بدأت أشعر بتأثير الارتفاع علينا ، حيث كانت البلدة المدمرة تقع على ارتفاع يعلو على الأربعة آلاف قدم .

وبعد قليل تأقلمت مع الجو المحيط وبدأت التفكير فى شافير محاولاً أن أجد رابطاً منطقياً يربطه بهذه الفوضى العارمة ، هذه الكارثة ، جريمة القتل . منذ ثلاثة أعوام قام شافير باختطاف كريستين جونسون . وقد حدث ذلك خلال إحدى الأجازات العائلية التى كنا نقضيها فى

برمودا . وفى ذلك الوقت كنت أنا وكريستين متزوجين حديثاً . وعندما اختطفها شافير لم يكن أينا يعلم أنها كانت حاملا فى طفلنا أليكس . ولم تعد الأمور إلى طبيعتها بيننا مطلقاً بعد أن تم إنقاذها . وكنت أنا وصديقى جون سامبسون قد وجدناها فى جاميكا . وكانت كريستين محطمة تماماً ، ولا ألومها على هذا بالطبع . وبعد ذلك انتقلت إلى سياتل حيث عاشت هى وأليكس الصغير سوياً . وكم ألوم شافير على التسبب فى نزاعنا حول حضانة الطفل .

مع مَنْ يعمل شافير ؟ فأحد الأشياء الواضحة ، والمفيدة للغاية فى التحقيق ، هو أن حادث قذف صان رايز بالقنبلة متورط فيه العديد من الأشخاص . وحتى الآن لا نعلم هوية الرجال والنساء الذين كانوا يرتدون زى الجيش الأمريكى ، لكننا متأكدون أنهم لم يكونوا من قوات الجيش ، حيث أكدت لنا مصادرنا فى البنتاجون ذلك . ثم هناك موضوع القنبلة التى سوت البلدة بالأرض تماماً . من الذى صنعها ؟ من الأرجح أن يكون ذلك الشخص ذا خبرة عسكرية . لقد كان شافير يحمل رتبة كولونيل فى الجيش البريطانى . لكنه أيضاً عمل فى القوات المرتزقة .

علاقات عديدة مثيرة للاهتمام ، لا تؤدى لشىء واضح حتى الآن .

استدار قائد المروحية تجاهى وقال : " سنتمكن من رؤية ويلز بمجرد عبورنا تلك الجبال . سيكون بمقدورنا رؤية أضواء المطار ، لكنهم سيستطيعون رؤيتنا كذلك ، فلا أظن أنه بمقدورنا التسلل خفية فى مثل تلك الصحراء ".

أومأت برأسى وقلت : " حاول فقط الهبوط بالقرب من المطار قدر استطاعتك ، وسوف ننسق الأمر مع قوات البلدة هناك . وربما يحدث تبادل لإطلاق النيران ".

قال الطيار : " مفهوم " .

بدأت بعد ذلك فى مناقشة الاختيارات المتاحة مع ويد وموريياتى . هل علينا الهبوط فى أرض المطار نفسه ، أم بالقرب منه فى الصحراء ؟ هل

سبق لأحدهما استخدام سلاحه النارى قبل ذلك ، وهل تعرض أحدهما لإطلاق النار عليه ؟ لقد اكتشفت أنه لم يسبق ذلك لأيهما مطلقاً . شىء رائع !

استدار الطيار نحونا وقال : " ها نحن ذا . سيظهر المطار الآن على يميننا . ها هو ذا " .

فجأة ظهر أمامنا المطار بمبناه المكون من طابقين أشبه ما يكونان بمهبطين للطائرات . وكان بمقدورى رؤية بعض السيارات ولكن لم تكن بينها السيارة البرونكو الحمراء .

عندئذ رأيت طائرة خاصة صغيرة تتهادى ببطء على أحد المهبطين وتستعد للإقلاع .

هل هو شافير ؟ لم يكن هذا معقولا ، لكن لم يكن أى شىء آخر رأيته حتى الآن يبدو معقولاً كذلك .

قلت مخاطباً الطيار : " كنت أعتقد أن قواتنا أغلقت مطار ويلز " .

" وكذلك أنا . ربما كان هذا هو من نسعى خلفه . ولو أن الأمر كذلك فهو يعنى أنه هرب منا ، فطائرته من طراز ليرجيت ٥٥ وهى تطير بسرعة فائقة ".

ومن تلك اللحظة لم يعد بمقدورنا عمل أى شىء سوى مشاهدة ما سيحدث ، حيث أسرعت الطائرة تنهب أرض الممر نهباً وحلقت مرتفعة فى الهواء مبتعدة عنا بكل سهولة . وكان بإمكانى تخيل جيفرى شافير على متنها وهو ينظر خلفه الى مروحيتنا بل ربما كان يلوح لنا أم تراه يلوح لى شخصياً ؟ هل يعلم أننى هنا ؟

بعد عدة دقائق كنا على أرض مطار ويلز ، وسرعان ما جاءتنى الأخبار المزعجة التى تفيد بأن الطائرة اختفت من على شاشات الرادار .

قلت مخاطباً الفنيين الموجودين فى غرفة تحكم مطار ويلز : " ماذا تعنيان بأنها اختفت من على شاشات الرادار ؟ "

أجابني أكبرهما سناً قائلاً : " ما أقوله أنه يبدو وكأن الطائرة اختفت من على سطح الأرض ، كما لو أنها لم تكن موجودة من الأساس " .

لكن ويزل كان هناك ــ لقد رأيت صورته ، والصور موجودة لتثبت ذلك .

الفصل ١٥

كان جيفرى شافير يقود سيارته القوية ذات اللون الأزرق الداكن عبر الصحراء ، حيث لم يكن على متن الطائرة التى أقلعت من مطار ويلز في نيفادا . كان هذا أسهل من اللازم ، وعموما فالمخادعون أمثاله لديهم دوما طرق عديدة للهرب .

وبينما كان يقود سيارته كان يفكر كيف أن تلك الخطة الرائعة العجيبة قد نجحت بالفعل . وأنه كان هناك بالتأكيد إجراءات بديلة فى حال حدوث أى خطأ . كما كان يعلم أن أليكس كروس ورجال المباحث الفيدرالية موجودون فى نيفادا الآن .

هل هذا أيضاً جزء من الصورة الكلية ؟ حسناً ، قد يكون الأمر كذلك ، لكن لماذا كروس ؟ ما الذى يجول بخاطر وولف بشأنه ؟

توقف ويزل أخيراً فى بلدة فالون فى نيفادا حيث كان المقرر هنا أن يقابل الوسيط الذى سيحمل إليه التعليمات . ولم يكن يعلم من يكون هذا الوسيط أو لماذا يجب عليه الاتصال به أو حتى إلى أين تسير العملية . لم

يكن يعلم إلا الجزء المخصص له ، وكانت الأوامر المحددة **له هى الذهاب** إلى فالون للحصول على التعليمات التالية .

وهكذا قام باتباع التعليمات وقام بحجز غرفة فى فندق صغير يدعى " بيست إن فالون " فاتجه مباشرة نحو غرفته . بعد ذلك قام بإجراء مكالمة هاتفية من أحد الهواتف الخلوية الذى كان عليه أن يدمره بعد انتهاء المكالمة كما كانت التعليمات ، ودون الدخول فى تحيات أو مجاملات بدأ الحوار مباشرة .

وبمجرد اتمام الاتصال سمع صوتاً على الهاتف يقول : " أنا وولف " . وتساءل شافير فى نفسه إذا ما كان هذا صحيحاً . فطبقاً للشائعات فإن وولف الحقيقى له أكثر من شبيه يحل محله ، وكل يؤدى دوره ، أليس كذلك ؟

بعدئذ حمل الهاتف له الأخبار المزعجة حيث قال له وولف :" لقد شوهدت يا كولونيل شافير ، ولقد تم تصويرك بالقرب من صان رايز فالى ، هل تعلم هذا ؟ "

حاول شافير الإنكار فى البداية لكن هذا لم يفلح .

" إننا ننظر إلى نسخ من الصور الآن . وهو ما مكنهم من تتبع سيارتك البرونكو حتى ويلز ، ولهذا السبب أخبرناك أن تستبدل سيارتك خارج المدينة وتذهب صوب فالى . فقط ، تحسباً لحدوث أى خطأ " .

لم يعلم شافير بماذا يرد . كيف يتم تحديد مكانه بينما هو فى الصحراء الواسعة ؟ ولِمَ كان كروس هناك ؟

قال وولف ضاحكاً : " آه ، لا تقلق رأسك الجميل بالتفكير يا كولونيل لقد كان من المفترض أن تتم رؤيتك فالمصور يعمل لحسابنا "

" والآن اتجه الى نقطة لقائك بالوسيط فى الصباح ، ولا تنس الاستمتاع بوقتك الليلة فى فالى ، فأنا أريدك أن تخرج وتقتل أحد الأشخاص فى الصحراء . اختر الضحية التى تحلو لك . فقط نفذ مهمتك . **هذا أمر** " .

الفصل ١٦

كنت أزداد إحباطاً و توتراً بمرور الوقت ، كما كانت حيرتى بخصوص القضية تتزايد . فلم تسبق لى رؤية مثل تلك الفوضى ، بمثل هذه السرعة ، طيلة حياتى قط .

فبعد مرور يوم كامل على القصف ، لم يتبق سوى بقعة محترقة وسط صحراء نيفادا ، وبضع أدلة غير مؤكدة . كنا قد تحدثنا مع ثلاثمائة ناج من أبناء البلدة لكن لم يدلنا أيهم على شىء له قيمة . لم يحدث شىء غير معتاد قبل القصف ، كما لم يكن هناك أى غرباء قاموا بزيارة المدينة . لم نجد المركبات العسكرية بعد ، كما لم نعرف من أين أتوا . لا يزال ما حدث فى صن رايز فالى شيئاً غير معقول وبلا تفسير منطقى .

كما لم يكن هناك تفسير لوجود الكولونيل جيفرى شافير هناك أيضاً . لكن وجوده كان بمثابة الصدمة بالنسبة لنا .

لم يعلم أحد حتى مسئوليته عن القصف بعد .

وبعد مرور يومين لم يعد هناك ما يمكنني عمله في الصحراء لذا عدت إلى واشنطن . ولدى وصولي لمنزلي وجدت الجدة نانا والأطفال بل وحتى القطة روزى واقفين في الشرفة الأمامية في انتظاري .

منزلي الحبيب . لماذا لم أتعلم الدرس وأبقى به ؟ قلت لهم مبتسماً وأنا أصعد الدرجات قفزاً : " كم هذا لطيف . لجنة ترحيب . أعتقد أنكم افتقدتموني ، أليس كذلك ؟ منذ متى وأنتم تنتظرون والدكم ؟ "

هزت الجدة والأطفال رؤوسهم في نفس الوقت ، وكان بإمكاني أن أشم رائحة مؤامرة.

قالت الجدة : " بالطبع نحن سعداء برؤيتك يا أليكس . " ثم ابتسمت ابتسامة واسعة . بالطبع كان الجميع في انتظاري ، إنها مؤامرة بالتأكيد .

قالت جاني التي كانت في العاشرة من عمرها وتضع على رأسها قبعة وتظهر من تحتها ضفائرها المجدولة : " لقد أمسكنا بك . بالطبع نحن لجنة الترحيب الخاصة بك . وبالطبع افتقدناك كثيراً يا أبي ، ومن لا يستطيع ؟ "

قال دامون ضاحكاً وهو جالس على حاجز الشرفة : " لقد أمسكنا بك يا أبي " . وكان في الثانية عشرة من عمره ومظهره متوافق مع عمره تماماً بقميصه ذي الأكمام القصيرة والسروال الواسع المصنوع من الجينز .

أشرت نحوه بأصبعي وقلت : " سأنال منك ، لقد كسرت حاجز الشرطة . " ثم ابتسمت وقلت له : " خدعتك ! " .

بعد ذلك كان عليّ أن أجيب على كل أنواع الأسئلة المتعلقة بـ " أليكس " الصغير ثم أريتهم صور الكاميرا الرقمية التي التقطتها لصغيرنا المحبوب .

كان الجميع يضحك الآن ، وهو ما جعل الجو طيباً . وبالفعل كان من الجميل العودة للمنزل ثانية ، حتى إن كنت في انتظار أخبار بخصوص القصف الذي وقع في نيفادا وكذلك عن تورط شافير .

كانت الجدة نانا قد أعدت لي العشاء وبعد أن أنهينا وجبة العشاء اللذيذة المكونة من الدجاج المشوى بالثوم والبصل وشرائح القرع وعيش الغراب والليمون تجمعنا جميعاً للتنظيف وتناول الآيس كريم . بعد ذلك عرضت على جاني رسماً بالحبر كانت قد رسمته لبطلتيها المفضلتين فينوس وسيرينا ويليمز وهو ما كان رقيقاً للغاية . وفي النهاية جلسنا أمام التلفاز سويا لمشاهدة مباراة لكرة القدم . وأخيراً اتجه الجميع إلى الفراش بعد تبادل الأحضان والقبلات . كان هذا لطيفاً ، لطيفاً للغاية . أفضل بكثير من الأمس وبكل تأكيد ليس أفضل من الغد .

الفصل ١٧

فى حوالى الحادية عشرة كنت أصعد نحو درجات السلم متجهاً إلى غرفة مكتبى بالدور العلوى ، وبعد أن أمضيت حوالى عشرين دقيقة فى مراجعة ملف قضية صن رايز فالى استعداداً لليوم التالى ، قمت بالاتصال بـ " جاميلا " فى سان فرانسيسكو . كنت قد تحدثت إليها مرتين فى اليومين السابقين ، لكنى كنت منشغلاً للغاية ، وخمنت أنها على الأرجح قد عادت لمنزلها الآن .

لكن لم يكن هناك مجيب سوى الرسالة الصوتية المتروكة على جهاز الرد الآلى .

لا أحب أن أترك رسائل خاصة أننى تركت لها رسالتين قبل ذلك عندما اتصلت بها من نيفادا ، إلا أننى قررت أن أترك لها رسالة أخرى وقلت فيها : " مرحبا " ، أنا أليكس . مازلت آمل أن تسامحينى لما حدث فى مطار سان فرانسيسكو . إذا أردت المجىء إلى الشرق فى وقت

قريب فسأشترى لك تذاكر الطائرة ، وسأحدثك ثانية فى أسرع وقت . " أفتقدك كثيراً " يا جيم ، الوداع " .

وضعت سماعة الهاتف وأطلقت تنهيدة كانت محتبسة فى صدرى . لقد أفسدت الأمر ثانية ، أليس كذلك ؟ اللعنة ، بلى، لقد فعلت . لِمَ فعلت هذا ؟

نزلت للطابق السفلي وأكلت قطعة كبيرة من خبز الذرة كانت الجدة قد أعدته لتناولها غداً .

لم يساعدنى هذا الأمر بل فى الواقع جعلنى أسوأ ، حيث زاد من شعورى بشأن عاداتى الغذائية . جلست على أحد مقاعد المطبخ واضعاً قطتى روزى على حجرى مربتاً عليها .

" أنت تحبيننى ، أليس كذلك ؟ أليس كذلك يا روزى ، هل أنا شخص لطيف ؟ "

لم تكن هى نهاية المكالمات الهاتفية لتلك الليلة فبعد منتصف الليل بقليل تلقيت مكالمة هاتفية من أحد العملاء الذين كنت أعمل معهم فى نيفادا وكان لدى فريد ويد شيء مثير ليقوله لى حيث قال : " لقد تلقينا هذا النبأ للتو فى فالون . لقد تعرضت موظفة الاستقبال فى فندق " بست إن فالون " للاغتصاب والقتل منذ ليلتين ، ولقد وجدت جثتها فى الحديقة الموجودة بالقرب من موقف سيارات الفندق . كما لو كانت ملقاة هناك لنجدها . ولدينا وصف لأحد النزلاء والذى يمكن أن يكون الكولونيل شافير . وبالطبع وجدنا أنه قد اختفى من فالون . "

الكولونيل شافير . هذا كاف أليس كذلك ؟ لقد اختفى من فالون ، بالطبع اختفى .

الفصل ١٨

لم أحظ بالقدر الكبير من النوم تلك الليلة . وأعتقد أننى حلمت بكوابيس عن ويزل وعن تلك المحرقة التى وقعت فى صان رايز فالى فى نيفادا .

فى الصباح الباكر كان علىّ أن أقوم بالتوقيع على إذن للسماح للأطفال بالذهاب لرحلة ميدانية الى المتحف المائى ناشيونال اكواريوم فى بالتيمور . وفى الرابعة والنصف صباحاً وقبل أن يستيقظوا قمت بتوقيع الأوراق بينما كان المنزل مازال غارقاً فى الظلام ثم تسللت خارجاً للعمل . لم تتح لى الفرصة لوداع الجميع ولم يرق لى هذا ، لكن تركت رسائل لـ " جانى " ودامون أخبرهما بأنى أحبهما . يا لى من أب رقيق المشاعر ، أليس كذلك ؟

قدت سيارتى متجهاً للعمل مستمعاً إلى أسطوانة اليشيا كيز وكالفين ريتشاردسون ، وكانا بمثابة صحبة جيدة لى على الطريق بغض النظر عما ينتظرنى .

فى هذه الأيام كانت التهديدات الكبرى يتم التعامل معها فى مركز إدارة المباحث الفيرالية فى العاصمة واشنطن دى سى . فمنذ هجمات الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ تحول دور المكتب بصورة كبيرة من مجرد منظمة يرى الناس أنها لا تقوم إلا بالتحقيق فيما يقع من أحداث إلى كونه صاحب وظيفة وقاية أكثر كفاءة وفاعلية .

ومن أحدث الإضافات التى تمت فى المركز إنشاء قاعدة بيانات تكلفت ستة ملايين دولار فى المبنى الرئيسى والتى تحتوى على حوالى أربعين مليون صفحة من المعلومات الخاصة بالإرهاب منذ حادث تفجير مبنى التجارة العالمى فى عام ٩٣ .

كان لدينا جبال من المعلومات ، والآن حان الوقت لمعرفة إذا ما كانت هذه المعلومات لها أى قيمة .

كان هناك حوالى اثنى عشر شخصاً يجتمعون لمناقشة موضوع صان رايز فالى فى مركز قيادة العمليات والمعلومات الاستراتيجية فى الدور الخامس . ولقد تم تصنيف القصف الذى حدث للبلدة الصغيرة على أنه " تهديد كبير " . حتى وإن لم نتأكد بعد أن هذا صحيح . حتى الآن لم نكن نفهم أى معنى لما حدث فى صن رايز فالى .

ولم تكن هناك اتصالات ممن ارتكب الحادث مطلقاً .

غير معقول . بل إن ربما عدم اتصال أحد بنا يثير رعبنا أكثر مما لو كان المسئول عن الحادث قد اتصل فعلاً .

كانت غرفة الاجتماعات تلك إحدى أكثر الغرف نشاطاً وراحة فى نفس الوقت وكان بها الكثير من المقاعد الجلدية ذات اللون الأزرق ومنضدة خشبية داكنة اللون وسجادة ذات لون قرمزى وكان معلقاً على أحد جدرانها علمان للولايات المتحدة الأمريكية . وكانت ممتلئة بالرجال ذوى القمصان الأنيقة وربطات العنق المقلمة .

كنت أرتدى سروالاً من الجينز وسترة ذات لون أزرق داكن مكتوب عليها المباحث الفدرالية ، قوات مكافحة الإرهاب . وشعرت بأننى الوحيد

الذى يرتدى ملابس ملائمة لهذا اليوم . فالقضية التى نحن بصددها خطيرة بكل تأكيد وليست كأى قضية أخرى نحن معتادون عليها .

كانت الحجرة مليئة بالناس ذوى المناصب الرفيعة . وأعلاهم رتبة كان بيرت هانينج أحد المدراء الخمسة التنفيذيين لمكتب التحقيقات الفيدرالية . كما كان حاضراً معنا عملاء محنكون من قوات مكافحة الإرهاب الوطنية ، بالإضافة إلى رئيس محللى مكتب المخابرات الجديد الذى يضم أهم الخبراء من مكتب التحقيقات الفيدرالية ووكالة المخابرات المركزية .

كانت شريكته اليوم هى مونى دونيللى ، وهى إحدى المحللات الخبيرات وصديقة مقربة لى منذ أيام عملى فى كوانتيكو .

قلت وأنا أجلس بجانب مونى : " أرى أنه قد تمت دعوتك كذلك . مرحباً بك فى الحفل "

" آه ، لم يكن شيئاً كهذا ليفوتنى ، فهو مثل أفلام الخيال العلمى أو ما شابه هذا . الأمر عجيب حقاً يا أليكس " .

" أجل أنه كذلك حقاً " .

على الشاشة الموجودة فى مقدمة الحجرة كانت هناك إحدى العميلات والمسئولة عن مكتبنا فى لاس فيجاس . كانت العميلة تبلغنا بأمر المكتب الذى تم إنشاؤه داخل حدود البلدة التى كانت تدعى صان رايز فالى . ولم يكن لديها الجديد لتقوله لهذا انتقل الاجتماع بسرعة إلى عملية تقييم وتحديد حجم التهديد .

وهنا أصبح الأمر أكثر تشويقاً .

فى البداية كان هناك نقاش عن احتمال وجود تهديد داخلى من جماعات مثل التحالف القومى أو الأمة الآرية . لكن لم يكن أحد مقتنعاً بأنه بمقدور هذه الجماعات محدودة الفاعلية والقدرات القيام بشىء جيد التخطيط مثل هذا . بعد ذلك نوقش احتمال تورط أحد التنظيمات الإرهابية المتطرفة ، ولقد أمضينا ساعات من النقاشات الحامية بشأن هذه

التنظيمات . حيث كانت موضع اشتباهنا . وبعد ذلك قام مانينج بإعطاء التكليفات الرسمية .

لم يتم تكليفى بشىء وهو ما جعلنى أتساءل ما إذا كنت سأسمع أخباراً بشأن تكليفى من المدير بيرنز قريباً . ولم أكن أرغب مطلقاً فى سماع أى تكليف منه بخصوص هذا الأمر تحديداً ، فآخر ما أريده هو الابتعاد عن واشنطون ثانية خاصة إذا كان هذا مصحوباً بالعودة إلى نيفادا ثانية .

وفجأة ساد الهرج والمرج .

حيث بدأت أجهزة الاستدعاء الخاصة بالحاضرين فى الرنين فى نفس الوقت

وفى خلال ثوان كان الجميع ، وبمن فيهم أنا نفسى ، قد تحققوا من أجهزتهم . فعلى مدار الشهور الأخيرة كان يتم إبلاغ أى تهديد إرهابى إلى العملاء المحنكين عن طريق جهاز الاستدعاء هذا ، سواء كان هذا التهديد عبارة عن لفافة موضوعة فى مترو أنفاق نيويورك أو تهديد بنشر جرثومة الجمرة الخبيثة فى لوس أنجلوس .

كانت الرسالة التى على جهاز النداء الخاص بى : **هناك صاروخان أرض جو مفقودان من قاعدة كيرتلاند الجوية الموجودة فى البوكورك .**

لا يزال التحقيق ساريا فى علاقة هذا الأمر بما حدث فى صان رايز فالى . سنواصل إمدادك بالمعلومات .

الفصل ١٩

الصالحون فى كد وتعب دائمين هذا ما كان مكتوباً على اللوحة المعلقة بالقرب من المطعم وماكينة المشروبات الموجودين فى مركز إدارة المباحث الفيدرالية ، وفي الخامسة والخمسين دقيقة من مساء هذه الليلة تم استدعاؤنا مجدداً لحجرة الاجتماعات الواقعة بالدور الخامس وكانت نفس المجموعة حاضرة وخمن بعضنا أن من كان وراء الحادث قد اتصل بالمكتب بينما كان البعض يعتقدون أن الأمر متعلق بسرقة الصواريخ من قاعدة كيرتلاند .

بعد عدة دقائق وصل ستة عملاء من وكالة الاستخبارات المركزية وجميعهم يرتدون سترتهم ويحملون حقائب مستندات ، وبعد ذلك وصل ستة من أهم رجال وكالة الأمن القومى حيث كانت الأمور تسير على نحو أكثر خطورة الآن .

قالت مونى دونيللى هامسة : " الأمر يزداد صعوبة . يبدو أن الحديث عن التعاون المشترك بين الوكالات المختلفة حقيقة ، فرجال وكالة الاستخبارات المركزية هنا بالفعل " .

ابتسمت لها وقلت :" أنت فى حالة مزاجية رائعة بكل تأكيد "

هزت كتفيها وقالت : " كما كان الجنرال باتون يقول فى ميدان المعركة : " فليساعدنى الله ، فلكم أحب هذا ! ".

فى تمام السادسة دخل المدير بيرنز الحجرة وكان يرافقه توماس وير مدير وكالة المخابرات المركزية وستيفن بوين من وكالة الأمن القومى . وكان عدم الارتياح باديا على ملامح الرجال الثلاثة رفيعى المقام ربما كان هذا يرجع إلى وجودهم فقط معاً ، وهو ما أدى إلى تسلل الشعور بالتوتر إلينا جميعاً .

تبادلت النظر مع مونى . واستمر بعض العملاء فى الحديث حتى عندما اتخذ المدراء الثلاثة أماكنهم فى مقدمة الحجرة . وكانت تلك هى طريقة المحنكين فى إظهار أن مثل هذه المواقف ليست جديدة عليهم . ترى هل هذا صحيح ؟ هل مر أحدهم بموقف مثل هذا قبلاً ؟ لا أعتقد ذلك .

" هلا انتبه الجميع لى ؟ " هكذا تحدث المدير بيرنز وهو ما جعل الغرفة تغرق فى صمت تام ، وثبتت كل العيون عليه .

انتظر بيرنز لحظة حتى ساد الصمت ثم أكمل حديثه :

" أريد أن أعلمكم جميعاً بتطور الأحداث ، إن أول معلومة تلقيناها بخصوص حادث صان رايز فالى . كانت من خلال رسالة أولية تقول ضمناً : " نأمل ألا يصاب أحد فيما سيحدث من عنف " . ولم تحدد بالضبط طبيعة هذا العنف . أو تشير إلى ما تعنيه الكلمة . وكانت هناك تعليمات بألا نكشف أمر هذا الاتصال لأحد وقد تم تحذيرنا أنه لو أننا فعلنا ذلك فستكون العواقب وخيمة ولم تذكر لنا طبيعة هذه العواقب الوخيمة " .

توقف بيرنز للحظة وجال ببصره عبر الحجرة وعندما التقت عيناه بعيني أومأ برأسه ثم أكمل النظر للآخرين وتساءلت عما قد يكون لديه من معلومات لا نعلمها نحن ، وكذلك عمن قد يكون متورطاً بالأمر هل هو البيت الأبيض ؟ أعتقد ذلك .

" ومنذ ذلك اليوم والاتصال يتم بنا بصورة عملية يومية . وكانت الرسائل توجه إلى السيد بوين والسيد وير وإلىّ . وحتى يومنا هذا لم تكن الرسائل تحمل شيئاً ذا أهمية . لكن اليوم وصلنا فيلم يصور عملية القصف التى وقعت فى نيفادا .ولقد تم عمل مونتاج لهذه النسخة ، وسوف أعرضه عليكم حالاً " .

أشار بيرنز بيده بحركة سريعة وعلى الفور بدأ جهاز الفيديو فى عرض الفيلم على حوالى ست شاشات موزعة حول الحجرة . وكان الفيلم المعروض مصوراً بالأبيض والأسود وكان التصوير مشوشاً ومأخوذاً بكاميرا محمولة مثل تصوير الأخبار . بل على الأحرى مثل تصوير الحروب وغرقت الحجرة فى صمت ثقيل أثناء عرض الفيلم .

على بعد ميل أو أكثر قليلا كشفت إحدى زوايا الكاميرا عن شاحنات ومركبات الجيش وهى تصل إلى صان رايز فالى . وبعد لحظات كان يتم اقتياد المواطنين المذعورين من منازلهم المتنقلة إلى الشاحنات .

أخرج أحد الرجال مسدسه لكنه أردى قتيلا على الأرض فى الشارع . وكنت أعرف أن هذا هو دوجي بوسلوسكي .

انطلقت القافلة فى طريقها سريعاً مثيرة سحباً عالية من الغبار وراءها .

وفى اللقطة التالية ظهر جسم ضخم معتم من السماء وبينما كان لا يزال فى الهواء حدث انفجار رهيب .

كان الفيلم الذى يصور الانفجار نفسه قد تعرض للمونتاج أيضاً لكنه كان مصوراً من كاميرا واحدة . وكان المونتاج عبارة عن مجموعة من اللقطات المقطعة لكنها خلقت التأثير المطلوب

بعد هذا كان هناك لقطة واسعة موضحة للانفجار ولم ير أى أثر للطائرة التى ألقت بالقنبلة .

قال بيرنز : " لقد قاموا بتصوير الحادث اللعين بأكمله . لقد كانوا يريدون منا أن نعلم أنهم كانوا هناك وأنهم هم من قاموا بإلقاء القنبلة ومحو البلدة من على الخريطة وفى خلال بضع دقائق سيخبرونا بالسبب وسوف يتصلون بنا " .

" لقد كان الشخص الذى يتصل بنا يجرى الاتصال من أحد الهواتف العامة التى تعمل بالكروت ، وهى طريقة فعالة . وحتى الآن عرفنا أن المكالمات تأتى من محلات لبقالة ودور عرض ومراكز لعب البولينج وهو ما يجعل من عملية التعقب عملية مستحيلة كما تعلمون"

جلسنا صامتين لدقيقة أو اثنتين وكانت هناك بعض المحادثات الجانبية الخاصة تدور .

ثم كسر الصمت ، وانطلق الهاتف الموضوع فى بداية الحجرة فى الرنين .

الفصل ٢٠

قال بيرنز مخاطباً إيانا : " سأضع المكالمة على الميكروفون حتى يسمعها الجميع . لقد قالوا إنه من المسموح ، بل من المستحسن أن نكون جميعاً هنا . بعبارة أخرى ، إنهم كانوا يتوقعون وجود جمع منا هنا . وهم حازمون فى وضع القواعد كما سترون".

همست مونى فى أذنى قائلة : " من هؤلاء بحق الجحيم؟ أرأيت ؟ إنه مثل الخيال العلمى تماماً ، ربما كانوا مخلوقات فضائية ، أراهنك على ذلك " .

" سنعرف بعد لحظات ، أليس كذلك ؟ وعموماً لن أراهن ضدك " .

ضغط المدير بيرنز أحد الأزرار على الحامل المجاور له وعلى الفور سُمع صوت رجل من سماعة الميكروفون وكان واضحاً أن الصوت صادر عبر مرشح خاص .

سمعنا الصوت يقول : " طاب مساؤكم جميعاً ، أنا وولف " .

اقشعر جسدى . كنت أعرف وولف . لقد كنت أطارده لما يقارب العام . وفى الواقع لا أعتقد أننى عرفت قاتلاً متحجر القلب مثله .

جاءهم صوت وولف :

أنا المسئول عن تدمير صان رايز فالى وأود أن أشرح لكم الوضع . على الأقل بقدر ما أنتم بحاجة لمعرفته ، أو على الأحرى بقدر ما أريد أنا منكم أن تعرفوه " .

نظرت مونى تجاهي وهزت رأسها . فقد كانت تعلم وولف هى الأخرى .لم يكن الأمر ليصبح أكثر سوءاً من هذا إلا إذا كان المتحدث هو الشيطان ذاته .

" من الجيد أن أستطيع التحدث معكم خاصة أن مجموعة من الناس رفيعى المقام أمثالكم قد اجتمعوا هنا للاستماع الى حديثى التافه هذا . المباحث الفيدرالية ، الاستخبارات المركزية ، الأمن القومى ، كم أنا منبهر بهذا لقد أخجلتم تواضعى حقاً " .

قال بيرنز : " هل تريد منا أن نتحدث أم أن نستمع إليك ؟ "

" مع من أتحدث بالضبط ؟ هل تمانع فى تعريف نفسك ؟ "

" أنا المدير بيرنز من مكتب المباحث الفيدرالية . ويوجد معى المدير وير من وكالة الاستخبارات المركزية وستيفن بوين من وكالة الأمن القومى " .

كان هناك صوت متقطع على الطرف الآخر وهو على الأرجح صوت ضحكات ثم تحدث الرجل قائلاً : " حسناً ، لقد حدث لى الشرف ثانية يا سيد بيرنز . لقد اعتقدت أنك ستتكلف أحد العملاء وضيعى الشأن بمحادثتى . فى البداية على الأقل ، شخصاً مثل كروس مثلاً لكن من الأفضل فعلا أن نتحدث رأساً برأس ، أليس كذلك ؟ "

قال وير من وكالة المخابرات المركزية : " لقد طلبت هنا وجود الصف الأول من القيادات " فى اتصالك السابق . وصدقنى فإن أفضل الناس

موجودون هنا ونحن نتعامل مع حادث القصف الذى وقع فى نيفادا بكل جدية " .

" لقد كنتم تستمعون بالفعل ، أنا منبهر . لقد سمعت عنك يا سيد وير . ولكنى أعتقد أن الأمور لن تسير بيننا على ما يرام فى المستقبل . "

قال وير : " لماذا ؟ " .

" أنتم يا رجال المخابرات لا يمكن الوثوق بكم ولا حتى للحظة واحدة ... ألا تقرأون ما كتبه جراهام جرين ؟ من غيرك موجود هنا من فريقك فلتحصى لى عددهم " .

جال بينز ببصره محصياً الموجودين بصوت عال لكنه استثنى منهم اثنين ، وتساءلت فى نفسى عن سبب ذلك .

قال وولف بمجرد انتهاء بيرنز من العد : " اختيار رائع فى مجمله . أنا واثق بأنكم تعلمون من الذى يجب الوثوق به ، ومن الذى لا يجب الوثوق به ، وكذلك تعرفون من تستطيعون الاعتماد عليه ـ بحياتكم . وبالنسبة لى فأنا لا أميل لرجال المخابرات ، لكن هذه هى طبيعتى . فأنا أجدهم مجموعة من الكذابين المسببين للخطر بصورة ليس لها داع . هل يعارض أحد من الموجودين فى رأيى هذا ؟ "

لم يتحدث أحد وارتفع ثانية صوت ضحكات وولف وهو يقول : " شىء مثير ، أليس كذلك ؟ حتى رجال وكالة المخابرات المركزية أنفسهم لا يعارضون رأيى المتواضع . "

ثم تغيرت لهجته فجأة وقال : " والآن استمعوا بحرص لما أقول لكم أيها الأغبياء . الأمر هام الآن ، ولابد أن تستمعوا إلىّ . فإذا ما فعلتم ، فسوف يتم إنقاذ حياة العديد من البشر . ويجب أن تطيعونى طاعة عمياء . "

" هل تفهمونى ؟ استمعوا لى وأطيعونى . أريد أن أسمعكم من فضلكم . تحدثوا . هل تفهمون ما أقول يا أوغاد ؟ "

وعلى الرغم من أن الأمر بدا طفولياً وساذجاً إلا أن الجميع تحدث فى صوت واحد ، وقد فهمنا أن وولف يريد أن يرينا أنه متحكم فينا بصورة مطلقة .

وفجأة قال بيرنز بصوت عالى : " لقد اختفى ! لقد أنهى المكالمة ! لقد أغلق الهاتف ذلك الملعون ! "

الفصل ٢١

انتظرنا ساكنين مثل مجموعة من العرائس فى حجرة الاجتماعات ولكن لم يعاود رجل العصابات اتصاله مجدداً . كنت أعلم هذا الوغد جيداً ، ولم أكن أتوقع منه أن يتصل ثانية . لقد كان يتلاعب بنا الآن .

وفى نهاية الأمر عدت إلى مكتبى بينما اتجهت مونى دونيللى إلى فيرجينيا . لم يتم تكليفى بالقضية بعد ـ ليس بشكل رسمى . لكن كان وولف يعلم بأننى سأكون موجوداً فى حجرة إدارة الأزمات ، بل إنه سخر منى وأهاننى فى حديثه ، وهو أسلوبه المعتاد .

ماذا ينوى ؟ هل من المعقول أن يستخدم أحد رجال العصابات مثل هذه الأساليب الإرهابية ؟ هل يريد أن يبدأ حرباً ؟ إن الأمر غير مستبعد على رجل المافيا الروسية ؟ كل ما يحتاجه الأمر هو وجود قائد متحجر القلب والكثير من المال .

كنت أتساءل فى نفسى إذا ما كان شعورى غير العادى بالتوتر والقلق الذى أشعر به هو جزء من خطة ذلك الروسى لزيادة الضغط والتوتر الواقع على الجميع . هل يهدف للتحكم بنا ؟ وأن يختبر صبرنا ؟

وبالطبع كنت أفكر فى جيفرى شافير ومدى علاقته بالأمر . ما معنى كل هذا ؟ كنت قد حصلت على أحدث المعلومات التى لدينا عن شافير . كما وضعنا صديقته السابقة ـ المعالجة النفسية ـ تحت المراقبة . وهى تدعى اليزابيث كاسيدى . وقررت أن ألقى نظرة على الملاحظات التى دونتها هى عنه أثناء جلساته العلاجية .

بعد ذلك ذهبت للمنزل وتحدثت مع الجدة نانا . ولقد اتهمتنى بأننى أكلت شرائح الخبز بالذرة . ولكن حاولت إلقاء اللوم على ديمون لكنها ضحكت بشدة وقالت لى : " لابد أن تتحمل مسئولية أفعالك " .

قلت لها : " حسناً ، أنا أتحمل مسئولية أفعالى . وأنا بالفعل أكلت الخبز ، وأنا سعيد بذلك ، لقد كان لذيذاً " .

بعد ذلك بقليل تم استدعائى لحضور اجتماع آخر فى حجرة إدارة الأزمات . وفيها قال تونى وودز من مكتب المدير مخاطباً حشداً يملأ الغرفة من العملاء بنبرة حزينة : " لقد حدثت تطورات جيدة . لقد انفتحت أبواب الجحيم فى أوروبا " .

صمت تونى وودز لدقائق ثم واصل قائلاً : " لقد وقعت حادثتا قصف أخريان منذ حوالى الساعة . وكلاهما فى أوروبا الغربية " .

" تم إلقاء إحدى القنابل على الجزء الشمالى من انجلترا على منطقة نورشامبرلاند قرب الحدود مع اسكتلندا . ولقد تم محو القرية المسماة ميدلتون هول والبالغ عدد سكانها ما يزيد على الأربعمائة من على الخريطة . ثم توقف وودز لحظة ثم أضاف : " فى هذه المرة لم يتم إخلاء القرية من السكان . ولا نعلم سبباً لهذا . وعدد القتلى يقترب من المائة قتيل حتى الآن ، لقد كان الأمر مذبحة ، لقد ماتت عائلات بأكملها ـ رجالاً ونساءً وأطفالاً " .

" ولقد تلقينا شريطاً مصوراً من شرطة سكوتلانديارد ، والذى التقطه أحد رجال الشرطة من على إحدى سلاسل التلال القريبة من القرية ، وسوف أعرضه لكم لتروه " .

جلسنا لنشاهد الفيلم في صمت تام مغلف بالدهشة . وفى النهاية قال رجل الشرطة نفسه مخاطباً الكاميرا : " اسمى روبرت ويلسون ، ولقد نشأت هنا فى ميدلتون هول والتى محيت تماماً الآن . كان بها شارع رئيسى واحد كبير وبضعة مطاعم ومتاجر ومنازل وأناس أعرفهم . كما كان هناك أيضاً جسر يطلق عليه رويال انجنيرز والذى كان يخرق القرية ، لكن كل هذا أُطيح به الآن . حاكمنا المحلى ، اختفى . وبينما أنا واقف هنا أحدق إلى تلك الأرض الصخرية الآن ، لا يساورنى إلا شعور واحد فقط ، وهو اليأس التام " .

بعد انتهاء عرض الشريط ، أخبرنا تونى وودز عن حادث القصف الآخر والذى وقع فى ألمانيا . وقال إنه لم يكن هناك شريط يصور ما حدث بعد .

" لم يكن الدمار الذى حدث فى بلدة ليبيك مهولاً مثل سابقه ، لكنه كان سيئاً أيضاً . ومن الواضح أن مجموعة من طلاب الجامعة قاموا بالمقاومة ، وقد قُتل أحد عشر طالباً . إن بلدة ليبيك تقع فى منطقة شليسفيج هولشتاين فى ألمانيا ، بالقرب من الحدود مع الدنمارك ، وهى منطقة زراعية منعزلة . ولم يتصل وولف بشأن هاتين الحادثتين . كما أنه لم يتم تحذيرنا مسبقاً هذه المرة . كل ما نعلمه هو أن الأمر يتصاعد . "

الفصل ٢٢

ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ ومتى سيحدث ؟

كان التوتر الذى نشعر به خلال فترة الانتظار التالية محطماً للأعصاب ، فقد كان هناك رجل مجنون يقوم بقصف وتدمير المدن الصغيرة دون حتى أن يخبرنا عن السبب ، أو حتى يخبرنا ماذا كانت الهجمات ستستمر أو حتى تسوء .

لكن فى الوقت الحالى كنت أركز اهتمامى بمحاولة دراسة دقيقة لذلك المجرم المعقد نفسياً المدعو ويزل ، وذلك عن طريق قراءة وإعادة قراءة كل ما هو مكتوب عنه فى الملف السميك . وكان بإمكانى رؤية وجهه وسماع صوته . كم كنت أرغب فى القبض عليه . واصلت قراءة الملاحظات التى دونتها معالجته النفسية والتى كانت تتولى علاجه بينما كان فى واشنطن . ولم تكن الدكتورة كاسيدى طبيبة شافير النفسية فقط ، بل كانت صديقته كذلك .

كانت الملاحظات محيرة للعقل خاصة إذا وضعنا فى **الاعتبار طبيعة** علاقتهما وكيفية تطورها ، وكذلك مدى خطأ تشخيصها **لحالة شافير** . وبينما كنت أقرأ ملاحظات د. كاسيدى قمت بتدوين بعض الملاحظات الخاصة بى .

المواجهة الأولى

رجل معتد بنفسه ذو شكوى دائمة ـ " أعانى من صعوبة بالغة فى التركيز على مشروعاتى " . وصف طبيعة عمله بأنها سرية . كما أوضح أن زملاءه فى العمل يقولون عنه إنه يتصرف بصورة غريبة . ولقد قال المريض إنه متزوج وأب لثلاثة أطفال : فتاتين توأم وولد وأكد أنه سعيد فى منزله ومع زوجته .

الانطباع

مهندم ، جذاب للغاية ، راقى التصرفات ، قلق إلى حدٍ ما ، له حضور قوى . مبالغ إلى حدٍ ما فى وصف إنجازاته السابقة .

الاستبعاد

انفصام الشخصية .
الاضطراب الناتج عن الأوهام والهلاوس .
الاضطراب الناتج عن تعاطى مواد معينة (خصوصاً المشروبات الكحولية أو أى مخدرات مسببة للتهيؤات) .
فرط النشاط الناتج عن الرغبة فى جذب الانتباه .
اضطراب الشخصية الحدّى .
الاكتئاب التوحيدى .

المقابلة رقم ٣

تأخير عشر دقائق على موعد اليوم . أظهر بعض المضايقة عندما تم سؤاله عن سبب التأخير . أكد أنه يشعر بأنه " فى حالة رائعة " ، ومع هذا بدا عليه عدم الارتياح والقلق خلال الجلسة .

المقابلة رقم ٦

عندما تم سؤاله عن حياته الأسرية والمشكلات المتعلقة بها بدا يتصرف بصورة غير لائقة : حيث كان يضحك ويمشى بصورة متوترة ، وإلقاء ألفاظ جنسية فاضحة ، وبدأ يسألنى عن حياتى الخاصة . وأكد لى أنه يفكر فىّ كثيراً حتى أثناء تواجده مع زوجته .

المقابلة رقم ٩

هادئ اليوم ، يتصرف بهدوء لكنه ينكر إصابته بالاكتئاب . يشعر بأن الناس حوله " لا يفهمونى " استمر فى وصف مشكلاته الشخصية مع زوجته وعدم قدرته على التواصل معها . استمر فى وصف أفكاره الجنسية ورفض أن يكف عن ذلك عندما طلبت منه ذلك . أعلن لى أنه " مغرم " بى .

المقابلة رقم ١١

تغير ملحوظ فى سلوكه اليوم . مفعم بالنشاط والحيوية وذو شخصية جذابة طاغية (احتمال وجود اضطراب اجتماعى) . عندما سُئل عن حاجته لجلسات أخرى أكد قائلاً : " أشعر أننى فى حالة رائعة " وعندما سُئل عن أحواله مع زوجته أجاب قائلاً : " الأمور على ما يرام ، فهى تعشقنى " .

تحدث معى عن مجموعة من السلوكيات العنيفة التى قام بها الأسبوع الماضى منها قيادة سيارته بسرعة جنونية ودخوله عن عمد فى مطاردة مع الشرطة . كذلك تورطه فى علاقة جنسية مع امرأة أخرى ، عاهرة على الأغلب . كان يتحدث معى اليوم بنعومة وبدا مقتنعاً بأننى " أريده " .

المقابلة رقم ١٤

لم يأت إلى المقابلة السابقة ، ولم يتصل . أبدى اعتذاره اليوم ، لكنه أصبح غاضباً فيما بعد وقلقاً . قال إنه بحاجة إلى مكافأة نفسه ، تحدث معى عن شهوته الجنسية المتزايدة ، وعن مرافقته للعديد من النساء نظير أجر مرتفع .

قال إنه على الأرجح " يحبنى " ، لم يحدث أى تأثير عندما ذكر هذا لى على الإطلاق . أعترف بأننى كنت مشدوهة . يبدو أن الكولونيل شافير يحضر تلك الجلسات لغرض واحد فقط وهو إغوائى . ولسوء الحظ ، أعتقد أنه نجح فى هذا .

الفصل ٢٣

بعد قراءة ملحوظات د. كاسيدى شعرت بالدهشة أنا الآخر . بصورة كبيرة فى الواقع . فقد بدأت الملاحظات تنحاز بجانب شافير منذ الجلسة السادسة عشرة ، ولم تعد تحتوى على وصف لمشاعره الخاصة التى بالتأكيد أدت إلى قيام العلاقة بينهما .

بعد ذلك توقفت د. كاسيدى عن كتابة أى ملاحظات على الجلسات تماماً . وأعتقد أن هذا كان متزامناً مع الوقت الذى بدأت فيه علاقتهما . وهو ما وجدته شيئاً لا يصدق ، بل ويتنافى مع أصول مهنة الطبيبة وبكل تأكيد تحتوى هذه الملاحظات على ما يؤكد على مهارة شافير ومدى مرضه كذلك .

وفى وقت متأخر من تلك الليلة تلقيت اتصالاً هاتفياً للذهاب إلى غرفة إدارة الأزمات ثانية . وقيل لى فى هذه المكالمة إن وولف سوف يتصل فى وقت قصير . لابد أن لهذا الأمر أهميته . لقد بدأ العد التنازلى .

عندما جاءت المكالمة بدأ وولف حديثه بكل هدوء قائلاً : " أشكركم على تجمعكم ثانية من أجلي . وسأحاول ألا أسبب لكم أى إحباط ، أو أن أضيع وقتكم الثمين . هل لدى أحد منكم أيها المدراء بيرنز وبوين ووير أى شيء تودون قوله قبل أن أبدأ حديثى ؟ " .

قال بيرنز : " لقد طلبت منا الاستماع إليك ، وها نحن ذا نستمع إليك " .

ضحك وولف عالياً ثم قال : " أنا معجب بك يا بيرنز ، ولا أظن أننى سأضعك فى قائمة أعدائى ، وبالمناسبة ، هل السيد ماهونى هنا فى هذه الحجرة ؟ " .

نظر رئيس فريق إنقاذ الرهائن ماهونى إلى بيرنز والذى أومأ إليه مانحاً إياه الإذن بالحديث .

جلس نيد ماهونى منتصباً فى مقعده وقال : " نعم ، أنا هنا ، وأستمع إليك . هل هناك ما يمكننى عمله من أجلك ؟ " .

" يمكنك مغادرة الحجرة الآن يا سيد ماهونى . أخشى أنه لم يعد هناك حاجة إليك . فوجودك لا يناسبنى ، حيث إنه خطر إلى حدٍ كبير . ونعم ، أنا جاد فيما أقول " .

أشار بيرنز إلى ماهونى كى يرحل .

قال وولف : " لن تكون هناك حاجة إلى فريق إنقاذ الرهائن التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالية ، فإذا ما وصلت الأمور لهذا الحد ، أؤكد لكم أن كل شيء سيضيع . أتمنى أن تكونوا قد بدأتم فى فهم طريقة تفكيرى . فأنا لا أريد أن يتم إدخال فريق مكافحة الرهائن فى الأمر ، ولا أريد أن يتم إجراء أى تحقيقات بعد الآن . أوقفوا كل شيء " .

" هل تسمعوننى ؟ لا يجب أن يحاول أحد معرفة هويتى - أو هويتنا . هل تفهمون ما أقول ؟ أرجو أن تجيبوا علىّ " .

أجاب جميع من بالحجرة بـ " نعم " ، وقد فهم الجميع أنه يريدنا أن نشعر بأننا مجرد أطفال ، وربما كان فقط يستمتع بإهانة كل من

مكتب المباحث الفيدرالية ووكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومى " .

قال وولف : " على كل من لم يجيب بـ " نعم " أن يغادر الحجرة الآن ... كلا ، كلا ، اجلسوا ، لقد كنت أحاول المزاح معكم . أنا من النوعية التى قد تطلقون عليها " الإنسان المبدع " . ولكنى جاد فيما قلته عن السيد ماهونى وعن عدم السماح بأى تحقيق بعد الآن . أنا جاد فى هذا الأمر كل الجدية

" والآن دعونا نتحدث . فيما نحن اليوم بصدده . إنها مناسبة مثيرة بالفعل وأتمنى أن يدون أحدهم ملاحظات عمّا أقول " .

سادت فترة صمت لحوالى خمس عشرة ثانية ثم أكمل وولف حديثه قائلاً : " أريدكم أن تعرفوا المدن المستهدفة فقد حان وقت ذلك " .

" هناك أربع مدن مستهدفة - وأنصح تلك المدن بأن تستعد لأسوأ الاحتمالات قاطبة . حيث يجب أن تستعد تلك المدن لحدوث ما يشبه الدمار الشامل " .

سادت فترة صمت قصيرة بعدها قال :

" المدن المستهدفة هى .... نيويورك .... لندن .... واشنطن .... فرانكفورت . ويجب أن تستعد تلك المدن لأسوأ كارثة فى التاريخ . ويجب أن أحذركم من أنه لا يمكن أن تتسرب كلمة واحدة مما أقوله ، وإلا فسوف أضرب ضربتى على الفور " .

ثم اختفى ثانية . ولم يحدد لنا الموعد النهائى لحدوث تلك الكارثة .

الفصل ٢٤

بعد مرور ساعتين من بدء الاجتماع بدأ الرئيس الأمريكى فى الحضور بكامل انتباهه وكان ذلك بحلول الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، بعد أن شرب أربعة أقداح من القهوة المركزة الخالية من السكر .

وقد انعقد مجلس الأمن القومى فى مكتبه منذ الساعة الثالثة والنصف صباحاً ، وكان من بين الحضور كبار رجال المخابرات بالإضافة إلى العديد من الخبراء وكان الجميع يأخذ تهديدات وولف بكل جدية .

وأخيراً شعر الرئيس بأن لديه ما يكفى من المعلومات لاجتماعه التالى الصعب ، لكن لم يكن متأكداً للغاية ، وخاصة عندما يكون للسياسة دخل بمثل هذه الحالة الطارئة الخطيرة .

قال أخيراً محدثاً كبير مساعديه : " فلنبدأ هذا الاجتماع المجنون ، هيا بنا " .

بعد عدة دقائق كان يتحدث مع المستشار الألمانى ورئيس الوزراء البريطانى ، وكانت صورتهم جميعاً ظاهرة على الشاشات الخاصة بمؤتمر الفيديو العجيب المنعقد .

كان من الصعب على الرئيس أن يفهم ولكن لم تكن هناك أى معلومات مؤكدة عن هوية أو مكان وجود وولف لدى أى من أجهزة مخابرات الدولتين الأخريين ،وبالمثل لم تكن لديه معلومات هو الآخر .

قال المستشار الألمانى : " أخيراً اتفقنا على شئ " .

قال رئيس الوزراء البريطانى مؤكداً على كلامه : " الكل يعلم بأنه موجود ، لكن لا يدرى أحد بمكان وجوده . ونحن نعتقد أنه أحد رجال المخابرات الروسية السابقين ونعتقد أنه فى الأربعينات من عمره ، لكن كل ما نعلمه هو أنه ماهر للغاية ، إن الأمر يصيبنا بالجنون " .

اتفقوا جميعاً على تلك الحقيقة ، وبعد ذلك اتفقوا على أمر آخر أكثر أهمية .

لا يمكن إجراء مفاوضات مع الإرهابيين .

بصورة أو بأخرى ، لابد أن يتم القبض على وولف ـ والقضاء عليه بلا رحمة .

الجزء الثانى

اتجاهات خاطئة

الفصل ٢٥

كانت كل المدن الكبرى تشبه بعضها البعض من وجهة نظر وولف الآن ، حيث انتشرت الأعمال والشركات متعددة الجنسيات في كل مكان وتبعها انتشار الجرائم العظمى كذلك . كان وولف قد قضى جزءاً من الليل وهو يمشي في إحدى أكبر وأهم المدن ، ولا يهم أيها تكون ، حيث يشعر رجل العصابات الروسي بالراحة في جميعها تقريباً .

لكنه الليلة كان في واشنطن دي . سي ، حيث كان يخطط لخطوته القادمة .

لم يكن أحد يفهم وولف ، ولا أي مخلوق كان بإمكانه ذلك . ومع أنه من المستحيل كذلك أن نجد أن شخصاً يفهم أي شخص آخر بصورة كاملة إلا أنه في حالة وولف كان من المستحيل تماماً على أي شخص أن يفهم مدى ما يشعر به من جنون العظمة والارتياب ، وهو شيء محفور في داخله منذ وقت بعيد ، خاصة في باريس ، شيء تحول إلى كيان مادي ملموس ، سم يدمر أعضاءه ، نقطة ضعف له كما يعتقد . ولقد قاده جنون

العظمة والارتياب ، وشعوره الأكيد بملاقاة الموت فى أى لحظة ، ليس إلى حب الحياة بالتحديد ، ولكن إلى حاجته للعب فيها بشراسة ، والفوز بكل ما هو أمامه ، مهما كان الثمن أو على الأقل ، عدم الخسارة مطلقاً .

لهذا كان وولف يمشى فى شوارع وسط مدينة واشنطن وهو يخطط فى رأسه للمزيد من جرائم القتل .

وحيداً ، دائماً وحيداً . ممسكاً كرته المطاطية الصغيرة فى يده بإحكام . هل هى تعويذة للحظ السعيد ؟ ليس بالضبط . لكن مما يدعو للسخرية أنها بمثابة مفتاح لمعرفة كل شىء عنه . هذه الكرة السوداء الصغيرة .

حان وقت التفكير ، والتخطيط ، والتنفيذ ، هكذا كان يذكر نفسه . كان واثقاً من أن الحكومات لن ترضخ لمطالبه ، فلن يستسلموا بهذه السهولة . ليس بعد ، ليس بهذه السهولة .

كانوا بحاجة لدرس آخر . أو ربما أكثر من درس واحد .

لهذا كان يقوم بتلك الجولة الليلية حول منزل مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية بيرنز الواقع فى إحدى ضواحى واشنطن .

كم هى حياة يحسد عليها تلك التى يعيشها ذلك الرجل مع عائلته ، هكذا كان يشعر وولف بصدق .

كان منزل المزرعة جذاباً رحباً معتنى به على نحو يشبه منزل الأحلام الأمريكى . وفى المشى كانت هناك سيارة عائلية زرقاء من طراز ميركورى . وكان يوجد جاجز تستند عليه ثلاث دراجات . وفى الساحة الأمامية كان يوجد لوح به حلقة كرة سلة مثبتة بلوح زجاجى ذى حواف بيضاء ساطعة .

هل ينبغى أن تموت تلك العائلة ؟ إنها مهمة بسيطة سهل تنفيذها . ممتعة إلى حدٍ ما كذلك . وتستحق إتمامها بكل عناية .

لكن هل هذا هو أبلغ الدروس أثراً ؟

لم يكن وولف متأكداً . لذا كانت الإجابة على الأرجح بالنفى .

كما أنه توجد أهداف أخرى لابد من وضعها بالحسبان .

توجد ضغائن يجب تسويتها .

ماذا يمكن أن يكون أفضل من هذا ؟

فالانتقام شىء يجب الإعداد له بكل هدوء وتأن ، هكذا كان يفكر وولف وهو يعتصر الكرة المطاطية بقبضته مراراً وتكراراً .

الفصل ٢٦

أهلاً بكم فى ذلك القسم من حكومتنا الفيدرالية المهووس بمعالجة المواقف والعمليات الطارئة بأغرب السبل والوسائل . كان هذا هو ما أقوله لنفسى مراراً كلما دخلت المبنى الرئيسى ، ولم تبد هذه الجملة لى أكثر صدقاً وواقعية مما بدت خلال تلك الأيام القليلة الماضية .

أما ما جرى بعد ذلك فقد كان متماشياً مع الأسلوب المتبع فى معالجة الأزمات مصحوباً ببضعة توجيهات رئاسية لنا والتى كان لها أبلغ الأثر على المكتب ، إن الاستجابة لتهديدات وولف تنقسم إلى قسمين هما : " التحقيق " و " التعامل مع العواقب " وسوف يشرف مكتب التحقيقات الفيدرالية على مهمة التحقيق ، بينما ستتولى الوكالة الفيدرالية لإدارة الطوارئ مهمة " التعامل مع العواقب " .

كم كان الأمر أنيقاً ومنظماً ، وعقيماً تماماً ، على حسب ما أظن على أى حال .

ولأن التهديد كان موجهاً إلى منطقتين هامتين فى الولايات المتحدة ، نيويورك وواشنطن العاصمة تحديداً ، فلقد تم الاستعانة بطريق إدارة الطوارئ الداخلية كذلك ، وتقابلنا معهم فى الدور الخامس من المبنى الرئيسى . وبدأت أشعر أننى أعمل خارج مركز الأزمة الحقيقى ، فقد كانت الأمور مملة رتيبة .

كان أول الموضوعات المطروحة للمناقشة هو عملية تقييم الخطر . وبسبب ما حدث للثلاث مدن التى تعرضت للقصف فقد كنا نأخذ الأمر على محمل الجدية . وكان يدير المناقشة النائب الجديد لمدير المكتب المدعو بوب ماكلفاين الابن وكان مدير المكتب قد أقنعه بالعدول عن قرار التقاعد لأنه كان يجيد أداء عمله . وتحدثنا لبعض الوقت عن احتمال كون الأمر مجرد إنذار كاذب حيث إننا تعرضنا بالفعل للعديد منها خلال العامين الماضيين . ولقد تم الاتفاق على أن الأمر ليس مجرد إنذار زائف . ولقد كان بوب ماكلفاين متأكداً من هذا ، وهو ما كان كافياً لمعظمنا .

ثانى ما تناولناه من موضوعات كان التعامل مع العواقب لهذا تولت الإدارة المعنية بهذا إدارة الجلسة . وبدا واضحاً أن القدرة على توفير الرعاية الصحية اللازمة للتعامل مع أى انفجار ضخم فى واشنطن أو نيويورك أو كليهما فى نفس الوقت كانت محل شك . كما أن خطر القيام بعمليات إجلاء فورى للمواطنين عظيم حيث سيؤدى الذعر الذى سيسود المدينتين وخاصة نيويورك إلى مقتل الآلاف .

كان الكلام النظرى ، والواقعى كذلك ، الذى تعرضنا له هذا الصباح من أكثر الأشياء التى شاركت فيها إثارة للرعب ، ولم ينتج عنه إلا زيادة شعورى هذا سوءاً . وبعد أن قضينا نصف ساعة لتناول الغداء - لهؤلاء الذين لديهم شهية طيبة - وإجراء المكالمات الهاتفية ، بدأنا فى مناقشة المشتبه بهم المحتملين .

من المسئول عن هذا الأمر ؟ هل هو وولف ؟ المافيا الروسية ؟ أم هل تكون هناك جماعة أخرى ؟ وما الذى يريدونه بالتحديد ؟

كانت القائمة المبدئية للمشتبه بهم الآخرين طويلة ، لكن سرعان ما تلخصت فى التنظيمات الإرهابية المتطرفة ، وأى جماعة أخرى تعمل من أجل الربح وتعمل بالتنسيق مع إحدى الجماعات الإرهابية المنتظمة .

وفى النهاية تحول الحديث إلى " خطوات التحرك " . وهو ما كان يقوده مكتبنا . ثم وضعت نقاط مراقبة ثابتة ومتحركة حول العديد من المشتبه بهم فى الولايات المتحدة وأوروبا والشرق الأوسط . لقد بدأنا التحقيق بالفعل فى واحدة من أضخم عمليات التحقيق فى التاريخ .

وكل هذا كان ضد الأوامر الواضحة المباشرة التى وجهها لنا وولف .

لاحقاً فى تلك الليلة كنت أراجع بعض المعلومات التى جمعتها عن جيفرى شافير مؤخراً ، سواء هنا أو فى أوروبا ، أوروبا ؟ هل يمكن أن يكون هذا هو منشأ تلك الخطة ؟ هل كان هذا آتياً من انجلترا - حيث عاش جيفرى لسنوات هناك ؟ أم ربما من روسيا ؟ أم من إحدى المستعمرات الروسية الواقعة بداخل الولايات المتحدة ؟

قرأت بعض التقارير الخاصة بالسنوات التى عمل بها شافير مع رجال المرتزقة فى أفريقيا .

وفجأة خطر لى شىء ما .

عندما سافر إلى انجلترا فى آخر مرة كان متنكراً : حيث دخل إلى البلد جالساً على كرسى متحرك . وعلى الأرجح سافر عبر لندن مستخدماً ذلك التنكر . ولم أكن على يقين من معرفته أننا نعلم بهذا .

كان هذا دليلاً ، لذا قمت بإدخاله إلى النظام على الفور موضحاً أنه شىء ذو أهمية .

ربما كان ويزل يستخدم نفس التنكر فى واشنطن .

وربما أصبحنا نسبقه بخطوة أخيراً ، بعد ما كان يسبقنا هو بخطوتين .

وبهذه الملحوظة شعرت أخيراً بأن الليل قد حل ، فقد كنت آمل أن ينتهى ذلك اليوم الطويل أخيراً .

الفصل ٢٧

فى صباح اليوم التالى كان ويزل يتحرك مخترقاً الحشود التى تملأ محطة يونيون ستيشن على مقعده المتحرك المتداعى ذى العجلات ، وكانت تملأ رأسه أسعد الأفكار . كم كان يحب الفوز ،وقد كان يفوز بصورة دائمة الآن .

كان جيفرى شافير يعرف العديد من الناس ذوى الخبرة العسكرية فى واشنطن العاصمة وهو ما جعل له فائدة عظيمة للعملية . كما كانت له اتصالاته فى لندن كذلك وهى إحدى المدن المستهدفة هى الأخرى ، لكن هذا لم يكن له نفس الأهمية لـ " وولف " . ومع هذا فقد كان يشعر بأنه عاود اللعب ثانية ،وكان يجب أن يشعر بأنه إنسان ذو قيمة .

بالإضافة إلى ذلك فقد كان يرغب فى إيذاء أكبر كم ممكن من البشر فى الولايات المتحدة ، فقد كان يحتقر الأمريكان . ولقد أعطى له وولف الفرصة حتى يسبب بعض الضرر الحقيقى هنا ، تكسير للعظام ، قتل جماعى .

كان جيفرى قد قام بتقصير شعره مؤخراً ، كما قام بصبغه باللون الأسود كذلك . وعلى الرغم من أنه لم يستطع إخفاء طوله الفارع والذى يصل إلى مائة وخمسة وثمانين سنتيمتراً ، إلا أنه حصل على تلك الفكرة الرائعة من أحد شركائه . فعلى الأقل أثناء النهار كان يتنقل فى أرجاء واشنطن على كرسيه ذى العجلات ، وهو كرسى حديث يمكنه وضعه بسهولة فى مؤخرة السيارة التى يقودها . وإذا ما لاحظه أحد ، وكان ذلك يحدث بالطبع ، فلم يكن أحد ليشك فيه .

فى السادسة والثلث من صباح ذلك اليوم التقى شافير مع أحد رجال وولف فى محطة يونيون ستيشن . وبعد أن وقفا فى أحد الطوابير ـ حيث وقف الرجل خلف شافير ـ لشراء المشروبات بدآ فى الحديث بصورة بدت وكأنها محادثة عادية تلقائية .

قال الرجل الذى كان يعمل مساعداً لأحد كبار رجال مكتب المباحث الفيدرالية : " لقد بدأوا التحرك . لم يلق أحد بالا لتحذيراتنا لهم بألا يقوموا بالتحقيق . ولقد بدأوا بالفعل فى وضع نقاط للمراقبة فى المدن المستهدفة . وهم يبحثون عنك هنا بالطبع . ولقد تم تكليف العميل كروس بتعقبك " .

قال شافير مبتسماً ابتسامة خفيفة : " لم أكن لأتوقع غير ذلك " . ولم يكن مندهشاً من موضوع المراقبة بالفعل . فلقد تنبأ وولف بحدوث ذلك ، كما تنبأ هو أيضاً . واستمر واقفاً فى الصف حتى اشترى مشروبه وبعد ذلك ضغط أحد أزرار الكرسى والذى تحرك به فى الحال إلى أحد هواتف العملة الموجودة بالقرب من أكشاك التذاكر . واحتسى مشروبه الساخن بينما كان يجرى الاتصال .

قال مخاطباً المرأة التى أجابته : " لدىّ مهمة من أجلك وأجرها جيد للغاية . خمسون ألف دولار مقابل ساعة واحدة من وقتك " .

" حسناً ، أنا لها إذن " هكذا ردت المرأة التى كانت واحدة من أمهر القناصة فى العالم .

الفصل ٢٨

حدثت المقابلة مع متعهدة التنفيذ قبل الظهيرة بقليل فى المطعم الكائن بالمركز التجارى المدعو تايونز كورنر مول حيث التقى الكولونيل شافير بالنقيب نيكول ويليامز وجلسا إلى مائدة صغيرة فى مواجهة محل بيرجر كينج مباشرة .

كانت شطائر البيرجر وأكواب الصودا موضوعة أمامهما على المائدة لكن لم يتناول أيها ما كان الكولونيل يطلق عليه " طعام الأمريكان اللعين المفسد للجسم " .

قالت النقيب نيكول ويليامز مبتسمة عندما رأته على الكرسى ذى العجلات : " عجلات لطيفة . أنت لا تخجل من هذا ، أليس كذلك ؟ " .

قال وهو يبتسم لها : " مادامت تفلح فلا ضرر منها يا نيكى ، وأنت تعرفين جيداً ، فأنا أقوم بمهمتى مهما استلزم الأمر منى " .

" أجل ، أنا أعرفك يا كولونيل وبالمناسبة ، أشكرك على تفكيرك بى فى هذا الأمر " .

قال لها : " انتظرى حتى تعرفى طبيعة المهمة أولاً قبل أن تشكرينى " .

" لهذا أنا هنا ، لأستمع إليك " .

فى الواقع كان القلق يساور الكولونيل إلى حدٍ ما ، فلقد اندهش لرؤية نيكول ويليامز وقد تركت العنان لنفسها منذ آخر مرة عملا فيها سوياً . وكان يبدو أن طولها يبلغ قرابة المائة وسبعين سنتيمتراً لكن وزنها يقارب المائتى رطل الآن .

ومع هذا كانت نيكول ويليامز تعطيه إحساس المحترفة الماهرة كشأنها دائماً . كانا قد عملا سوياً لستة أشهر فى أنجولا وكانت كابتن ويليامز ماهرة للغاية فى تخصصها ، وكانت دوماً تنجح فى تنفيذ ما تُكلف به .

أخبر نيكول ويليامز بدورها فى المهمة وكرر عليها المبلغ الذى ستحصل عليه والذى كان عبارة عن خمسين ألف دولار مقابل ساعة أو أقل من العمل ، وكان أكثر ما يعجبه فى نيكول هو أنها لا تشكو مطلقاً من صعوبة أى مهمة ، أو حتى ما يواجهها فيها من مخاطر .

كان السؤالان الوحيدان اللذان سألتهما له بعد ما زودها بتفاصيل دورها ، وليس الهدف الحقيقى نفسه بعد ، هما : " ما هى الخطوة التالية لى ؟ " . ومتى سننفذ العلمية ؟ " .

" غداً فى تمام الواحدة ستذهبين إلى مطار ماناساس ريجونال فى فيرجينيا . وسوف تهبط هناك مروحية من طراز إم دى ٥٣٠ فى الواحدة وخمس دقائق لالتقاطك ، وسيكون على متنها بندقية من طراز إتش كيه . بى إس جى ١ من أجلك " .

قطبت ويليامز جبينها وهزت رأسها قائلة : " آه ، إذا لم يكن عندك مانع فسوف أحضر السلاح الخاص بى . وأنا أفضل البندقية وينشيستر إم ٧٠ برصاصاتها الـ ٣٠٠ وين ماجنون ذات الرأس المستدق . ولقد

اختبرتها بنفسى وهم أفضل ما يلائم تلك المهمة . لقد قلت إنه يجب أن يتم اختراق الزجاج ، أليس كذلك ؟ " .

" أجل أيتها النقيب ، فلابد أن تصوبى على الهدف وهو موجود فى مكتبه داخل أحد المبانى " .

لم يكن لدى شافير أى مانع فى تغيير الأسلحة . حيث كان قد عمل مع العديد من القناصة قبلاً وكان يعلم أن لكل منهم ذوقه الخاص وطريقته الخاصة فى إنجاز الأشياء . ولقد توقع أن تقوم بطلب بعض التعديلات فى الخطة لكنه فوجئ أنه لا يوجد أى شىء آخر " .

قالت نيكول ويليامز أخيراً : " حسناً ، من الذى سيموت غداً ؟ لابد أن أعرف هذا بالطبع " .

أخبر شافير نيكى باسم الهدف ، ومما يحسب لها أنها لم تبد اندهاشها قط ، بل كان رد فعلها الوحيد هو قولها : " لقد ارتفع السعر إذن ، أريد الضعف " .

أومأ الكولونيل برأسه ببطء وقال : " اتفقنا . سيكون هذا مناسباً أيتها النقيب " .

ابتسمت نيكول وقالت : " أعتقد أننى قبلت مبلغاً أقل مما توقعت أنت ، أليس كذلك ؟ " .

أومأ الكولونيل ثانية وقال : " بلى ، لكننى سوف أعطيك خمسين ألفاً إضافية ، فقط نفذى المهمة بنجاح " .

الفصل ٢٩

كان لدينا أخيراً تقدم ملحوظ فى القضية . أخيراً لدينا شيء ما ، وقد بدأ هذا بفكرة خطرت لى . الكرسى ذو العجلات ! أخيراً لدينا دليل يمكن اقتفاؤه .

فى العاشرة من صباح اليوم كنت أسرع مخترقاً مدينة واشنطن متجهاً صوب مبنى فاراجوت الواقع فى طريق كاتيدرال أفينيو . منذ ثلاث سنوات قُتلت إحدى زميلاتى وتدعى باتسى هامبتون فى مرآب ذلك المبنى على يد جيفرى شافير . وقد كان هذا المكان حيث تقطن المعالجة النفسية الخاصة به .

كنا قد وضعنا الدكتورة كاسيدى تحت المراقبة لمدة الست والثلاثين ساعة الماضية ، ولقد أفلح الأمر . لقد ظهر ويزل . كان قد أوقف سيارته فى ذات المرآب الذى قتلت به باتسى ثم صعد إلى الشقة رقم ١٠ دى والتى تعيش بها الدكتورة كاسيدى .

لقد أتى على كرسيه ذى العجلات .

قمت باستقلال المصعد برفقة أربعة من عملائنا وكنا قد أشهرنا أسلحتنا بالفعل وقلت مذكراً إياهم ونحن نخطو خارج المصعد فى الدور الخاص بشقة المعالجة النفسية : " إنه رجل خطير للغاية أرجو أن تأخذوا كلامي بكل جدية " .

كان قد تم طلاء المكان منذ آخر مرة جئت فيها إلى هنا ، وكان الكثير مما أراه مألوفاً لدى . وبدأ الشعور بالحنق يعاودنى عندما تذكرت مقتل باتسى هامبتون على يد ويزل .

ضغطت جرس الشقة رقم ١٠ دى .

صحت بعد ذلك قائلاً : " المباحث الفيدرالية . افتحى الباب ، المباحث الفيدرالية يا دكتورة كاسيدى " .

انفتح الباب ووجدت نفسى أحملق إلى المرأة الطويلة الشقراء الجذابة والتى تعرفتها على الفور .

تعرفت اليزابيث كاسيدى علىّ أيضاً وقالت : " د. كروس يا لها من مفاجأة . حسناً ، ربما هى ليست كذلك " .

وبينما كانت تتحدث سمعت صوت حركة الكرسى ذى العجلات من خلفها ، لذا أشهرت مسدساً ونحيتها جانباً " .

ثم صوبت سلاحى .

قلت صارخاً : " توقف مكانك ! توقف ! " .

ظهر الكرسى ذو العجلات والرجل الجالس فوقه أمامى بصورة واضحة . هززت رأسى ببطء وخفضت سلاحى . وكتمت سبة فى نفسى . وكان بإمكانى الإحساس بالخديعة .

تحدث الرجل الجالس على الكرسى قائلاً : " من الواضح أننى لست الكولونيل شافير ، ولم أقابله قط . أنا ممثل مسرحى أدعى فرانسيس نيكولو . وأنا مقعد بالفعل لذا أرجو ألا تعاملونى بقسوة من فضلكم " .

" لقد قيل لى أن آتى إلى هنا ودُفع لى مقابل هذا مبلغ كبير . ولقد قيل لى أن أبلغكم بتحيات الكولونيل وأنه يقول لكم إنه كان عليكم اتباع

التعليمات الواضحة الموجهة إليكم . وبما أنكم هنا ، فيبدو أنكم لم تفعلوا هذا " .

انحنى الجالس على الكرسى قليلاً وقال : " هذا هو دورى . هذا هو كل ما أعرف . كيف كان أدائى ؟ هل هو مقبول ؟ يمكنكم التصفيق إذا ما رغبتم " .

قلت له : " أنت مقبوض عليك " .

ثم استدرت مخاطباً الدكتورة كاسيدى وقلت : " وأنت كذلك . أين هو ؟ أين شافير ؟ " .

هزت رأسها وقالت وقد بدا عليها الحزن الشديد : " لم أر جيفرى منذ سنوات . إنه يستغلنى ، تماماً كما يستغلك . لكن الأمر أقسى بكثير علىّ بالطبع حيث إننى أحببته . عليك أن تعتاد على هذا . فهكذا يعمل عقله ، كان يجب أن أعلم هذا أنا أيضاً " .

فكرت فى نفسى قائلاً : كان ينبغى علىّ التفكير فى هذا أنا أيضاً .

الفصل ٣٠

شىء مبهر ! هكذا قالت النقيب نيكى ويليامز فى نفسها ، ولم تكن تعنى بهذا اللقاء فى المطار فقط ، بل الخطة كلها . شىء جرىء للغاية !

كان مطار مانا ساس ريجونال مطاراً صغيراً غريب الشكل ممتداً لمساحة ثمانمائة هكتار وبه ممران موازيان للإقلاع والهبوط ، كما كان به مبنى صغير لخروج الركاب وبرج للمراقبة والتحكم ، لكنه كان مكان مناسب لبدء المهمة .

هناك من يخطط للأمور بكل عناية . سيفلح الأمر بكل تأكيد .

بعد دقائق قليلة من وصول النقيب ويليام للمطار رأت المروحية وهى تهبط . وساورتها فكرتان فى نفس الوقت : من أين حصل هؤلاء الناس على مروحية إم دى ٥٣٠ ؟ وإن كانت تلك المروحية مناسبة تماماً للمهمة الموكلة إليها .

سيفلح الأمر بكل تأكيد . وربما لن يكون الأمر صعباً .

أسرعت نيكى نحو المروحية حاملة معها البندقية **فى حقيبة** من القماش . وكان لدى الطيار بقية المعلومات . وعلى الأرجح لديه الخطة النهائية .

قال لها : " لقد تزودت بالوقود . وسوف نتجه للشمال الشرقى فوق الطريق رقم ٢٨ . وسوف أهبط لنصف دقيقة فى منتنزه روك جريك بارك " .

قالت له : " منتزه روك جريك بارك ؟ لا أفهم . لماذا سنهبط ثانية بعدما نقلع ؟ " .

" سنتوقف فى المنتزه حتى يتسنى لك أخذ مكانك فى جانب الطائرة من أجل التصويب . هل يناسبك هذا ؟ " .

قالت ويليامز : " عظيم . لقد فهمتك الآن " .

كانت الخطة جريئة ، لكنها كانت تتفهمها تماماً . كانت تفهم كل جزء منها . بل إنهم اختاروا يوماً غائماً به قليل من الرياح لأدائها . وكانت المروحية الإم دى ٥٣٠ سريعة وذات قدرة عالية على المناورة . كما أنها ثابتة بالقدر الذى يسمح لها بإطلاق النار منها . وفى أيام عملها السابق فى الجيش اعتادت أن تطلق الرصاص من الطائرات بشتى أنواعها فى مختلف أنواع الطقس . والتدريب يصنع الكمال .

قال لها الطيار بمجرد صعودها : " أأنت مستعدة سندخل ونخرج من واشنطن العاصمة فى أقل من تسع دقائق " .

أشارت له بالإيجاب وعلى الفور ارتفعت المروحية بسرعة متجهة نحو الشمال الشرقى . وكانت تحلق على ارتفاع ثلاثين أو أربعين قدماً على الأكثر وتطير بسرعة ثمانين عقدة فى الساعة .

وتوقفت المروحية لأقل من أربعين ثانية فى منتزه روك جريك بارك .

أخذت النقيب ويليامز موقعها على الجانب الأيمن خلف الطيار مباشرة ثم أشارت له بالإقلاع قائلة : " هيا بنا . فلنقم بالأمر " .

وبينما كانت الطائرة تقلع مقتربة من هدفها كانت تفكر كم أن هذا الأمر ذكى للغاية بل أيضاً جميل جداً . سندخل ونخرج من مكمن الخطر خلال أقل من تسع دقائق . ولن يدرك أحد ما حدث قط .

الفصل ٣١

كنت فى مكتبى قبل الظهيرة شاعراً بالتوتر والإرهاق وأنا أتفحص عبر قاعدة بيانات مركز المعلومات القومى للجريمة وأنا أشرب حوالى جالوناً من القهوة المركزة . وهو أسوأ ما كنت أفعله . ويزل اللعين : **لقد عرف أننا كشفنا أمر الكرسى ذى العجلات ، ولكن كيف ؟ لابد أن لهم شخصاً بالداخل ، أليس كذلك ؟ لقد حذر أحدهم شافير .**

وفى الواحدة وبينما كنت لا أزال فى مكتبى دوى صوت إنذار متقطع فى أرجاء المبنى .

فى نفس الوقت أشار جهاز الاستدعاء لوجود إنذار لحادث إرهابى .

وسمعت أصواتاً عالية قادمة من البهو تقول : " انظروا إلى النوافذ ! اذهبوا ناحية النوافذ ، بسرعة ! " .

صاح صوت آخر قائلاً : " يا إلهى الرحيم ! ما الذى يفعله هؤلاء هنا ؟ " .

نظرت للخارج واندهشت عندما رأيت رجلين يرتديان زياً مموهاً يجريان عبر الساحة الداخلية المبطنة بالجرانيت وكانا يعبران الآن اللوحة البرنزية المنحوت عليها جملة : " الإخلاص ، الشجاعة ، التكامل " .

أول ما راودنى من تفكير هو أن هذين الرجلين عبارة عن قنابل بشرية . وإلا كيف يتأتى لهما أن يلحقا الضرر بمثل هذا المبنى ؟ .

أخرج أحد العملاء واسمه شارلى كيلفرت رأسه من باب المكتب المجاور وقال : " هل ترى هذا يا أليكس ؟ هل تصدق هذا ؟ " .

" أنا أراه ، لكن لا أستطيع تصديقه " .

لم أستطع إبعاد عينى عما يحدث فى الساحة . وفى خلال ثوان ظهر عدة عملاء مسلحين فى المكان .

فى البداية كان عددهم ثلاثة ثم أصبحوا حوالى اثنى عشر ، كما جاء الحراس من أكشاك الحراسة الخارجية يهرعون للمكان كذلك .

أشهر كل العملاء أسلحتهم تجاه الرجلين اللذين يرتديان الزى المموه . ولقد توقف كلاهما عن الركض الآن وبدا وكأنهما يستسلمان .

لكن العملاء لم يقتربوا منهم ، ربما كانت نفس فكرة " القنابل البشرية " قد راودتهم ، لكنهم كانوا يتبعون الإجراءات المعهودة .

كان المشتبه بهما يرفعان أيديهما فوق رأسيهما وبعد ذلك قاما بالاستلقاء أرضاً من تلقاء أنفسهما على البطن . ما الذى يجرى بحق الجحيم ؟

بعد ذلك لمحت المروحية وهى تلتف حول الجانب الجنوبى من المبنى الرئيسى . ولم ألمح سوى مقدمتها والمروحة .

جعل التحليق العجيب للمروحية العملاء الموجودين بالساحة يوجهون أسلحتهم للسماء . فقد كانت تلك منطقة ممنوع فيها الطيران . وكان العملاء على الأرض يصيحون وهم يهددون بأسلحتهم .

وفجأة مالت المروحية مبتعدة بحدة عن المبنى واختفت عن الأنظار .

بعد ثوان خرج شارلى كيلفرت للردهة ثانية وقال : " لقد أصيب أحدهم بالطابق العلوى ! " .

وكدت ألقى به أرضاً وأنا أخرج مسرعاً من الباب .

الفصل ٣٢

كانت المروحية الإم دى ٥٣٠ تتحرك مسرعة تجاه واشنطن ؛ وكان الطيار يطير بها بين المبانى العالية بغرض الاختفاء حيث كان يتحرك بينها تماماً كمن يلعب لعبة الغميضة .

كان لابد له أن يطير بصورة تتحاشى أجهزة الرادار وتحير أى شخص يراه ، هذا هو ما خطر ببال نيكى ويليامز وبالإضافة لهذا فقد كان الأمر كله يتم بسرعة كبيرة ، ولم يتمكن أحد من القيام بأى رد فعل ، كما أنه ليس بمقدور أى طائرة تابعة للجيش أن تطير على مثل هذا الانخفاض بالقرب من المبانى بالطبع .

كان بوسعها رؤية الهدف الآن اللعنة ! لقد تم التخطيط بعناية لتلك الاضطرابات التى تحدث بالأسفل وكان العديد من الناس ينظرون من نوافذ المبنى المستهدف والذى كانت تعلم أنه مبنى قيادة مكتب المباحث الفيدرالية الرئيسى . إن هذا الأمر هام حقاً كم كانت تحب هذا ! لقد شهدت من قبل بعض الأحداث الكبيرة إبان وجودها بالجيش لكن لم

يكن منها حدث مهم بما يكفى ، كما أنه كان مطلوباً **منها اتباع آلاف** القواعد عندئذٍ .

لا توجد غير قاعدة واحدة أمامك الآن يا عزيزتى ، فقط اقتلى هذا الرجل واهربى بأقصى سرعة قبل أن يتمكن أى إنسان من الإمساك بك .

كان لدى الطيار إحداثيات نافذة المكتب الموجود به الهدف ، وبالفعل كان هناك رجلان يرتديان سترتين داكنتين واقفين هناك حيث كانا ينظران إلى ما يحدث من ضوضاء بالأسفل ـ ولقد أفاد هذا التثبيت الخطة بشكل كبير . وكانت النقيب ويليامز تعلم شكل الهدف جيداً وقبل حتى أن يرى بندقيتها المصوبة إليه ستكون قد أردته قتيلاً وابتعدت عن المكان كله .

بدا أن أحد الرجلين حاول تحذير الآخر وإبعاده عن طريق الرصاصة ، يا له من بطل !

لا يهم ـ ضغطت ويليامز الزناد ، لقد تم الأمر بسهولة !

بعد ذلك ، الهرب !

استخدم الطيار نفس الأسلوب للخروج من المدينة واتجه مباشرة صوب منطقة الإسقاط فى فيرجينيا . لم يستغرق الأمر أكثر من ثلاث دقائق والنصف للعودة من مبنى مكتب المباحث الفيدرالية التى جاءوا منها ، ناهيك عن تفكيرها الدائم فى المبلغ الذى ستحصل عليه ، فإنها ستأخذ أجراً مضاعفاً ، وبكل تأكيد كانت تستحق كل مليم منه .

هبطت المروحية بسلاسة وقفزت هى من جانبها . وبعد أن حيت الطيار بالتحية العسكرية وجه نحوها المدفع الأيمن بالمروحية وأطلق عليها النار مرتين ، فأصابت واحدة حلقها والأخرى جبهتها . لم يرق الأمر للطيار ، لكنه فعل ما يلزم . لقد كانت تلك هى الأوامر الموجهة إليه ، وكان يعلم أن عليه إطاعة الأوامر ، فمن الواضح أن القناصة أخبرت أحداً ما بطبيعة مهمتها ، وكان هذا هو كل ما يعرفه الطيار .

فقط قطعة صغيرة من الصورة الكبيرة .

الفصل ٣٣

كان هذا هو كل ما نعرفه .

تم اقتياد الرجلين اللذين تم القبض عليهما فى الساحة الخارجية للمبنى للداخل وتم احتجازهما فى الطابق الثانى . لكن من هما بحق الجحيم ؟

كانت الشائعة تسير عبر أرجاء المبنى ومفادها أن رون بيرنز قد قتل ، إن رئيسى وصديقى مات .

ولقد قالت المصادر إن القناص قام بالهجوم الناجح مستهدفاً مكتب بيرنز . ولم أستطع منع نفسى من التفكير فى حادثة اغتيال ستاس بولاك هذا العام . وعلى الرغم من أن وولف لم يعلن مسئوليته عن مقتل إحدى أهم رئيسات الإدارات التابعة لنا ، إلا أننا كنا واثقين من أنه هو الذى وراء الأمر . ولقد تعهد بيرنز بالانتقام ، على الرغم من أنه لم يتم بعد ، على حد علمى على أى حال .

بعد مرور نصف الساعة علي هذا الهجوم تلقيت استدعاءً للنزول للطابق الثانى . كان هذا أمراً طيباً : فقد كنت بحاجة لفعل شيء ما وإلا لكان الجنون قد أصابنى من جلستى فى مكتبى .

سألت الضابط الذى أبلغنى بالاستدعاء قائلاً : " هل هناك أى أخبار عن حادث إطلاق النار ؟ " .

" لا شيء بعد لكننا سمعنا الشائعات أيضاً . ولم يقم أحد بتأكيد أو إنكار أى شيء حتى الآن . ولقد تحدثت مع تونى وود الموجود بمكتب المدير ولم يقل لى شيئاً . لا أحد يتحدث عن الأمر يا أليكس ، آسف يا رجل " .

" لكن شيئاً ما قد حدث بالفعل ، لقد أطلق الرصاص على شخص ما " .

" أجل ، لقد أطلق الرصاص على شخص ما " .

أسرعت بالنزول للطابق الثانى وأنا أشعر بالسأم مما حدث خلال الأيام القليلة الماضية من أحداث ، وهناك قادنى أحد الحراس إلى مجموعة من الزنازين والتى لم أكن أعلم حتى وجودها قبل الآن ، ولقد أوضح لى العميل الذى قابلنى بالأسفل أنه يريد منى أن أستجوب الرجلين دون الحصول على أى معلومات مسبقة عنهما حتى يعرف انطباعى عن الأمر كله .

دخلت إحدى غرف الاستجواب ووجدت رجلين زنجيين يبدو عليهما الذعر يرتديان زياً كاكى اللون . هل هما إرهابيان ؟ أشك فى هذا . كانا فى منتصف الثلاثينات أو بداية الأربعينات ولم يكن تحديد ذلك سهلاً . كانا بحاجة للاستحمام وحلاقة الذقن وكانت ملابسهما مغبرة رثة وقد ملأت رائحة عرقهما النتنة جو الغرفة .

قال أحد الرجلين فى مرارة وهو يلوى وجهه امتعاضاً لدى دخولى الحجرة : " لقد أخبرناكم بما عندنا ، كم مرة ينبغى علينا إخباركم بما لدينا ؟ " .

جلست فى مواجهة الرجلين وقلت : " هذا تحقيق فى جريمة قتل " لم أكن أعلم ما إذا تم إخبارهما بهذا ، لكنها بدت لى كبداية جيدة وأضفت قائلاً : " لقد قُتل شخص ما بأحد الأدوار العليا " .

غطى الرجل الذى كان صامتاً تلك الفترة وجهه بيديه وبدأ ينتحب ويهتز من جانب لآخر وقال متأوهاً : " آه ، كلا ، كلا ، كلا ، يا إلهى ، كلا " .

قلت صائحاً فيه : " أبعد يديك عن وجهك واستمع إلىّ " .

نظر كلا الرجلين إلىّ وهما صامتان . على الأقل هما الآن يستمعان لما أقول .

" أريد أن أسمع روايتكما لما حدث . كل ما تعرفانه ، بكل تفصيل . ولا يهمنى ما قلتماه من قبل . هل تسمعانى ؟ هل تفهمانى ؟ لا يهمنى عدد المرات التى تظنان أنكما كررتما فيه هذا الحديث .

" أنتما الآن مشتبه بكما فى جريمة قتل ، ولهذا أريد الاستماع لما حدث من وجهة نظركما . تحدثا إلى . أنا حبل النجاة لكما ، حبل النجاة الوحيد . والآن تحدثا " .

وبالفعل تحدث كلاهما . وكان حديثهما يملؤه اللغط وعدم الاتساق فى كثير من الأحيان ، لكنهما تحدثا . وبعد حوالى ساعتين غادرت حجرة الاستجواب شاعراً أننى قد سمعت ما يكفى من الحقيقة ، أو على الأقل ما يعرفانه هما عنها .

رون فرازير وليونارد بيكيت اثنان من المتشردين الذين يعيشون بالقرب من محطة يونيون ستيشن وقد خدم كلاهما بالجيش سابقاً . ولقد تم استئجارهما لكى يجريا حول المباحث الفيدرالية بمثل هذا الجنون الذى ليس غريباً عنهما . وكانت القمصان المموهة ملكاً لهما وهى نفس الثياب التى يرتديانها كل يوم فى المنتزه وأثناء تسكعهما فى شوارع واشنطن العاصمة .

بعد ذلك دخلت غرفة استجواب أخرى لكى أحيط الاثنين من كبار عملائنا علماً بما جرى . وكان التوتر بادياً عليهما مثلما هو بادٍ علىّ . وتساءلت فى نفسى عما يعلمانه بخصوص موضوع رون بيرنز .

قلت لهما : " لا أظن أن هذين الاثنين يعرفان شيئاً ذا قيمة . ربما قابلهما جيفرى شافير بنفسه حيث إن الرجل الذى استأجرهما كان يتحدث بلكنة إنجليزية واضحة كما قالا لى . وبالإضافة لذلك فإن الوصف الجسمانى ينطبق على شافير ، وأياً كان من استأجرهما فقد دفع لهما سوياً مبلغ مائتى دولار . فقط مائتى دولار كى يفعلا ما فعلاه " .

ثم نظرت نحوهما وقلت : " والآن جاء دوركما ، أخبرانى بما حدث بالأعلى . على من أطلق الرصاص ؟ على رون بيرنز ؟ " .

أخذ ميلارد ، أحد العميلين ، نفساً عميقاً وقال : " بالطبع لا يجب أن يخرج ما تقوله الآن خارج هذه الحجرة يا أليكس ، ليس قبل أن نصرح نحن بهذا . مفهوم ؟ "

أومأت برأسى ببطء وقلت : " هل قُتِل المدير ؟ " .

قال العميل ميلارد : " لقد مات توماس وير ، لقد كان هو من أطلق عليه الرصاص " .

شعرت بالأرض تميد تحت قدمى ، لقد أردى أحدهم مدير وكالة المخابرات المركزية قتيلاً .

الفصل ٣٤

فوضى .

بمجرد تسرب مقتل توماس وير أذيع الخبر على كل المحطات التليفزيونية وأحاطت جحافل الصحفيين بمبنانا الرئيسى ، ولم يخبرهم أحد بالطبع عن تصورنا لما حدث بالفعل ، وكل صحفى كان يعلم أننا كنا نخفى عنهم شيئاً .

وبعد ظهيرة هذا اليوم علمنا أنه تم العثور على جثة امرأة فى غابات شمال فيرجينيا . وكنا نعتقد أنها قد تكون القناصة التى قتلت توماس وير حيث كانت هناك بندقية من طراز ويتشستر بجوار جثتها وهى بكل تأكيد السلاح المستخدم فى الجريمة

فى الخامسة عصراً اتصل بنا وولف ثانية .

دق جرس الهاتف الموجود بحجرة إدارة الأزمات ورد عليه رون بيرنز بنفسه .

لم يبد لى المدير بيرنز أكثر حزناً ولا أكثر ضعفاً من تلك اللحظة . لقد كان توماس وير صديقاً مقرباً له ، وقد اعتادت عائلاتهما اللقاء سوياً فى الإجازات الصيفية فى نانتاكت .

بدأ وولف حديثه قائلاً : " أنت رجل محظوظ للغاية أيها المدير . لقد كانت تلك الرصاصات موجهة لك أنت . وأنا لا أخطئ مطلقاً ، لكن مع عملية عسكرية بكل هذا التعقيد قد لا يمكن تحاشى الوقوع فى بعض الأخطاء ، فهذا قد يحدث فى أى حرب ، فذلك واقع الحياة ".

لم ينبس بيرنز ببنت شفة ، كما لم يظهر أى تعبير على وجهه ، حيث كان وجهه شاحباً مجهداً يصعب معرفة فيما يفكر ، حتى علينا نحن .

أكمل وولف حديثه قائلاً : " أنا أفهم ما تشعر به ، أفهم ما تشعرون به جميعاً ، فقد كان السيد وير رجلاً محباً لعائلته ، أليس كذلك ؟ رجلاً محترماً بالفعل . والآن أنتم بالتأكيد غاضبون منى ، وتريدون قتلى مثل الكلب الحقير . لكن انظروا للأمر من وجهة نظرى أنا ، لقد أخبرتكم بالقواعد ، ومع ذلك أصررتم على أن تتصرفوا كما يحلو لكم .

" وكما ترون فقد أدت طريقتكم فى معالجة الأمور إلى الكوارث والموت ، حيث دائماً ما تؤدى طرقكم للكوارث والموت ، فهى أشياء حتمية . والأمر يتعدى أكثر من مجرد المخاطر بحياة إنسان واحد فقط ، لذا فلنتحرك ، فالوقت يمر " .

" كما تعلمون فإنه من الصعب هذه الأيام أن يجد المرء أناساً يستمعون إليه ، فالكل منشغل بذاته . خذوا النقيب ويليامز على سبيل المثال ، القاتلة الأجيرة التابعة لنا ، لقد أخبرناها بوضوح أنه ممنوع عليها إخبار أحد بالمهمة الموكلة إليها ، لكنها أخبرت زوجها . والآن هى ميتة . وأنا أعلم أنكم قد وجدتم جثتها . آخر الأخبار : لقد قتل زوجها هو الآخر . وربما أردتم الحصول على جثته فى منزلهما ، وهو فى دينتون بولاية ماريلاند . هل تحتاجون للعنوان ، أستطيع مساعدتكم فى هذا الأمر " .

تحدث بيرنز قائلاً : " لقد وجدنا جثة زوجها بالفعل . ما الهدف من مكالمتك هذه ؟ ماذا تريد منا ؟ " .

" أظن أن الهدف واضح يا سيد بيرنز . أريد منكم أن تتأكدوا أننى أعنى تماماً ما أقول . فأنا أبغى منكم الانصياع التام وسوف أحصل عليه ، فبطريقة أو بأخرى ستسير الأمور كما أريد ، شأنها دائماً " .

" والآن وبعد التأكيد على هذه النقطة دعونى أنتقل إلى التفاصيل الدقيقة ـ الأرقام . السعر المحدد المطلوب منكم . أرجو أن يكون لدى أحدكم قلم وورقة " .

قال بيرنز : " استمر فى الحديث " .

" حسناً ، ها نحن ذا ، إليكم الأرقام ...

" نيويورك ، ستمائة وخمسون مليون دولار أمريكى . واشنطن ، أربعمائة وخمسون مليوناً . فرانكفورت ، أربعمائة وخمسون مليوناً ، ولندن ستمائة مليوناً . أى ما مجموعه مليارن ومائة وخمسون مليوناً من الدولارات . وبالإضافة لذلك يجب إطلاق سراح سبعة وخمسين من السجناء السياسيين . وسوف تصلكم الأسماء خلال الساعة القادمة . وللعلم ، كل السجناء من منطقة الشرق الأوسط . فكروا بالأمر . لغز محير ، أليس كذلك ؟

" أمامكم أربعة أيام لتسليم المبلغ المحدد والسجناء وهو وقت كاف ، أليس كذلك ؟ أكثر من المعقول . وسوف يتم إبلاغكم بالكيفية والمكان الذى سيتم فيه التسليم . أمامكم أربعة أيام بدءاً من الآن " .

ثم استطرد قائلاً : " آه ، وأنا جاد للغاية فيما أقول . وأنا أعلم أننى طلبت مبلغاً ضخماً من المال والذى قد تدعون أنه من الصعب عليكم جمعه ، وأنا أتوقع هذا منكم بالفعل . لكن لن أتقبل أى أعذار مطلقاً " .

ثم سادت فترة صمت قصيرة .

" هذا هو هدف المكالمة يا سيد بيرنز . فقط عليكم تسليمى المال والسجناء ، لا تخفقوا فى إدارة الأمور ثانية . آه ، أعتقد أنه بقى شىء

واحد . أنا لا أنسى مطلقاً أو أتسامح . سوف تموت قبل انتهاء هذا الأمر أيها المدير بيرنز . لذا توخ الحذر ، فيوما ما ستجدنى هناك ، أما الآن فأمامكم أربعة أيام ! " .

ثم أغلق وولف الهاتف .

حدق رون بيرنز أمامه وتحدث من بين أسنانه المغلقة قائلاً : " أنت محق ، يوماً ما ستجدنى هنا من أجلك " .

ثم دار بعينيه عبر الغرفة وثبت عينيه علىّ قائلاً : " الوقت يمر يا أليكس " .

الفصل ٣٥

استمر بيرنز فى حديثه قائلاً : " أود من كروس أن يطلعنا على انطباعاته عن ذلك المجنون الروسى . فهو يعرف كل شىء عنه . ولهؤلاء الذين لا يعلمون من هو أليكس كروس أقول إنه أتى إلينا من قسم شرطة واشنطن ، وهو ما يعتبر خسارة كبيرة لهم . وهو الرجل الذى استطاع الإيقاع بـ " كايل كريج " .

" والذى سمح لجيفرى شافر بالهرب مرة أو مرتين كذلك " هكذا تحدثت وأنا جالس فى مقعدى وتابعت قائلاً : " انطباعاتى حتى الآن ؟ حسناً ، لن أعيد تكرار الحقائق الواضحة التى تعلمها جميعاً . من الواضح أن به رغبة جامحة فى التحكم وأقول لكم : إنه يحب القيام بأفعاله على نحو كبير ، وأن يعمل على مرأى ومسمع من الكثيرين . وهو ذو قدرة خلاقة على التخطيط ، كما أنه من النوع " ذى القرار السريع " أى أنه قادر على التخطيط والتنفيذ ببراعة ولا يجد أدنى صعوبة فى اتخاذ القرارات الصعبة .

" وعلى رأس كل هذا ، فإنه شخص شرير ، ويحب **إيذاء البشر** ، كما يحب مشاهدتهم وهم يتعذبون . ولقد أعطانا الكثير من الوقت حتى نفكر ملياً فيما سنفعل ، حيث إنه على الأرجح يعلم أننا لن ندفع له ما يطلب بتلك السهولة . كما أنه سعيد بمعرفته أن عقولنا تكاد تنفجر من فرط التفكير فى كيفية الإمساك به ، وهو متأكد من صعوبة ذلك .

" وسأخبركم بما لم يتقبله عقلى فى هذا الأمر كله ، محاولة اغتيال المدير . فإننى أرى أن ما فعله لا يبدو منطقياً ، ولا يتناسب مع نمطه . ليس الآن على أى حال فى بداية اللعبة . وأنا غير مقتنع بقوله إنه أخطأ وفشل فى قتل الشخص المطلوب " .

خرجت الكلمات دون وعى منى ونظرت نحو بيرنز لكنه أشاح بيده نحوى قائلاً : " هل تعتقد أنه أخطأ الهدف ؟ أم أنه كان يستهدف توم وير من الأساس ؟ " .

" أعتقد أن وير كان هو الشخص المستهدف ، ولا أعتقد أن وولف قد أخطأ . ليس مثل هذا الخطأ الضخم . وأعتقد أنه كذب علينا بخصوص ما حدث " .

قال بيرنز وهو ينظر فى أرجاء الحجرة : " هل لدى أى منكم أفكار ؟ " .

لم يتحدث أحد لذا واصلت حديثى قائلاً : " لو كان توماس وير هو المستهدف ، فأعتقد أن هذا هو أقوى دليل لدينا حالياً . ما الذى جعله يمثل تهديداً كبيراً لـ " وولف " بهذه الصورة ؟ ما الذى كان يعرفه ؟ لن يدهشنى لو أن وير كان يعلم وولف فى السابق فى مكان ما ، حتى لو لم يكن وير مدركاً لهذا . إن وير شخص مهم . لكن أين يمكن أن يكون وير قد التقى بذلك الروسى قبلاً ؟ هذا هو السؤال الذى يحتاج للإجابة " .

قال بيرنز : " فلنسرع بإجابته إذن ، فليبدأ كل شخص العمل ـ وأنا أعنى كل شخص ـ فى المكتب ! " .

الفصل ٣٦

كان لدى الرجل الذى قام بإجراء المكالمات الهاتفية بدلاً من وولف تعليماته الخاصة وكان يعلم أنه يجب اتباعها بدقة . كان ينبغى أن تتم رؤيته فى واشنطن . كانت تلك هى قطعة البازل الخاصة به .

كان لابد من رؤية وولف ، وهو ما سيؤدى إلى بعض الاضطراب ، أليس كذلك ؟

كان يعلم أن المكالمات التى أجراها إلى مكتب المباحث الفيدرالية الرئيسى وغيره سيتم تعقبها إلى فندق فورسيزونز فى مقاطعة بنسلفانيا . كان هذا جزءاً من الخطة ، وحتى الآن تسير الخطة بلا أدنى خطأ .

لذا فقد مشى بهدوء فى بهو الفندق وحرص على أن يلاحظه الموظف الجالس على مكتب الاستقبال واثنان من الحمالين . ومما ساعده على ذلك هو طوله الفارع وشعره الأشقر ولحيته والمعطف المصنوع من الصوف الناعم . وكل هذا كان موافقاً للخطة التى أعطيت له .

بعد ذلك بدأ فى التجول على امتداد شارع إم متفحصاً **قوائم المطاعم** المعروضة فى الواجهات وأحدث صيحات الموضة فى جورج تاون .

كم بد له الأمر مضحكاً عندما استطاع رؤية سيارات الشرطة والمباحث الفيدرالية وهى تسرع متجهة نحو الفندق من عدة اتجاهات مختلفة .

وفى النهاية دخل الرجل إحدى الشاحنات الصغيرة والتى كانت بانتظاره عند التقاء شارعى إم وتوماس جيفريسون .

أسرعت الشاحنة متجهة نحو الطريق المؤدى للمطار . وكان هناك رجل آخر بالإضافة إلى السائق وكان يجلس على الأريكة الخلفية بجانب الرجل الذى قام بإجراء المكالمات الهاتفية من فندق فور سيزونز .

سأله السائق عندما ابتعدوا عدة أميال عن شارع إم وما يجرى به من صخب : " هل سارت الأمور على ما يرام ؟ ".

هز الرجل الملتحى كتفيه وقال : " بالطبع ، ولديهم الآن وصف دقيق لى . شىء يعطيهم بصيصاً من الأمل ، أو أياً ما يريدون تسميته . لقد سارت الأمور بكل دقة . ولقد نفذت ما طلب منى " .

قال الرجل الثانى : " شىء رائع " ثم سحب مسدسه الباريتا وأطلق الرصاص على صدغ الرجل الأيمن . ولابد أنه قد مات قبل حتى أن يسمع صوت العيار النارى .

والآن لدى الشرطة ومكتب المباحث الفيدرالية وصف جسمانى مفصل لـ " وولف " ، لكن لا يوجد أحد ينطبق عليه هذا الوصف من الأحياء .

الفصل ٣٧

كان الاضطراب والارتباك سائداً فى فترة ما بعد ظهيرة ذلك اليوم . فطبقاً لما أخبرنا به رجال الاتصالات اللاسلكية فإن وولف اتصل بنا من فندق فور سيزونز الموجود بمدينة واشنطن العاصمة ، كما تم تحديد موقعه هناك . ولقد اتفق الوصف الذى حصلنا عليه مع الوصف الذى سبق وأرسلناه حول العالم بالفعل . ومن المحتمل أن يكون قد هرب ، لكنى كنت أجد صعوبة فى تصديق الأمر برمته ، حيث إنه دائماً ما كان يتصل من هاتف خلوى ، لكن هذه المرة اتصل من هاتف الفندق ، لماذا ؟

عندما عدت للمنزل بعد التاسعة والنصف بقليل وجدت مفاجأة فى انتظارى حيث وجدت د. كايلا كولز جالسة فى غرفة المعيشة مع الجدة نانا . وكانت الاثنتان جالستين متقاربتين على الأريكة تخططان لشىء لا يعلمه إلا الله . ولقد شعرت بالقلق لرؤيتى طبيبة جدتى عندنا فى مثل هذا الوقت المتأخر .

تساءلت قائلاً : " هل كل شىء على ما يرام ؟ ما الذى يحدث ؟ " .

أجابتنى الجدة قائلة : " لقد كانت كايلا بالقرب منا ولهذا توقفت لتلقى التحية ، أليس هذا صحيحاً يا دكتورة كول ؟ لا توجد أى مشكلة على حسب علمى ، ربما باستثناء موعد العشاء الذى فاتك " .

تحدثت كايلا قائلة : " حسناً ، فى الواقع ، لقد شعرت الجدة نانا بالضعف قليلاً لدرجة الإغماء . لهذا جئت لزيارتها فقط على سبيل الاحتياط " .

قالت الجدة نانا وهى توبخها بطريقتها المعتادة : " لا تبالغى يا كايلا ، أرجوك . دعونا لا نبالغ فى تقدير الأمور . فأنا بخير ، والإغماء يعد جزءاً من حياتى العادية الآن " .

أومأت كايلا وابتسمت فى ارتياح ثم أطلقت تنهيدة عالية واسترخت بظهرها على الأريكة وقالت : " أنا آسفة ، أخبرينا أنت بالأمر يا جدتى " .

" لقد شعرت بإغماءة خفيفة عدة مرات الأسبوع الماضى . وكما تعرف يا أليكس فلا يوجد شىء خطير . فقط لو كان أليكس الابن الصغير معانا بالمنزل لأعتنى به ، فلربما أصبحت أكثر قلقاً " .

قلت لها : " حسناً ، لقد أصبحت أنا أكثر قلقاً " .

هزت كايلا رأسها وقالت : " حسناً ، مثلما قالت الجدة ، لقد كنت بالجوار وتوقفت للزيارة يا أليكس . فالزيارة ذات غرض اجتماعى بحت . ولقد قمت بقياس ضغط الدم لديها ويبدو أن كل شىء على ما يرام ، لكن أود منها القيام ببعض اختبارات وفحوصات الدم " .

قالت الجدة نانا : " حسناً ، سوف أجرى تحاليل الدم ، دعونا نتكلم عن الطقس الآن " .

هززت رأسى فى مواجهتها وقلت مخاطباً كايلا : " ألازلت ترهقين نفسك فى العمل ؟ " .

قالت لى مبتسمة : " انظروا من يتحدث الآن ! " . وكانت كايلا تملك شخصية مشرقة بإمكانها تغيير جو المكان إلى الأفضل فى لحظات

وأضافت : " لسوء الحظ أمامى كمية ضخمة من العمل هنا . ولا تدعنى أتحدث عن عدد المواطنين المرضى فى عاصمة بلدنا الحبيب والذين لا يستطيعون تحمل تكلفة طبيب جيد أو الانتظار لساعات وساعات أمام المستشفيات الخيرية المعدودة هنا " .

دائماً ما كنت معجباً بـ " كايلا " ، وبصراحة يمكننى القول بأننى كنت أهابها قليلاً ما السبب ؟ كنت أتساءل عن ذلك فى نفسى أثناء حوارنا . ولقد لاحظت أنها فقدت بعض الوزن ، لابد أن لهذا صلة بتنقلها من منزل إلى آخر فى الجيرة لفعل الخير وما إلى ذلك . وفى الحقيقة ، كانت تبدو أجمل مما رأيتها من قبل . وشعرت بالحرج تقريباً لملاحظتى ذلك .

سألتنى الجدة نانا قائلة : " لماذا أنت واقف هكذا ؟ اجلس وانضم إلينا " .

قالت كايلا : " لابد لى من الذهاب الآن " ثم قامت واقفة وأضافت قائلة : " لقد تأخر الوقت ، حتى بالنسبة لى ! " .

قلت معترضاً : " أرجوك ، لا تدعى وجودى يفسد تجمعكما " . وقد شعرت فجأة أننى لم أرد أن ترحل كايلا . لقد كنت بحاجة للحديث عن شىء مختلف عن وولف والهجمات الإرهابية المتوقعة .

" إن وجودك لا يفسد تجمعنا يا أليكس . ولن يحدث هذا مطلقاً . لكن لايزال أمامى زيارتان منزليتان لأقوم بهما " .

نظرت إلى ساعتى وقلت ضاحكاً : " زيارتان منزليتان أخريان فى هذا الوقت ؟ أنت إنسانة مختلفة بالفعل ، بل أنت مجنونة ، أتعلمين هذا ؟ " .

قالت كايلا وهى تهز كتفيها : " ربما كنت كذلك فعلاً " . ثم قبلت الجدة بحب واضح وقالت لها : " اهتمى بنفسك ولا تنسى عمل تحاليل الدم " .

" إن ذاكرتى قوية " .

بعد انصرافها قالت لى الجدة نانا : " إن كايلا كول امرأة متميزة حقاً يا أليكس . وهل تعلم ؟ أعتقد أن أحد أسباب مجيئها هنا هو رغبتها فى رؤيتك . هذه هى نظريتى على أى حال ، وأنا مؤمنة بها " .

لقد خطر لى هذا الخاطر أيضاً لكنى قلت لها : " لماذا تنصرف بهذه السرعة بمجرد وصولى إذن ؟ " .

عبست الجدة ورفعت حاجبيها وقالت : " ربما كان لهذا لأنك لم تدعها مطلقاً للبقاء ، وربما كان هذا بسبب وقوفك أمامها وتحديقك إليها ببلاهة كلما أتت هنا . لم هذا ؟ أنت تعلم جيداً . قد تكون هى المرأة المناسبة لك . لا تجادلنى . إنك تهابها ، وقد يكون هذا شيئاً طيباً " .

فكرت فى الأمر لكنى لم أجد إجابة مناسبة لقد كان يومى طويلاً ولم يكن عقلى يعمل جيداً الآن فقلت لها : " هل أنت بخير الآن ؟ هل أنت متأكدة أنك فى حالة طيبة ؟ " .

قالت لى : " أنا فى الثالثة والثمانين من عمرى يا أليكس ، تقريباً ، إلى أى مدى يمكن أن أكون فى حال طيبة ؟ " ثم قبلتنى على خدى واتجهت نحو فراشها .

ثم استدارت وقالت وهى تنظر من فوق كتفيها نحوى : " كما أن العمر يمضى بك أنت أيضاً " .

تعليق موفق أيتها الجدة .

الفصل ٣٨

لم يتجه الجميع لفراشهم فى تلك الليلة ، وكان الليل فى بعض المناطق لا يزال فى بدايته .

لم يكن لدى ويزل القدرة على التحكم والسيطرة على مشاعره واحتياجاته الجسمانية . ولقد كان يشعر بالرعب من تلك الحقيقة حيث إن ذلك يمثل ضعفاً واضحاً فى شخصيته ، ومع ذلك كان الأمر يثيره أيضاً . الخطر ، اندفاع الأدرينالين فى عروقه . بل إن هذا هو ما جعله يشعر بالحياة أكثر من أى شىء آخر . فعندما يخرج بنية القتل ، كان يشعر بأطيب شعور ، بالقوة العاتية التى تجتاحه وتسيطر على كيانه حتى إنه يفقد السيطرة على نفسه تماماً عندئذ .

كان شافير يعلم العاصمة واشنطن تمام المعرفة من خلال عمله السابق فى السفارة البريطانية . وكان على علم بالأحياء الفقيرة ؛ لأن تلك هى الأماكن التى اعتاد اصطياد ضحاياه منها .

وكان ويزل يقوم بالصيد الليلة ، وكـان يشـعر بأنـه حـى ثانيـة ، وإن الحياة أصبح لها مغزى أخيراً .

قاد سيارته الميركـورى السـوداء عـبر سـاوث كـابيتول . وكـان الـرذاذ يتساقط وكان الشارع خالياً إلا من بضعة أشخاص يمشـون . وعلـى الفـور استأثرت إحدى الفتيات على انتباهه .

دار حول المبنى بضع مرات متفحصاً إياها بصورة واضحة .

وأخيراً هدأ من سرعة سـيارته بجـوار الفتـاة الزنجيـة الشـابة الواقفـة بالقرب من ملهى نيشن الليلى وكانت ترتدى بلوزة فضـية اللـون تتماشـى مع تنورتها القصيرة والحذاء ذى الكعب المرتفع اللذين ترتديهما .

والآن هـاهو أفضـل جـزء : لقـد صـدرت لـه التعليمـات بـأن يـذهب لاصطياد إحدى الضحايا من شوارع واشنطن الليلـة . وكـان يتبـع الأوامـر الصادرة له من وولف . فهو يقوم بأداء مهمته لا أكثر .

استندت الفتاة على النافذة بينمـا مـال هـو نحوهـا ليحادثهـا . وربمـا كانت تظن أنها كلما أبرزت سحرها كانت لها اليد العليا علـى الموقـف . كان يفكر فى نفسه قائلاً : كـم سـتكون المواجهـة شيقة ، كـان شـافير قـد وصبغ شعره ووجهه ويديه باللون الأسود . وفى رأسه كانت تـتردد نغمـة أغنية قديمة ، وكان اسم الأغنية هو " I Like it Like That " .

ابتسم شافير نحوها وقـد ملأتـه الإثـارة مـن تلـك اللعبـة ، وحتـى لـو أدركت الفتاة أنه يضع تلك الألوان فلم تكن لتعلـق علـى الأمـر كـثيراً . لا يوجد ما يضايقها ، أليس كذلك ؟ حسناً ، فلنر .

قال لها : " ادخلى السيارة ، فأنا أود أن أتفحصك جيداً " .

قالت وهى تخطو مبتعدة عن السـيارة : " مائـة دولار ، هـل يناسـبك هذا ؟ لأن لو أن هذا لا يناسبك فـ ..... " .

واصل شافير ابتسامته وقال : " لا بأس ، ليست هناك مشكلة " .

فتحت الفتاة السيارة ودخلتها وكانت تضع الكـثير مـن العطـر وقالـت له : " أنا ملكك الآن " .

ضحك شافير مجدداً وقال : " أتعلمين ، أنا معجب بك كثيراً ، فقـط تذكرى كلمتك ، أنت ملكى الآن " .

الفصل ٣٩

فى منتصف الليل عدت إلى العمل مرة أخرى ، ولقد أشعرنى هذا العمل أننى قد عدت ثانية إلى عملى السابق فى قسم جرائم القتل . وصلت إلى الحى المألوف لدىّ والذى كانت منازله المكسوة واجهاتها بالخشب الأبيض المتراصة والتى كان معظمها مهجوراً وكان موقع هذا الحى على طريق نيوجيرسى فى الجنوب الشرقى وكان هناك حشد مجتمع عند مسرح جريمة القتل بالفعل ومن بينهم بعض أفراد عصابات الشوارع وبعض الصبية على دراجاتهم والذين كانوا لايزالون يتسكعون حتى ساعة متأخرة من الليل .

وخلف الشريط الأصفر المحدد لمسرح الجريمة كان يقف رجل يضع قبعة عريضة تبدو من تحتها خصلات شعره المجعدة ويصيح قائلاً بصوت مبحوح : " مهلاً ، هل تسمعون تلك الموسيقى ؟ هل تحبون تلك الموسيقى ؟ إنها موسيقى شعبية " .

تقابلت مع سامسون خارج صف المنازل العتيقة ودخلنا سوياً .

قال جون وهو يهز رأسه : " تماماً مثل الأيام الخوالى . هل هذا ما أتيت من أجله أيها البطل ؟ هل اشتقت للأيام الخوالى ؟ هل تود العودة ثانية إلى قسم شرطة واشنطن ؟ ".

أومأت برأسى وقلت وأنا أشيح بيدى : " نعم ، لقد افتقدت . جرائم القتل التى تحدث بعد منتصف الليل " .

" أنا متأكد من هذا ، فلو كنت مكانك لشعرت بالملل " .

كان المنزل الذى تم اكتشاف الجثة به فى المقدمة ولم يكن هناك باب أمامى له لهذا كان من السهل علينا الدخول .

قال سامسون لرجال الدورية الواقفين خارج المنزل : " هذا هو أليكس كروس . هل سمعتم به من قبل ؟ هذا هو أليكس كروس يا إخوانى " .

قال الرجل وهو يتنحى جانباً ليسمح لنا بالدخول : " أهلاً كروس " .

قال سامسون : " لقد ابتعد عنا ، لكننا لم ننسه " .

وبمجرد دخولنا شاهدنا المشهد المحزن المألوف . كانت القمامة ملقاة فى الردهات وكانت رائحة بقايا الطعام المتعفن والبول خانقة . ربما كان لهذا تأثير قوى علىّ لأننى لم أدخل مثل تلك الأماكن منذ فترة طويلة وتحديداً ما يربو على العام الآن .

أبلغنا أحد الرجال أن الجثة موجودة فى الدور الثالث ، أى الدور الأخير بالمبنى ، لهذا بدأت أنا وسامسون فى الصعود .

قال مغمغماً : " يا للأماكن القذرة " .

" نعم ، أعلم هذا ، مازلت أذكر كيف تسير الأمور فى تلك الأحوال " .

قال سامسون : " على الأقل ليس علينا النزول إلى القبو اللعين . بالمناسبة ، ماذا قلت لى عن سبب عودتك إلى هنا ؟ أظن أننى لم أسمعك تقول السبب " .

" كل ما فى الأمر أننى افتقدت وجودى معك ، فليس هناك من يداعبنى مثلما كنت تفعل " .

" آه ، أنتم يا رجال المباحث الفيدرالية لا تستخدمون أسماء التدليل ، أليس كذلك ؟ حسناً ، لماذا أنت هنا إذن ؟ " .

اتجهت أنا وسامسون صوب الدور الثالث وكان هناك العديد من رجال قسم شرطة واشنطن . وهأنذا أعاود رؤية نفس المشهد المألوف لدىّ دوماً . ارتديت قفازى البلاستيكى وكذلك فعل سامسون . كم كنت أفتقد العمل معه حقاً ، ومما يدعو للأسى أن يكون شىء سيئ كهذا هو الذى أعادنى للعمل معه ثانية .

توقفنا أمام ثانى الأبواب على اليمين وفى تلك اللحظة خرج منه أحد رجال الشرطة واضعاً يده أمام فمه وفى قبضته كان هناك منديل أبيض اللون ، أعتقد أنه سيتقيأ فى أى لحظة . حتى هذا الجزء لم يتغير أيضاً .

قال سامسون : " أتمنى ألا يكون قد قام بالتقيؤ فى مسرح الجريمة ، هؤلاء المبتدئون الملاعين " .

بعد ذلك دخلنا من الباب وعندئذ غمغمت قائلاً : " يا إلهى " . فى قسم تحقيقات جرائم القتل دائماً ما يشاهد الإنسان أشياء كهذه ، لكن لا يمكن للإنسان التعود عليها . ومن المستحيل نسيان التفاصيل ، وذلك الإحساس ، وتلك الرائحة ، والطعم الذى يخلفه هذا المشهد فى فمك .

قلت لـ " سامسون " : " لقد أبلغنا بالأمر أولاً ، لهذا أنا هنا " .

سألنى قائلاً : " من هو الذى أبلغكم ؟ " .

قلت له : " لتخبرنى أنت " .

اقتربنا أكثر من الجثة المسجاة على الأرضية الخشبية العارية . كانت الجثة لفتاة ، فى سن المراهقة على الأرجح وكانت جميلة إلى حدٍ ما . وكانت عارية تماماً باستثناء إحدى فردتى حذاء تتدلى من أصابع قدمها اليسرى . وعلى كاحلها الأيمن كانت هناك حلية ذهبية . كانت يداها

مقيدتين خلف ظهرها بأحد الأسلاك البلاستيكية على ما يبدو . وكان فمها مسدوداً بكيس أسود بلاستيكى .

لقد رأيت هذا النوع من جرائم القتل من قبل ، هذا النوع تحديداً . وكذلك رآه سامسون .

قال سامسون متنهداً : " إنها عاهرة . لقد رآها رجال الشرطة من قبل فى منطقة ساوث كابيتول ، وهى فى الثامنة أو التاسعة عشرة من عمرها ، ربما كانت أصغر من ذلك . من هو الذى تعنيه إذن ؟ " .

بدا لى وكأن الفتاة قد تم تعذيبها بشدة ، فقد كانت الآثار واضحة على وجهها وصدرها كذلك . وعلى الفور تمثلت أمام عقلى قائمة بالأفعال والسلوكيات الشاذة ، ذلك النوع من السلوكيات التى لم أقابلها منذ فترة : عدوان صارخ ، سادية ، انتهاك جنسى ، إذلال متعمد ، كلها كانت ماثلة أمامى .

" إنه شافير يا جون ، إنه ويزل . لقد عاد إلى واشنطن . لكن ليس هذا أسوأ ما فى الأمر . أتمنى لو اقتصر الأمر على ذلك وحسب . "

الفصل ٤٠

كنا نعرف إحدى الحانات المفتوحة فى هذا الوقت لذا توجهت إليها أنا وسامسون بعدما غادرنا مسرح الجريمة فى شارع نيو جيرسى أفينيو ، لقد كنا خارج وقت العمل الرسمى الآن ، لكنى أبقيت جهاز الاستدعاء فى وضع الاستعداد وكذلك فعل جون ، وفى الحانة لم يكن يوجد سوى رجلين آخرين لذا كنا وحدنا تقريباً .

لم يكن هذا ليهم ، فمن الطيب دوماً التواجد بصحبة جون فقد كنت بحاجة للحديث إليه . كنت بحاجة بالفعل للحديث مع سامسون بخصوص شىء ما .

سألنى بمجرد جلوسنا : " هل أنت واثق أنه شافير " . فأخبرته بأمر الشريط المحير الذى تلقيته من صان رايز فالى ، لكننى لم أتحدث عن التهديدات الأخرى أو بشأن الفدية المطلوب دفعها . لم يكن هذا بمقدورى ، وكم ضايقنى هذا . لم أكذب يوماً على سامسون ، وجعلنى هذا أشعر بأننى أكذب عليه .

" إنه الفاعل ، لاشك فى هذا " .

قال جون : " إن هذا الأمر محير . ويزل . لمَ يعود إلى واشنطن مجدداً ؟ لقد كدنا نمسك به المرة السابقة " .

" ربما كان هذا هو السبب ، الإثارة . التحدى " .

" أجل ، ربما كان يفتقدنا بالفعل ، لكن بالتأكيد لن أخطئه هذه المرة ، وسأضع إحدى رصاصاتى بين عينيه تماماً " .

ارتشفت رشفة من شرابى وقلت : " أليس من المفترض بك أن تتواجد فى المنزل مع بيلى ؟ " .

" الليلة ليلة عمل ، وبيلى لا تمانع فى ذلك ، نظراً لمعرفتها بطبيعة عملى ، كما أن أختها تمكث معنا لفترة من الوقت . وهما نائمتان الآن بكل تأكيد " .

" كيف تبدو لك الأمور ؟ الحياة الزوجية ؟ ووجود أخت بيلى فى المنزل " .

" أنا أحب وجود ترينا معنا ، لذا فلا مشكلة فى هذا . يا للعجب ، باستطاعتى التأقلم الآن مع أشياء كنت أظن أننى لن أتقبلها مطلقاً . أنا سعيد حقاً ، للمرة الأولى على ما أعتقد . أنا طائر فوق السحاب يا رجل " .

ابتسمت لـ " جون " وقلت له : " أليس الحب شيئاً عظيماً ؟ " .

" بلى ، إنه كذلك ، يجدر بك أن تجربه أنت أيضاً " .

" أنا مستعد لهذا " . هكذا قلت ثم ابتسمت .

" أتعتقد هذا حقاً ؟ أتعجب إن كان هذا صحيحاً . هل أنت مستعد لهذا حقاً ؟ ".

" اسمع يا جون ، هناك شيئاً أريد أن أحادثك بشأنه " .

" لقد خمنت ذلك بالفعل . شىء يتعلق بحادث القصف بالطبع . ثم جريمة قتل توماس وير ثم عودة شافير إلى المدينة " ثم نظر إلى عينى وقال : " ما الأمر إذن ؟ " .

" الأمر فى غاية السرية يا جون . إنهم يهددون بنسف واشنطن الآن . الأمر حقاً خطير . لقد تم تحذيرنا بوقوع هجوم وهم يطالبون بفدية عظيمة لإيقاف ذلك الهجوم " .

قال سامسون متسائلاً : " والتى لا يمكننا دفعها بالطبع ، أليس كذلك ؟ فالولايات المتحدة لا تتفاوض مع الإرهابيين " .

" لست أعلم مدى دقة هذا بالتحديد ، وأشك إن كان أحد يعلم ، ربما باستثناء الرئيس . وأنا بداخل الأحداث لكن لست متعمقاً بما يكفى . وعموماً ، أنت تعلم الآن مقدار ما أعلم تماماً " .

" ويجب أن أتصرف بناءً على هذا الكلام " .

" نعم ، يجب عليك هذا ، لكن لا يمكنك الحديث عن هذا مع أى شخص . ولا حتى بيلى " .

أمسك جون بيدى وقال : " فهمت ، أشكرك " .

الفصل ٤١

وأنا فى طريق عودتى للمنزل تلك الليلة كنت أشعر بالذنب بسبب ما أخبرت به سامسون ، لكنى شعرت أنه لم يكن لدىّ أى اختيار . كان جون بمثابة فرد من العائلة لى ، هذا هو الأمر بكل بساطة . ومن المحتمل أننى كنت مجهداً للغاية بسبب استغراقنا فى العمل لثمانى عشرة إلى عشرين ساعة يومياً . ربما كان التوتر العصبى يؤثر علىّ . كانت الأحداث تتصاعد ولم يكن لدى أى ممن تحدثت معهم أدنى فكرة عن موقفنا من دفع الفدية . كانت أعصاب الجميع تحترق ، بما فيها أعصابى . وقد مرت اثنتا عشرة ساعة بالفعل من المهلة المتاحة لنا .

كانت هناك أسئلة أخرى تتصارع فى عقلى . هل قام شافير بقتل والتمثيل بجثة المرأة التى وجدناها فى نيو جيرسى أفينيو ؟ كنت شبه متأكد من أنه هو الجانى ، وسامسون وافقنى على هذا . لكن ما الدافع لارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة الآن ؟ لِمَ يخاطر بهذا ؟ وبالطبع كنت

أشك فى أنها مصادفة أن تُلقى جثة المرأة على بعد أقل من ميلين فقط من الشارع الذى أقطن به .

كان الوقت متأخراً وكنت بحاجة للتفكير فى أى شىء آخر ، أى شىء آخر ، لكنى لم أستطع منع نفسى من التفكير فى القضية لقد قمت بقيادة سيارتى البورش القديمة بأسرع من اللازم حتى أجبر نفسى على التركيز فى القيادة إلا أن هذا لم يفلح كذلك .

توقفت أمام منزلى ومكثت بداخل السيارة لبضع دقائق محاولاً أن أصفى ذهنى قبل دخولى المنزل كانت هناك أشياء ملحة . لابد لى من الاتصال بـ " جاميلا " حيث إن الوقت الآن الحادية عشرة فقط على الساحل الغربى . كنت أشعر وكأن رأسى على وشك الانفجار . وكنت أعلم أن هذا الشعور وكأنه راودنى من قبل ، خاصة فى آخر مرة كان ويزل يمارس فيها جرائم القتل فى واشنطن ، إلا أن الشعور الآن كان أقوى من ذى قبل .

وأخيراً دخلت للمنزل متجاوزاً آلة البيانو العتيقة الموجودة فى الشرفة الأمامية ، وراودنى شعور بأن أجلس إليها وأقوم بالقليل من العزف . ربما أحد الألحان الحزينة ؟ أو أغنية مرحة ؟ فى الثانية صباحاً ؟ بالطبع ، لم لا ! فلقد جافانى النوم على أى حال .

بدأ جرس الهاتف يدق وأسرعت لإجابته . يا إلهى ، من هذا ؟

أمسكت بالهاتف الموضوع على حائط المطبخ بالقرب من الثلاجة .

" مرحباً ، كروس معك " .

صمت تام .

ثم أغلق الخط .

بعد ثانية دق الجرس مرة أخرى . ورفعت السماعة فوراً .

ثم أغلق الخط ثانية .

ثم حدث نفس الشىء مرة ثالثة .

نزعت الهاتف من الحامل ووضعته داخل قفاز الفرن الخاص بجدتى لأكتم الصوت .

ثم سمعت صوتاً آتياً من خلفى .

فاستدرت بسرعة .

كانت الجدة نانا واقفة بالقرب من الباب بطولها البالغ خمس أقدام ووزنها البالغ خمسة وتسعين رطلاً . وكانت عيناها العسليتان متسعتين .

سألتنى قائلة : " ما الأمر يا أليكس ؟ ماذا تفعل فى مثل هذا الوقت ؟ ليس هذا مناسباً . ومن الذى يتصل بالمنزل فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ " .

جلست على طاولة المطبخ ثم أخبرت الجدة بكل شىء أستطيع قوله ونحن نحتسى بعض الشاى .

الفصل ٤٢

في اليوم التالي بدأت العمل مع مونى دونيللى ، وهو ما كان شيئاً جيداً لكلينا . وكانت المهمة الموكلة إلينا هى جمع المعلومات عن الكولونيل شافير وسائر أفراد المرتزقة المستخدمين فى الهجمات ، وكان الوقت المحدد لنا قليلاً وعلينا العمل بأقصى سرعة .

وكالعادة كان لدى مونى الكثير من المعلومات عن الموضوع وتحدثت معى دون توقف أثناء تجميعها للمزيد من المعلومات عن القضية . بمجرد أن تبدأ مونى فى الحديث يكون من الصعب ، بل من المستحيل ، إيقافها . فقد كانت تثابر فى العمل على المعلومات التى تقود إلى الحقيقة بلا كلل .

" إن المرتزقة أو " كلاب الحرب " كما يطلق عليهم هم عبارة عن جنود سابقين فى القوات الخاصة ـ قوات دلتا ورجال دوريات الجيش والقوات الخاصة البحرية " سيل " أو ما يطلق عليها " ساس " فى الجيش البريطانى . ومعظم هؤلاء يا أليكس يعملون بصورة قانونية ، على

الرغم من أن مجال عملهم يعتبر نوعاً من العمل الشرعى السفلى . ما أعنيه هنا هو أنهم لا يخضعون لسلطة الجيش الأمريكى ولا يلتزمون بقوانينه ، فعملياً يعتبر هؤلاء خاضعين لقوانين الدول التى يعملون بها ، لكن بعض هذه الأماكن بها نظم قضائية وسلطات ضعيفة ، هذا إذا ما كانت هناك من الأساس .

" إذن فهم أحرار إلى حد كبير ، إن هذا سيروق لـ " شافير " بكل تأكيد . هل يتبع المرتزقة شركات خاصة الآن ؟ " .

أومأت مونى برأسها وقالت : " نعم ، بالفعل . فهم يتبعون شركات عسكرية خاصة . وبإمكانهم أن يربحوا ما يقارب العشرين ألف دولار فى الشهر الواحد ، لكن المتوسط يتراوح ما بين الثلاثة إلى الأربعة آلاف . بعض شركات الأمن الكبرى تمتلك معدات حربية مثل البنادق والدبابات بل والطائرات الخاصة بها ، أتصدق هذا ؟ " .

" أنا أصدقك . فى هذه الأيام يمكننى تصديق أى شىء . اللعنة ، بل إننى أومن الآن بوجود وولف الشرير نفسه " .

استدارت مونى نحوى ونظرت إلىّ فشعرت بأنها على وشك إعطائى واحدة من حقائقها الشهيرة وقالت : " إليكس ، إن وزارة الدفاع لديها ما يزيد على الثلاثة آلاف عقد مع شركات عسكرية تقع فى الولايات المتحدة . وتقدر قيمة تلك التعاملات بما يفوق الثلاثة مليارات دولار . هل تصدق هذا ؟

أطلقت صفيراً وقلت : " حسناً ، هذا يضفى شيئاً من المعقولية على مطالب وولف ، أليس كذلك ؟ " .

قالت مونى : " فليدفعوا للرجل المال ، وبعد ذلك سنمسك به " .

" ليس الأمر بيدى ، لكن لا أختلف معك تماماً ، فعلى الأقل يمكن أن تكون هذه خطة جيدة " .

استدارت مونى لجهاز الكمبيوتر ثانية وقالت : " هاك بعض المعلومات بخصوص ويزل . لقد عمل مع شركة تدعى ماين فورس

إنترناشيونال . واستمع لهذا - إن مكاتبها تقع فى واشنطن ولندن وفرانكفورت " .

جذب هذا انتباهى فقلت : " ثلاث من المدن المستهدفة . ماذا لديكم من معلومات عن ماين فورس أيضاً " .

" دعنى أنظر . من ضمن عملائها توجد مؤسسات مالية : فى مجال النفط بالطبع والأحجار الكريمة " .

" ماس ؟ " .

" أفضل صديق للمرتزقة . كان شافير يعمل تحت اسم تيموثى هيث ، ولقد عمل فى غينيا لتحرير بعض المناجم التى استولت عليها القوات الشعبية . ولقد تم إلقاء القبض عليه واتهم بمحاولة رشوة أحد المسئولين المحليين . ولقد تم العثور على مليون جنيه نقداً عند القبض عليه " .

" وكيف هرب من مثل هذا الموقف ؟ " .

" يقال إنه هرب . همم ، لا توجد تفاصيل . ولا أى ملاحقة للموضوع ، شىء غريب " .

" هذا هو أحد الأشياء التى يبرع فيها ويزل . الهروب من المآزق دون ضرر . ربما كان هذا سبب استخدام وولف له بهذه المهمة " .

قالت مونى : " كلا ، ثم استدارت نحوى وقالت وهى تنظر فى عينى مباشرة : " لقد أراد وولف استخدامه لأنه يعلم أن جيفرى شافير يمثل إزعاجاً شديداً لك ، كما أنك قريب لمدير مكتب المباحث الفيدرالية " .

الفصل ٤٣

فى الثانية من ظهيرة هذا اليوم كنت متجهاً نحو كوبا ، وبالتحديد إلى خليج جوانتانامو . أو كما يطلق عليه جيتمو . كنت هناك فى مهمة بناء على توجيهات المدير ، وكذلك رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . ففى الفترة الأخيرة أصبحت قاعدتنا فى جوانتانامو محط اهتمام العالم بسبب وجود أكثر من سبعمائة " محتجز " بها على علاقة بالحرب ضد الإرهاب . وهو مكان مشوق . مكان تاريخى ، على أية حال .

بمجرد هبوطى تم اصطحابى إلى معسكر كامب دلتا وهو موقع وجود معظم الزنازين . وحول السجن كانت هناك العديد من أبراج المراقبة والأسلاك الشائكة . وطبقاً لإحدى الشائعات التى سمعتها فى طريقى إلى هناك فإن إحدى الشركات الأمريكية كانت تتلقى مبلغ مائة مليون دولار سنوياً لتقديم الخدمات فى خليج جوانتانامو .

كان الرجل الذى جئت لرؤيته محتجزاً فى إحدى الزنازين الصغيرة والتى كانت فى مبنى منفصل عن بقية الزنازين . لم يتم إخبارى باسمه .

كما لم يتم إخبارى بالكثير عنه باستثناء أن لديه معلومات هامة بخصوص وولف .

التقيت بالسجين فى " غرفة هادئة " والتى كانت عبارة عن زنزانة منعزلة مغطاة جدرانها بحاشية سميكة وكانت الحجرة بدون نوافذ . وقد تم وضع مقعدين صغيرين بالحجرة للقيام بعملية الاستجواب .

قال متحدثاً إلىّ بلغة إنجليزية ممتازة : " لقد أخبرت الآخرين بكل ما أعرف . وأظن أنه كان هناك اتفاق لإطلاق سراحى ، ولقد وعدونى بهذا منذ يومين . الكل هنا يكذب . من أنت إذن ؟ ".

" لقد أرسلت إلى هنا قادماً من واشنطن حتى أستمع إلى ما لديك . عليك إخبارى بكل شىء مرة ثانية . وقد يفيدك هذا . وبالتأكيد لم يضرك " .

أومأ السجين بإجهاد وقال : " كلا ، لن يضرنى شىء أكثر مما أنا فيه . هذا حقيقى . أتعلم ؟ لقد مر علىّ هنا مائتان وسبعة وعشرون يوماً . وأنا لم أرتكب أى جُرم . لم أفعل أى شىء على الإطلاق . لقد كنت أقوم بالتدريس فى المدرسة الثانوية فى نيويورك بنيو جيرسى . ولم يسبق لى أن تم اتهامى فى أى قضية . ما رأيك فى هذا ؟ " .

" أعتقد أنه أمامك سبيل للخروج من هنا الآن . فقط أخبرنى بكل ما تعرفه عن ذلك الروسى الذى يستخدم اسم وولف " .

" وما الذى يدفعنى للحديث معك أنت ؟ ربما لم أكن منتبهاً ، لكن من أنت ؟ " .

هززت كتفى ، فقد كانت الأوامر واضحة بألا أكشف هويتى للسجين فقلت له : " بإمكانك أن تربح كل شىء ، ولا تخسر شيئاً . أنت تريد الخروج من هنا ، ويمكننى أن أساعدك لتحقيق ذلك " .

" هل يمكننى هذا حقا يا سيدى ؟ " .

" سأساعدك بقدر استطاعتى " .

وهكذا تحدث الرجل إلىّ . فى الحقيقة استمر حديثى لما يزيد على ساعة والنصف . كانت حياته شائقة ، حيث كان يعمل ضمن رجال الأمن الخاصين بحراسة الأثرياء من الملوك والأمراء وأحياناً ما كان يسافر معهم إلى الولايات المتحدة . ولقد أعجب بالحياة هناك وقرر البقاء ، لكن لا يزال لديه أصدقاء ممن يعملون فى مجال الأمن .

" لقد تحدثوا معى عن ذلك الروسى الذى يتحدث مع بعض الإرهابيين حيث كان يبحث عن تمويل ضخم لما سيقوم به من عمليات تسبب الضرر البالغ بالولايات المتحدة الأمريكية وبعض بلدان أوروبا الغربية . ولقد تمت مناقشة سيناريو للدمار الشامل ، لكنى لا أملك التفاصيل " .

" هل تعرف اسم ذلك الروسى ؟ من أين هو تحديداً ؟ من أى بلد ؟ أى مدينة ؟ " .

قال السجين : " هذا هو الجزء المثير فى الأمر . إن هذا الروسى - حسب اعتقادى وانطباعى عنه - فى الواقع امرأة ، وليس رجلاً . أنا واثق من معلوماتى والاسم الكودى الذى تستخدمه هو وولف " .

وبعدما أنهى حديثه سألنى قائلاً : " والآن ماذا سيحدث ؟ هل ستساعدنى ؟ " .

قلت له : " كلا ، عليك أن تكرر ما قلت أولاً ، من الألف إلى الياء " .

قال لى : " ستكون نفس القصة ، لأنها الحقيقة " .

وفى وقت متأخر من تلك الليلة غادرت المعتقل متجهاً إلى واشنطن . وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخراً للغاية ، إلا أنه كان علىّ أن أبلغ فحوى مقابلتى مع السجين ، وبالفعل قابلت المدير بيرنز وتونى وودز فى غرفة الاجتماعات الصغيرة الملحقة بغرفة المدير . ولقد أراد بيرنز أن يعرف مدى صدق ما قاله السجين لى وهل بالفعل يعرف شيئاً مفيداً عن وولف ؟ هل يجرى بالفعل مفاوضات بالشرق الأوسط ؟

قلت محدثاً بيرنز : " أعتقد أنه يتعين علينا إطلاق سراح السجين " .

" إذن فأنت تصدقه ؟ " .

هززت رأسي وقلت : " أعتقد أنه تم إعطاؤه معلومات ، لسبب ما ولا أعلم إذا ما كانت تلك المعلومات صحيحة . ولا أظنه هو أيضاً يعلم . وأعتقد أنه علينا إما أن نوجه له اتهاماً أو نطلق سراحه " .

" هل كان وولف في منطقة الشرق الأوسط ؟ هل من المحتمل أن يكون وولف امرأة ؟ ".

قلت مكرراً حديثي : " أعتقد أنه أبلغنا بكل ما تم إبلاغه به ، فلندع ذلك المدرس يعود إلى منزله في نيو آرك " .

قال بيرنز : " لقد سمعتك من المرة الأولى " .

ثم أطلق زفرة طويلة وقال : " لقد كنت مع الرئيس ومستشارو اليوم . وهم لا يرون إمكانية عقد أى اتفاق مع هذا الوغد . ومن رأيهم ألاّ نفعل " ثم نظر بيرنز إلىّ وأضاف : " بصورة أو بأخرى ، علينا أن نجد وولف خلال اليومين التاليين " .

الفصل ٤٤

من أسوأ ما يمكن أن يشعر المرء به أن يكون منتظراً حدوث شيء بشع ويكون عاجزاً عن عمل أى شيء لمنعه ولقد صحوت في الخامسة من صباح اليوم وتناولت إفطارى مع الجدة نانا وقلت لها بمجرد جلوسنا إلى طاولة المطبخ الموضوع عليها أقداح القهوة وشرائح الخبز المحمص الخالية من الزبد : " لابد أن نتحدث بخصوصك أنت والأولاد . فهل أنت متيقظة بما يكفي لهذا ؟ " .

قالت لى : " أنا متيقظة تماماً يا أليكس . ماذا عندك أنت ؟ هل أنت مستعد للسماع منى ؟ " .

أومأت برأسي وعضضت لساني . إن جدتى كان لديها شيء لتقوله لى ، وكان من المفترض علىّ أن أستمع لها . ولقد تعلمت أنه مهما طال بك العمر فستظل طفلاً في أعين والديك وأجدادك . وكان هذا متجسداً بكل وضوح مع جدتى .

قلت لها : " تفضلى بالحديث ، كلى آذان صاغية " .

قالت الجدة نانا : " من الأفضل لك أن تصغى لى . فالسبب الذى يجعلنى أرفض الابتعاد عن واشنطن مزدوج . هل تتابعنى ؟ حسناً .

" أولاً ، لقد ظل هذا منزلى طيلة ثلاثة وثمانين عاماً . فهذا هو المكان الذى ولدت أنا ، ريجينا هوب ، به . وهو المكان الذى أنوى الموت فيه . قد يبدو هذا من الحمق ، أعلم هذا ، لكنه الواقع . وأنا أحب هذا المنزل العتيق الذى حدثت به أحداث كثيرة تخصنى . وإذا ما انتهى ، انتهت حياتى معه . شىء حزين ، حزين للغاية ، لكن الموقف الحالى فى واشنطن هو جزء من حياتى الآن . هذه هى الحياة يا أليكس " .

ابتسمت فى وجه جدتى وقلت : " أتعلمين ؟ لقد عاودت الحديث بلهجة المعلمة مرة ثانية . هل تدركين هذا ؟ ".

قالت لى : " ربما كان هذا صحيحاً . وماذا فى هذا ؟ الأمر جد خطير . وأنا لم أنم معظم الليلة الماضية لقد كنت مستلقية فى الظلام أفكر فيما أود أن أقوله لك . والآن ، ماذا ستقول بخصوص هذا الموضوع ؟ أنت تريد منا الرحيل ، أليس كذلك ؟ " .

" إذا ما أصاب الأطفال أى مكروه يا جدتى فلن أسامح نفسى " .

قالت لى : " ولا أنا أيضاً ، هذا شىء مسلم به " . والتمعت عيناها بقوة . يا إلهى ، إنها امرأة قوية .

نظرت الجدة فى عينى ، وكنت آمل أن تعيد تقييم الموقف لكنها قالت : " هذا هو مسكنى يا أليكس . لابد لى من البقاء هنا . ويمكن للأولاد أن يذهبوا للمكوث مع العمة تيا إذا ما رأيت هذا ... والآن ، هل هذا هو ما ستأكل فقط ؟ شريحة فقيرة من الخبز ؟ دعنى أجهز لك إفطاراً شهياً . أنا واثقة من أن أمامك يوماً طويلاً ، يوماً بشعاً " .

الفصل ٤٥

كان وولف فى الشرق الأوسط بالفعل ، ويبدو أن بعض الشائعات الخاصة به صحيحة إلى حدٍ ما .

كان الاجتماع بمثابة " تجميع بسيط للأموال " حسب تعبير وولف وقد تم عقده فى مجموعة من الخيام بالصحراء . ولقد انقسم الحاضرون إلى أشخاص ينتمون للعديد من الدول المختلفة . وبالطبع كان هناك وولف والذى يطلق على نفسه اسم " مسافر عالمى ، ومواطن غير مقصور على دولة بعينها " .

لكن هل هذا الشخص هو وولف فعلاً ؟ أم مجرد ممثل له بديل ؟ لم يكن أحد واثقاً من الحقيقة . أليس من المفترض أن يكون وولف امرأة ؟ حيث كانت تلك إحدى الشائعات .

لكن هذا الرجل كان طويلاً ذا شعر بنى داكن طويل ولحية كثيفة ولم يستطع باقى المشاركين التساؤل ما إذا كان من الصعب عليه التخفى بهذه

الهيئة التى يسهل تمييزها ، لكن لم تكن تلك هى القضية ، لقد عززت من سمعته كشخص غامض والعقل المدبر الحقيقى لكل ما يجرى .

ولقد أسهم سلوكه خلال النصف ساعة التى سبقت عقد الاجتماع فى تعزيز هذه الصورة أيضاً . فبينما كان الجميع يشربون مختلف أنواع المشروبات ويتحدثون فى شتى الموضوعات ، وقف وولف فى أحد الجوانب فى صمت ومشيحاً بيده لإبعاد أى شخص يقترب منه ، لقد كان يفوقهم بالفعل .

كان الجو منعشاً ولذلك تقرر عقد الاجتماع فى الهواء الطلق وبالتالى ترك المشاركون الخيمة وجلسوا بالخارج .

عندئذ أعلن بدء الاجتماع الرسمى ووقف وولف فى منتصف الحاضرين . وكان يخاطب الحاضرين باللغة الإنجليزية حيث كان يعلم أنهم جميعاً يتحدثون تلك اللغة ، أو على الأقل يفهمون ما يكفى منها .

" لقد جئت هنا لأخبركم أن كل شىء يسير على مايرام الآن ، ووفقاً للخطة . وعلينا جميعاً أن نفرح لهذا الأمر ونكون شاكرين " .

" وكيف نتيقن من هذا ؟ فلا يوجد ضمان إلا كلمتك " قال هذه الجملة أحد الحاضرين من ذوى المكانة العالية فى الاجتماع .

ابتسم وولف وقال : " كما قلت ، لا ضمان لكم إلا كلمتى . وكذلك فى هذه الدولة وفى معظم الدول توجد أجهزة تلفاز وجرائد وأجهزة راديو وكلها تؤكد على أننا سببنا مشكلات عويصة للأمريكان والبريطانيين والألمان . بل إن شبكة سى . إن . إن ممثلة هنا داخل الخيمة ، إذا ما أردتم التأكد مما أقول " .

وتحولت عينا وولف الداكنتان عن الرجل الذى أصبح الآن يشعر بالخجل والإحراج والغضب الشديد .

" إن الخطة تسير بنجاح ، لكن حان وقت القيام بتبرع آخر حتى نتمكن من الحفاظ على سير الخطة كما نريد . سأسير حول المائدة

ويمكنكم أن تشيروا ما إذا كنت تتفقون معى . لابد لكم أن تنفقوا مالاً حتى تحصلوا على المال . إنها فكرة غريبة ، لكنها صحيحة تماماً . "

انتقل وولف من شخص لآخر متلقياً موافقات بإيماءات بالرأس أو رفع للأيدى ، ماعدا ذلك الشخص الذى خالفه منذ قليل والذى جلس عاقداً ذراعيه وقال : " أريد أن أسمع المزيد ، إن كلمتك ليست كافية " .

قال وولف : " مفهوم ، لقد فهمت رسالتك . والآن لدىّ رسالة لك أيها المحارب " .

وفى لمح البصر رفع وولف يده وارتفع صوت رصاصة فى الأجواء . وسقط الرجل من على مقعده ميتاً فى نفس اللحظة محملقاً بعينيه الخاويتين إلى السماء .

قال وولف : " هل هناك من يريد سماع المزيد ؟ أم أن كلمتى كافية ؟ هل ننتقل إلى المرحلة التالية من خطتنا ؟ " .

لم ينبس أحد ببنت شفة .

قال وولف : " حسناً ، دعونا ننتقل إذن للمرحلة الثانية . أليس هذا مثيراً ، صدقونى ، سوف نربح المعركة " .

الفصل ٤٦

كنت أشعر بالراحة والهدوء إلى حدٍ ما بينما كنت أقود سيارتى فى شارع اندبندنس أفينيو متجهاً لعملى فى السادسة وخمس عشرة دقيقة من صباح اليوم ، وكان قدح القهوة فى يدى وصوت جيل سكوت يترنم بأجمل الأغانى فى المذياع . وفجأة دق جرس هاتفى الخلوى ، وعندئذ أدركت أن كل هذا الهدوء قد انتهى .

كان كيرت كرفورد يتحدث على الطرف الآخر وكانت الإثارة واضحة فى صوته حتى إنه لم يعطنى فرصة للتفوه بكلمة إذ قال : " لقد ظهر جيفرى شافير يا أليكس على أحد شرائط المراقبة فى مدينة نيويورك . حيث قام بزيارة إحدى الشقق التى كنا نراقبها قبل بداية هذه الأحداث بوقت طويل . ونحن نعتقد أننا قد حددنا مكان الخلية الإرهابية التى على استعداد لضرب مانهاتن " .

" إنهم تابعون لتنظيم إرهابى متطرف يا أليكس . ما الذى يعنيه هذا بحق الجحيم ؟ نحن نريد حضورك إلى نيويورك فى الصباح ولقد حجزنا

لك مقعداً على إحدى الطائرات ، فقط أسرع بالذهاب إلى قاعدة أندروز . "

أطلقت صافرة التنبيه وأسرعت بالسيارة وهو ما ذكرنى بالأيام الخوالى التى كنت أعمل فيها فى قسم شرطة واشنطن دى سى .

أسرعت متجهاً إلى قاعدة أندروز الجوية وبعد أقل من نصف الساعة كنت على متن مروحية من طراز جيت بلاك بيل متجهاً إلى مهبط المروحيات الواقع على إيست ريفر فى قلب مانهاتن . وبينما كنا نحلق فوق المدينة تخيلت المدينة وهى تصاب بحالة من الذعر والهلع . كان لابد لنا من مواجهة مشكلة حقيقية : من المستحيل فعلياً إخلاء جميع سكان المدن المستهدفة ؛ حيث إنها كبيرة الحجم بصورة تعوق ذلك . بالإضافة إلى ذلك فقد تم تحذيرنا بخصوص ذلك . وإذا ما حاولنا إخلاء المدن المستهدفة فسوف يضرب وولف ضربته على الفور . وحتى الآن لم تتسرب أخبار التهديدات إلى الصحافة لكن الضربات التى حدثت بالفعل فى نيفادا وإنجلترا وألمانيا جعلت العالم فى حالة قلق بالفعل .

بمجرد وصولى إلى مهبط المروحيات فى إيست ريفر تم اصطحابى إلى مكاتب المباحث الفيدرالية فى جنوب مانهاتن . وقد توالى انعقاد اجتماعات على مستويات عليا يشوبها التوتر منذ أن شاهد أحدهم ظهور جيفرى شافير على أحد شرائط المراقبة منذ الصباح الباكر . ما الذى يفعله فى نيويورك الآن ؟ ولماذا يتصل برجال من تنظيم إرهابى وفجأة بدأت الشائعات التى كانت تتحدث عن زيارة وولف للشرق الأوسط تكتسب بعض الجدية ، لكن ما الذى يحدث حقاً ؟

وفى داخل مبنى المباحث الفيدرالية تم إخبارى بشكل كامل عن الخلية الإرهابية التى كانت تقطن فى أحد المبانى الصغيرة بالقرب من نفق هولاند تانيل . لم يكن واضحاً ما إذا كان شافير لا يزال بالداخل أم لا ، حيث شوهد وهو يدخل المبنى فى التاسعة من مساء الليلة الماضية ، لكن لم يره أحد وهو يغادر المبنى .

قالت لى أجيلا بيل محللة المعلومات فى فرقة مكافحة الإرهاب فى نيويورك : " أما الباقون فهم أعضاء فى منظمة إرهابية أخرى بكل تأكيد " . وأخبرتنى كذلك أن المبنى المكون من ثلاثة أدوار والذى تمكث به الخلية الإرهابية مملوك لشركة كورية تعمل فى مجال التصدير وشركة أسبانية تعمل فى مجال الترجمة . أما الخلية الإرهابية فهى تعمل تحت غطاء مؤسسة خيرية تدعى " مؤسسة لمساعدة الأطفال فى الدول الفقيرة " .

وطبقاً لتقارير المراقبة التى بحوزتنا فإنه توجد العديد من المؤشرات بأن هناك عدة تخطيطات لهجمات إرهابية فى نيويورك . فقد وجدت مواد كيميائية وأجهزة خلط كيميائى فى أحد مستودعات التخزين فى لونج أيلاند . وتبين أن هذا المكان مؤجر لأحد قاطنى المبنى القريب من نفق هولاند تانيل . كما تم تعديل إحدى الشاحنات الخاصة بأحد أعضاء التنظيم وتزويدها بدعامات قوية حتى تصبح قادرة على حمل ثقل كبير .

أمن الممكن أن يكون هذا الثقل قنبلة ؟ وما نوعها ؟

كان يتم تنسيق خطط الهجوم على كل من المستودع الموجود فى لونج أيلاند وكذلك المبنى القريب فى هولاند تانيل .

وأخيراً ، وفى الرابعة من عصر اليوم ، ذهبت إلى موقع المبنى للانضمام إلى فريق الهجوم فى شركة تربيكا المواجهة للمبنى .

الفصل ٤٧

لقد تم تحذيرنا بألا نفعل هذا الأمر . لكن كيف يتأتى لنا أن نطيعهم فى ذلك ؟ بل كيف يمكن لأحد أن يتوقع منا أن نطيع مثل هذا الأمر بينما كل هذا العدد من الناس فى خطر داهم . وقد يكون بإمكاننا أن ندعى أن تلك الهجمة هى مجرد ضربة موجهة لتنظيم إرهابى وليس لها علاقة بـ " وولف " . اللعنة ، ربما كانت بالفعل .

كانت الشقة الموجود بها أعضاء الخلية الإرهابية ، والمحتمل وجود جيفرى شافير بها ، سهلة المراقبة . فلا يوجد فى مقدمة المبنى سوى مدخل واحد . أما مخرج الطوارئ الخلفى فقد كان يفضى إلى زقاق ضيق والذى كان موضوعاً به كاميرات المراقبة الخاصة بنا . وكان أحد جانبى المبنى متاخماً لمطبعة كتب والآخر يطل على ساحة انتظار صغيرة .

هل لا يزال ويزل بالداخل ؟

كان كل من فرقة إنقاذ الرهائن والاقتحام الخاصة بمكتب التحقيقات الفيدرالية وفريق العمليات الخاصة من قسم شرطة نيويورك قد اتخذوا

موقعهم على سطح شركة تعبئة اللحوم تربيكا والواقعة بالقرب من هولاند تانيل . وقد تجمعنا هناك لتنسيق عملية الهجوم وفى انتظار القرار النهائى بالهجوم أو عدمه .

كان فريق إنقاذ الرهائن يرغب فى الهجوم بشدة وكانوا يريدون أن يتم هذا الهجوم ما بين الثانية والثالثة صباحاً ، وحقاً لم أكن أدرى ماذا كنت سأقرر إذا ما كان القرار بيدى . فأمام أعيننا كانت هناك خلية إرهابية مع احتمال وجود شافير بينهم . لكننا تم تحذيرنا من عواقب ذلك . ويمكن أن يكون الأمر كله مصيدة ، أو نوعاً من الاختبار لنا .

قبل منتصف الليل بقليل بدأ الحديث يدور بأن فريق المراقبة الخاصة بفرقة تحرير الرهائن قد ظفر بشىء هام . وبالفعل فى حوالى الواحدة صباحاً تم استدعائى إلى إحدى الغرف الصغيرة التى كانت تعمل كمقر قيادة لنا ، وكان وقت الحسم يقترب .

كان مايكل اينسلاى من مكتبنا فى نيويورك هو العميل المسئول عن هذه العملية . وكان رجلاً طويلاً وسيماً ممشوق القوام وله خبرة عالية فى هذا المجال . لكن كان لدى انطباع قوى بأنه بكل تأكيد سيكون أكثر راحة لو كان يقضى وقته فى ملعب التنس بدلاً من وجوده وسط هذا الموقف الخطير .

قال إينسلاى مخاطباً الحضور : " هذا هو ما حصلنا عليه من عملية المراقبة . لقد قام أحد قناصة فرقة إنقاذ الرهائن بالتقاط بعض الصور كما قمنا بالتقاط بعض اللقطات بأنفسنا . ونحن نعتقد أن هذه أخبار طيبة . هيا ، انظروا بأنفسكم " .

كان قد تم تحميل الصور واللقطات على جهاز الكمبيوتر المحمول ثم بدأ إينسلاى عرضها علينا ، وكانت لقطات الفيديو عبارة عن لقطات واسعة المدى لحوالى ست نوافذ فى الجانب الشرقى من المبنى .

قال إينسلاى موضحاً : " كنا قلقين ؛ لأن هذه النوافذ لم يتم تغطيتها بعد . فبكل تأكيد هؤلاء الحقراء حريصون وأذكياء بما يكفى ، أليس

كذلك ؟ عموماً ، لقد تحققنا من وجود خمسة ذكور واثنين من الإناث فى المبنى ، ويؤسفنى أن أقول إن الكولونيل شافير لم يظهر فى أى من شرائط المراقبة ، ليس حتى الآن على أى حال . "

" لا يوجد دليل على أنه قد غادر المبنى ، فقط تأكدنا من دخوله إليه . ونحن نستخدم التصوير الحرارى لنتأكد مما إذا كنا قد فقدنا أثره أو أى شخص آخر هناك " . لم يستطع قسم شرطة واشنطن تحمل نفقات شراء جهاز التصوير الحرارى ، لكنى رأيت هذا الجهاز يتم استخدامه منذ أن عملت بالمكتب . وهو قادر على التقاط التغييرات الحرارية والمناطق ذات الحرارة العالية مما يمكن فرق المراقبة من مشاهدة ما يحدث خلف الجدران .

أشار إينسلاى إلى لقطة مقربة تُعرض على شاشة الكمبيوتر الآن وقال : " هنا الجزء المثير " ، ثم قام بتثبيت إحدى اللقطات والتى تظهر رجلين جالسين إلى منضدة صغيرة فى المطبخ .

" إلى اليسار يوجد أحد الإرهابيين الدوليين الذى هو على قائمة المطلوبين من جهاز الأمن القومى . وهو مشتبه بتورطه فى العديد من العمليات الإرهابية ولا نعرف تحديداً متى وصل أو كيفية وصوله لكننا متأكدون تماماً من وجوده هنا الآن .

" أما الرجل الجالس بجواره فهو أحد الإرهابيين الخطرين وهو يحتل المرتبة الثامنة على قائمة المطلوبين . وهو شخص هام حقاً ، ويعمل كمهندس ، ولم يظنه أى من هذين الوغدين على شرائط المراقبة قبلاً " .

" لابد أن كليهما تسلل دخولاً إلى المدينة ، لكن لماذا ؟ فى الظروف العادية كنا سندخل إليهما فى هذا المطبخ ونضع الكثير من الشاى بالنعناع استعداداً لمناقشة ودية قد تطول .

" هذه الصورة لديهم فى قسم الشرطة وفى واشنطن الآن ، وبكل تأكيد سنسمع منهم قريباً ، بصورة أو بأخرى " .

نظر إينسلاى عبر الحجرة وأخيراً ظهرت ابتسامة على وجهه وقال : " وعن نفسى أنا أفضل أن ندخل الآن ونحتسى الشاى ، ونتجاذب أطراف الحديث " .

اندفع كل من بالحجرة فى تصفيق حاد ، فللحظة شعر الجميع بأننا نقضى وقتاً ممتعاً .

الفصل ٤٨

يطلق بعض من رجال فرقة إنقاذ الرهائن الأكفاء ، بل تقريباً كلهم ، على تلك النوعية من العمليات الخطرة اسم " خمس دقائق من الذعر والإثارة " ، حيث ستمثل رعباً بالنسبة للإرهابيين ، وإثارة عظيمة لنا " . أما ما أجده مثيراً حقاً فهو القبض على جيفرى شافير .

كان رجال فرقة إنقاذ الرهائن والعمليات الخاصة يتحرقون شوقاً لدخول المبنى وكانوا على أتم الاستعداد لذلك . كان هناك حوالى أربعة وعشرين من هؤلاء المقاتلين المسلحين المجهزين بأحدث المعدات المنتشرين على أرضية مصنع تعليب اللحوم الخشبية ، وكانوا واثقين تماماً فى قدراتهم على إنجاز المهمة بكل دقة وسرعة . وعندما شاهدتهم شعرت أنه سيكون من الصعب علىّ ألا أشارك ، او حتى أطلب الاشتراك فى الهجوم الموشك على الحدوث .

كانت المشكلة تتمثل فى أنهم لو نجحوا ، فربما سبب لنا هذا النجاح الخسارة التامة . لقد تم تحذيرنا وتم إعطاؤنا دروساً قاسية للتأكيد على ما

سيحدث لنا لو أننا تجاهلنا الأوامر التى أصدرها لنا وولف . ومع ذلك ، فربما كان الرجال الذين نراقبهم حالياً هم فريق الهجوم على نيويورك . فماذا سنفعل إذن ؟

كنت أعلم بكافة تفاصيل المهمة . فعملية الاستيلاء والسيطرة على المبنى ستتطلب تنسيقاً واستغلالاً كاملاً لكل من فرقة إنقاذ الرهائن وكذلك فرقة العمليات الخاصة . كانت هناك ست فرق هجومية وست فرق خاصة بالقناصة وهو ما كان يظنه فريق إنقاذ الرهائن زائداً على الحاجة بفريقين . فهم لم يريدوا أى مساعدة من فرقة العمليات الخاصة . وكانت فرق القناصة الخاصة بقوات تحرير الرهائن مقسمة إلى أربع فرق هى اكى راى وويكى ويانكى وزولو ، وكان كل فريق منها يضم سبعة أفراد . ولقد تم وضع فريق تابع لمكتب المباحث الفيدرالية أمام كل جانب من جانبى المبنى ، وستساعد قوات العمليات الخاصة فى المقدمة والمؤخرة فقط .

كان الشيء المشوق لى هو إدراكى أن الكلمة العليا هنا كانت لفريق إنقاذ الرهائن ، وهو على عكس ما كنت أشعر به عندما كنت أعمل فى قسم شرطة واشنطن . كان قناصة فرقة إنقاذ الرهائن يعملون متخفين فى " ملابس مدنية " وكان كل منهم يحمل حقيبة من النسيج القطنى وحبال وما شابه . وكان لكل قناص هدف محدد وبهذا تمت تغطية كل نافذة وباب فى المبنى .

لكن ظل السؤال قائماً : " هل سنقتحم المبنى ؟ "

وهل مازال شافير بالداخل ؟ هل ويزل بالمبنى الآن ؟

فى الثانية والنصف صباحاً انضممت لفريق مكون من اثنين من القناصة فى الجهة المقابلة للنافذة المستهدفة . كان الأمر مقلقاً ويثير التوتر بصورة حادة .

كان القناصان مختبئين فى حجرة اتساعها عشر أقدام فى عشر أقدام وقد نصبا خيمة صغيرة فى القماش القطنى على بعد حوالى ثلاث أقدام من النافذة ، أما النافذة نفسها فظلت مغلقة ، وقال لى أحدهما مفسراً الأمر :

" إذا ما أعطيت لنا الإشارة بالهجوم ، فسوف نستخدم أنابيب الرصاص هذه لتحطيم النافذة الزجاجية ، يبدو هذا أمراً عتيقاً ، لكن لم يفكر أحد فى بديل أفضل حتى الآن " .

لم يكن هناك مجال لتبادل الحديث فى تلك الحجرة الصغيرة الحارة ، وكل ما فعلته على مدار النصف ساعة التالية هو مجرد مشاهدة المبنى المستهدف من خلال المنظار المقرب لإحدى البنادق الاحتياطية . كانت دقات قلبى تتسارع الآن ، وكنت أبحث عن شافير بهذا المنظار ماذا لو رأيته ؟ كيف يمكن لى أن أبقى بالأعلى هنا ؟

كانت اللحظات تمر وكنت أحسب مرورها بدقات قلبى . وكان فريق الهجوم متحفزاً للهجوم وكل ما كان بوسعنا فعله هو الانتظار حتى صدور الأوامر الرسمية .

هجوم .

أو : إلغاء الهجوم .

قلت أخيراً محطماً الصمت المخيم على الحجرة : " سأذهب إلى الشارع . أنا بحاجة لأن أكون هناك فى قلب المعركة " .

الفصل ٤٩

كان هذا أفضل بكثير .

مكثت مع فريق الهجوم على المبنى الذى يختبئ به الإرهابيون . من الناحية الرسمية ، لم يكن من المفترض وجودى هنا ـ لذا لم أكن موجوداً من الناحية الرسمية ـ لكن اتصلت بـ " نيد ماهونى " وهو ما سهل لى الأمور .

الساعة الثالثة صباحاً ، مرت الدقائق ببطء شديد دون وصول تصريح بالهجوم من القيادة فى نيويورك أو من مركز قيادة المباحث الفيدرالية فى واشنطن . ما الذى يفكرون به ؟ كيف يمكن لشخص أن يتخذ مثل هذا القرار المستحيل ؟

هل نهجم ؟

أم نلغى الهجوم ؟

هل نطيع أوامر وولف ؟

أم نعصى أوامره ونتحمل العواقب ؟

تجاوزت الساعة الثالثة والنصف ، ثم أصبحت الساعة الرابعة صباحاً ، ليس هناك أخبار بعد من القيادة فى واشنطن .

ارتديت سترة قتال سوداء محشوة بالذخيرة وأمسكت ببندقية إم بى ٥ . كان رجال فرقة إنقاذ الرهائن يعلمون بأمر شافير واهتمامى الخاص به .

جلس القائد المسئول بجانبى على الأرض وقال : " هل أنت بخير ؟ هل كل شيء على ما يرام ؟ " .

" لقد عملت فى قسم جرائم القتل ومررت بخبرات كثيرة مثل هذه من قبل " .

" أعلم هذا . ولو أن شافير لا يزال هنا ، سوف نقبض عليه ، قد نقبض عليه " . أجل ، **ربما تمكنت من الإطاحة بهذا الحقير على أى حال .**

وعندئذٍ صدرت الأوامر بالتحرك . الضوء الأخضر ! خمس دقائق من الرعب والإثارة .

أول ما سمعت كان صوت النوافذ التى حطمها القناصة فى المبنى المقابل .

بعد ذلك اتجهنا جرياً نحو المبنى المستهدف . كان الجميع مستعدين للحرب ، حيث كان الجميع يرتدون ستراتهم القتالية السوداء ، ومسلحين إلى أقصى حد .

ظهرت فى الأفق فجأة مروحيتان تتسع كل منهما لثمانية ركاب وحلقتا فوق سطح المبنى المستهدف . وبينما كانتا تحلقان كان خبراء ومتخصصو الاقتحام ينزلون منهما على الحبال بأقصى سرعة .

كان هناك فريق من أربعة أفراد يتسلقون جانب المبنى ياله من مشهد رائع فى حد ذاته .

وتذكرت هنا أحد شعارات فرقة إنقاذ الرهائن وهو السرعة والمفاجأة والقتال بقوة ، وكان الأمر يتم على هذا النحو تماماً .

سمعت صوت قنابل الاقتحام وهى تطيح بالأبواب وفى خلال ثوان سمعت صوت ثلاثة أو أربعة انفجارات منها . لن يكون هناك أى تفاوض فى هذا الهجوم .

لقد دخلنا . شىء جيد ـ لقد دخلت .

دوى صوت الأعيرة النارية فى ردهات المبنى المظلمة وبعد ذلك دوى صوت مدفع آلى يتردد فى مكان ما فوقى .

اتجهت صوب الطابق الثانى وظهر أمامى رجل ذو شعر أشعث من أحد الأبواب ، وكان ممسكاً ببندقية فى يده .

صحت فيه قائلاً : " ارفع يدك عالياً ، فى الهواء ، عالياً " .

كان يفهم الإنجليزية ـ فرفع يديه عالياً تاركاً البندقية تسقط أرضاً .

صحت فيه قائلاً : " أين الكولونيل شافير ؟ أين شافير ؟ " .

هز الرجل رأسه وقد بدت عليه الحيرة والارتباك .

تركت الرجل مع اثنين من رجال قوات إنقاذ الرهائن وأسرعت بالصعود للطابق الثالث . كنت أريد القبض على ويزل بشدة الآن . هل هو هنا فى مكان ما ؟

فجأة ظهر أمامى شبح امرأة متشحة بالسواد تجرى عبر إحدى الغرف متجهة نحو السلالم العليا .

صحت فيها قائلاً : " توقفى ! أنت ... توقفى " .

لكنها لم تفعل ، بل اتجهت جرياً نحو إحدى النوافذ المفتوحة ، ثم سمعت صرختها ، ثم لا شىء بعد هذا ، كان المشهد مثيراً للغثيان .

وأخيراً سمعت شخصاً يقول : " المكان مؤمّن . المبنى مؤمّن الآن ! كل الطوابق آمنة ! " .

لكن لا يوجد أثر لـ " جيفرى شافير " . لا أثر لـ " ويزل " .

الفصل ٥١

كان رجال فرقة إنقاذ الرهائن وفرقة العمليات الخاصة يملأون جنبات المبنى ، وقد تمت الإطاحة بكل الأبواب وتحطيم بعض النوافذ ، أعتقد أنه لا يوجد مجال الآن لاستخدام آداب الاستئذان ! لكى يبدو أن الخطة نجحت . ماعدا الجزء الخاص بالقبض على شافير . أين ذهب هذا الوغد ؟ لقد أفلت منى تماماً كما أفلت منى فى المرتين السابقتين .

كانت المرأة التى ألقت بنفسها من الطابق الثالث ميتة ، وهو شىء طبيعى نظراً لسقوطها من ارتفاع ثلاثة طوابق على رأسها . قمت بتهنئة بعض رجال قوات الاقتحام وأنا فى طريقى نحو الطابق العلوى ، وقاموا كذلك بتحيتى .

قابلت مايكل إينسلاى على السلم فقال لى وهو يبدو غير مسرور : " إن القيادة فى واشنطن تريد اشتراكك فى عمليات التحقيق . يوجد ستة أفراد منهم الآن ، كيف تريد أن تتولى الأمر ؟ " .

سألته قائلاً : " ماذا عن شافير ؟ هل هناك أى أخبار عنه ؟ " .

" إنهم يقولون إنه ليس هنا ؟ ونحن غير متأكدين ، ولازلنا نبحث عنه " .

لم أستطع منع نفس الشعور بالخذلان لهروب ويزل لكنى تقبلت الأمر . كنت أمشى بجوار إحدى المناطق الخالية والتى تحولت إلى ما يشبه الشقة حيث كانت تتناثر بها بعض حقائب النوم وبعض الحواشى الموضوعة على الأرض الخشبية العارية .وعلى الأرض جلس خمسة رجال وامرأة مكبلين تماماً مثل سجناء الحرب ، وهو ما أظنه يعتبر وصفاً سليماً لهم .

نظرت لهم دون التحدث مطلقاً .

ثم أشرت نحو أصغرهم سناً وكان رجلاً نحيلاً ضئيل الحجم ذا لحية مشعثة ، بالطبع . ثم قلت : " هذا " ثم خرجت من الحجرة وأضفت قائلاً : " أريد هذا الشخص ، أحضروه الآن ! " .

بعد أن تم إخراج الرجل الشاب من غرفة المعيشة الرئيسية ووضعه فى إحدى الغرف الصغيرة الملحقة نظرت إلى الحجرة ثانية .

ثم أشرت نحو شاب آخر صغير السن ذى شعر أسود مموج ولحية كثيفة وقلت : " وهذا أيضاً " وبالفعل تم اصطحابه للخارج . دون أى تفسير .

بعد ذلك تعرفت على أحد محققى مكتب المباحث الفيدرالية الذى كان يتحدث العديد من اللغات الشرقية . ودخلنا إلى غرفة النوم المجاورة سوياً .

قال لى المحقق فى طريقنا للغرفة : " هذا الشاب كان عصبياً للغاية . أحياناً ما نجد أن الإرهابيين يكونون على استعداد للتحقيق على يد الشيطان نفسه . وهذا هو دورى أنا هنا الآن ، أن ألعب معه دور الشيطان " .

أقنعت المترجم بأن يحاول الدخول مع الإرهابيين المشتبه بهم فى حوار خفيف عن بلادهم وعن مدى صعوبة العيش فى نيويورك ، عرين

الشيطان . وطلبت منه أن يذكر عرَضاً فى سياق الحديث أننى رجل طيب وأننى من رجال المباحث الفيدرالية القلائل الطيبين .

وفى نفس الوقت جلست محاولاً تفهم سلوك الإرهابى ، دون أن يبدو هذا واضحاً علىّ . كان جالساً منتصباً فى مقعده ، وكذلك جلست أنا . إذا ما أمكننى أن أكون أول أمريكى يحظى بثقته ولو إلى حدٍ قليل فربما استطعت استشفاف بعض المعلومات منه .

فى البداية لم يُجد هذا الأمر ، لكنه أجاب عن عدة أسئلة بخصوص منشأة ، وقال إنه أتى إلى الولايات المتحدة بتأشيرة دراسية ، لكنى كنت أعلم أنه لم يكن معه جواز سفر . كما لم يكن يعرف مكان أى جامعة فى نيويورك ، حتى الشهيرة منها .

وأخيراً وقفت واندفعت غاضباً من الحجرة . وذهبت لتفقد المشتبه به الثانى وكررت معه نفس العلمية .

بعد ذلك عدت إلى الشاب النحيف وأمسكت بكومة من التقارير وألقيت بها على الأرض . كان صوت الارتطام عالياً لدرجة أنه قفز من كرسيه فزعاً .

صحت مخاطباً المترجم : " قل له إنه كان يكذب علىّ ، قل له إننى وثقت به . وقل له إن رجال المباحث الفيدرالية ووكالة المخابرات المركزية ليسوا أغبياء ، كما قيل له فى بلده . فقط تحدث معه . والأفضل أن تصيح فى وجهه . لا تدعه يتحدث حتى يكون لديه شىء مفيد يقوله لنا . ثم صح فيه وقل له إنه سيموت وإننا سنتعقب عائلته كلها ونقتلها " .

وعلى مدار الساعتين التاليتين واصلت التنقل بين الحجرتين . وقد جعلتنى سنوات خبرتى فى العمل كمعالج نفسانى قادراً على قراءة الناس ، خاصة من يكونون فى حالة مضطربة . بعد ذلك قمت باستجواب المرأة الموجودة كذلك . وكان عملاء المخابرات يتولون

استجواب المتهمين كلما غادرت الحجرة ، ولم يكن هناك تعذيب ، فقط ضغط مستمر .

في جلسات التدريب الخاصة برجال المباحث الفيدرالية والتى تعقد في كونتيكو ، كانون يتحدثون عن مبادئ الاستجواب الثلاثة وهى : التعقل ، والإسقاط ، والتهوين . ففى البداية أظهر للمتهم التعقل وأقول له : " أنت شخص صالح ، وذو مبادئ قوية ، أتمنى لو أن لى إيماناً قوياً مثل إيمانك . ثم أقوم بإسقاط اللوم والمشكلة على غيره قائلاً : " الأمر ليس خطأك ، وأنت مجرد شاب صغير السن . وأحياناً ما تكون أفعال حكومة الولايات المتحدة تتسم بالشر والخسة حتى إننى أحياناً أشعر أنه يجب أن نعاقب كأمريكان " ثم أهون من العواقب قائلاً : " حتى الآن أنت لم ترتكب أى جريمة فعلية هنا . ويمكن لقوانيننا ونظامنا القضائى أن يحمياك " . ثم أبدأ الحديث فى صلب الموضوع قائلاً : " أخبرنى عن ذلك الرجل الإنجليزى . نحن نعلم أن اسمه هو جيفرى شافير ، ويطلق عليه اسم ويزل كذلك . وقد كان موجوداً هنا بالأمس . ولدينا شرائط مراقبة وصور تثبت ذلك . ونحن موقنون من أنه كان هنا . أين هو الآن ؟ إنه الشخص الذى نريد " .

واصلت هذه المرة الحديث مستخدماً نبرة حديث متغيرة فى كل مرة وقلت : " ما الذى كان يريده هذا الرجل الإنجليزى . إنه هو المذنب وليس أنت ولا أصدقاءك . نحن نعرف هذا بالفعل . فقط أهدنا بما ينقصنا من معلومات وسوف يكون بمقدورك العودة لوطنك " .

ثم عدت لتكرار نفس الأسئلة بخصوص وولف .

لم ينجح هذا مع أى من الإرهابيين ، ولا حتى أصغرهم سناً . كانوا أشداء ولديهم من الخبرة والالتزام أكثر مما يبدو عليهم ، وكانوا أذكياء وذوى هدف محدد .

ولِمَ لا ؟ إن لديهم هدفاً محدداً ، وربما نتعلم نحن شيئاً ما من ذلك .

الفصل ٥١

كان الإرهابى الذى اخترته بعد ذلك أكبر سناً ، وأكثر وسامة وكان له شارب كث وأسنان مكتملة بيضاء . وكان يتحدث الإنجليزية وأخبرنى ببعض الفخر أنه درس فى كل من جامعتى بيركلى وأوكسفورد .

" الكيمياء الحيوية والهندسة الكهربائية . هل يدهشك هذا ؟ " كان هذا الرجل هو أحد الإرهابيين الدوليين ، وكان يحتل المرتبة الثامنة على قائمة المطلوبين من هيئة الأمن القومى .

وكان لديه استعداد قوى للحديث عن جيفرى شافير .

" نعم ، لقد أتى الرجل الإنجليزى إلى هنا . أنت محق فى هذا . وعموماً فشرائط المراقبة البصرية والسمعية لا تكذب . ولقد زعم أنه لديه شىء مهم يرغب فى الحديث معنا عنه " .

" وهل تحدث معكم ؟ " .

قطب الرجل جبينه وقال : " كلا ، ليس تماماً ، لقد اعتقدنا أنه أحد عملائكم " .

قلت له : " لماذا إذن أتى إلى هنا ؟ ولماذا وافقتم على مقابلته ؟ " .

هز كتفيه وقال : " فقط بدافع الفضول . ولقد قال لنا إن لديه الإمكانية للوصول إلى قنابل نووية تكتيكية " .

أجفلت وتسارعت دقات قلبى . قنابل نووية تكتيكية فى قلب نيويورك ؟ ثم قلت له : " وهل يمتلك هذا السلاح فعلاً ؟ " .

" لقد وافقنا على التحدث معه . ولقد اعتقدنا أنه يعنى قنابل نووية محددة . وهو نوع يصعب الحصول عليه ولكن ليس من المستحيل ذلك . وكما تعلم فإن علماء الاتحاد السوفيتى قاموا بتطويرها أثناء الحرب الباردة . ولا أحد يعلم يقيناً ما الذى حدث لهم . ولقد حاولت المافيا الروسية بيعها فى السنوات الأخيرة ، أو هكذا كانت تقول الشائعات . أنا لا أعرف حقاً . فلقد جئت هنا لأكون أستاذاً جامعياً ولكى أجد عملاً فى هذا المجال " .

سرت فى جسدى رعشة خفيفة ، فعلى العكس من الرؤوس النووية الحربية المعتادة ، كانت القنابل النووية المحدودة مصممة لكى تنفجر على الأرض ، وهى فى حجم حقيبة السفر الكبيرة ومن الممكن حملها وتشغيلها بواسطة رجل واحد .

كما أنه من السهل إخفاؤها فى أى مكان ، بل إنه يمكن حملها والسير بها فى شوارع نيويورك أو واشنطن أو لندن أو فرانكفورت .

قلت له : " إذن هل بحوزته مثل هذه القنبلة ؟ " .

هز كتفيه وقال : " نحن مجرد طلبة ومدرسون ، فما الذى يجعلنا نهتم بأمر الأسلحة النووية ؟ " .

أعتقد أننى فهمت ما كان يرمى إليه الآن - إنه يحاول عقد صفقة له ولمن معه .

سألته قائلاً : " لماذا إذن قتلت واحدة من الطلاب نفسها رمياً من النافذة ؟ " .

قال وقد ضاقت عيناه من الألم : " لقد كانت تشعر بـالخوف منذ أن جاءت إلى نيويورك . فهى يتيمة ولقد مات أبواها فى إحدى الحروب الجائرة التى شنتها الولايات المتحدة الأمريكية " .

أومأت برأسى ببطء كما لو كنت أتفهم ما يقول وأتعاطف معه وقلت : " حسناً ، أنتم لم ترتكبوا أى جرائم هنا . ولقد كنا نراقبكم منذ أسابيع . لكن هل الكولونيل شافير يملك تلك القنابل ؟ هذا هو السؤال الذى يحتاج إلى جواب . وهذا شىء مهم لك ولن معك ، هل تفهمنى ؟ " .

" أعتقد ذلك ، هل تعتقد أنه سيتم ترحيلنا إذا ما تعاونا ؟ إلى بلادنا ؟ إننا لم نرتكب جريمة أليس كذلك ؟ " . وكان الرجل بهذا يحاول إتمام الاتفاق .

قلت له : " لكن البعض منكم ارتكب جرائم خطيرة فى الماضى . جرائم قتل . والباقون سيتم استجوابهم ثم سيرحلون لبلادهم " .

أومأ برأسه ثم قال : " حسناً ، لم يترك السيد شافير لدىّ انطباعاً بأنه يملك بالفعل تلك الأسلحة النووية التكتيكية . أنت تقول إنكم كنتم تراقبوننا . حسناً ، ربما كان يعلم هو هذا . هل يبدو هذا لكم معقولاً ؟ إنه قد تم التغرير بكم ؟ لا أدعى أننى أعرف هذا يقيناً ، لكن هذا التفكير خطر لى الآن وأنا أحدثك " .

لسوء الحظ كان ما يقوله معقولاً للغاية . وكنت أخشى أن يكون الأمر كذلك بالفعل . مجرد خدعة ، اختبار . كل شىء يسير كما خطط له وولف حتى الآن .

قلت له : " وكيف خرج شافير من هناك دون أن يراه أحد ؟ " .

" إن القبو الخاص بالمبنى متصل بأحد المبانى من جهة الجنوب . والكولونيل شافير يعلم هذا . ويبدو أنه كان يعلم الكثير عنا " .

غادرت المبنى فى التاسعة صباحاً . وكنت أشعر بالتعب حتى إننى كنت مستعداً للنوم فى الشارع . سيتم ترحيل المشتبه بهم قريباً ، والمنطقة بأكملها مغلقة الآن ، حتى نفق هولاند تانيل تم إغلاقه خشية أن يكون مستهدفاً ويتم تفجيره .

ترى ، هل كان كل هذا مجرد اختبار ، أم فخ ؟

الفصل ٥٢

لكن الأحداث الغريبة لم تنته بعد .

كان هناك حشد من الناس حول المبنى ، وبينما كنت أشق الطريق وسطهم وصولاً إلى سيارتى سمعت شخصاً ينادى قائلاً : " د. كروس " .

د. كروس ؟ من ذا الذى ينادى اسمى ؟

لوح لى فتى ذو وجه يميل إلى السمرة مرتدياً سترة قرمزية اللون حتى أراه .

" د. كروس ، أنا هنا . د. أليكس كروس ، أنا أريد الحديث معك يا رجل " .

ذهبت نحو الشاب الذى كان فى أواخر سن المراهقة ثم توقفت وانحنيت وسألته : " كيف عرفت اسمى ؟ " .

هز رأسه وتراجع لخطوة وقال : " لقد تم تحذيرك يا رجل ، لقد حذرك وولف ! " .

بمجرد أن لفظ بهذه الكلمات قفزت نحوه وأمسكته من شعره وسترته . وفى لمح البصر ألقيت به إلى الأرض ووقعت فوقه بكل ثقلى .

صاح قائلاً وقد احمر وجهه وتلوى جسده تحتى : " مهلاً ، مهلاً ، لقد تم استئجارى لأوصل لك الرسالة . إليك عنى . لقد أعطانى أحدهم مائة دولار لهذا ، أنا فقط رسول يا رجل . رجل إنجليزى قال إنك تدعى د. أليكس كروس " .

ثم نظر الرسول الشاب فى عينى وأضاف : " ومع ذلك فأنت لا تبدو طبيباً لى على الإطلاق " .

الفصل ٥٣

كان وولف فى نيويورك ، فلم يكن ليفوت الموعد النهائى ، ولا حتى من أجل كل أموال العالم ، سيكون هذا الأمر طيباً للغاية ، ولا يمكن أن يفوته .

كانت المفاوضات تجرى على أشدها الآن ، ولم يكن أى من الرئيس الأمريكى ولا رئيس الوزراء البريطانى ولا المستشار الألمانى يرغبون فى عقد اتفاق ، ولا أن يكشفوا عن مدى ضعفهم . لا يمكن لأحد أن يتفاوض ويتعامل مع الإرهابيين ، أليس كذلك ؟ أى قاعدة سيرسونها بهذا الفعل . إنهم بحاجة للمزيد من الضغط ، المزيد من الإقناع حتى ينهاروا ويقبلوا .

اللعنة ، يمكنه عمل هذا . كم سيسعده أن يعذب هؤلاء الحمقى ، كان الأمر كله متوقعاً ، من وجهة نظره على أى حال .

أخذ يتمشى فى الجانب الشرقى من مانهاتن . نزهة صحية . كان يشعر بأن فى يده مقدرات الأمور . كيف يمكن لأى حكومة فى العالم أن تنافسه ؟ إنه يملك كل الميزات . فلا تعقيدات سياسية ولا ضغوط

إعلامية ولا معوقات بيروقراطية أو قانونية تعترض طريقه . من الذى يستطيع التغلب على هذا ؟

استدار عائداً إلى واحدة من الشقق التى يمتلكها حول العالم ، وكانت هذه شقة رائعة تطل على إيست ريفر ، ثم قام بإجراء مكالمة هاتفية . وبينما كان يعتصر الكرة المطاطية فى يده برفق كان يتحدث مع إحدى كبار عميلات المباحث الفيدرالية فى نيويورك .

أخبرته العميلة بكل ما يعرفه المكتب حتى الآن وكل ما يتم عمله لإيجاده . وهو ما لم يكن ذا نفع على أى حال . فيبدو أن فرصتهم أفضل فى الإمساك بأى زعيم إرهابى من الإمساك به .

صاح وولف فى سماعة الهاتف : " هل أدفع لك مقابل هذه النزهات ؟ لإخبارى بما أعرفه بالفعل ؟ يجب علىّ أن أقتلك لذلك " .

لكنه ضحك بعد ذلك وقال : " فقط ، دعابة سيئة يا صديقتى . لقد أتيت لى بأخبار طيبة . وأنا لدى أخبار لك كذلك . سيحدث شىء فى نيويورك قريباً . فقط ابتعدى عن الجسور . فالجسور يمكن أن تكون خطرة أحياناً . أعرف هذا جيداً من سابق خبرتى " .

الفصل ٥٤

كان بيل كابيستران هو الرجل الموكل بالمهمة . وكان رجلاً ذا طباع عنيفة وسلوك سيئ ويتسم بعدم القدرة على التحكم فى أعصابه . لكنه أيضاً رجل يحمل مائتين وخمسين ألف دولار أمريكى الآن فى حسابه فى بنوك جزيرة كايمان . وكل ما كان مطلوباً منه هو ممارسة مهنته المعتاد عليها ، وهو ما لم يمثل له أى صعوبة . **باستطاعتى فعل هذا ، لا مشكلة** .

كان كابيستران فى التاسعة والعشرين من عمره ، وكان نحيفاً ذا جسد مشدود كالوتر وقد نشأ أصلاً فى رالى بـ " نورث كارولاينا " . ولقد لعب كرة المضرب لمدة عام فى ولاية نورث كارولانيا قبل أن يلتحق بقوات البحرية المارينز . وبعد قضاء ثلاث سنوات من العمل فى مهام محددة تم تعيينه فى قوات المرتزقة التابعة لإحدى الشركات الموجودة خارج واشنطن . ومنذ أسبوعين التقى به رجل يعرفه من واشنطن ، جيفرى شافير ، واتفق معه على القيام بأكبر مهمة فى حياته . مهمة تساوى مائتين وخمسين ألف دولار .

وكان يعمل على تنفيذ المهمة الآن .

فى السابعة صباحاً اتجه بشاحنته الفورد السوداء شرقاً عبر الطريق ٥٧ فى مانهاتن ثم استدار شمالاً إلى طريق فيرست أفينيو . وأخيراً توقف بالقرب من الجسر المجاور لشارع ٥٩ والمعروف باسم كوينز بورو .

ثم خرج من الشاحنة بصحبة اثنين من الرجال يرتديان رداءى عمل أبيض اللون ثم أخرجوا بعض المعدات من العربة . ولم يخرجوا ألوان الطلاء أو قطع قماش أو سلالم معدنية ، بل أخرجوا متفجرات ، وكانت تلك المتفجرات عبارة عن توليفة من مادة سى ٤ والنيترات وكانت مجهزة حتى توضع فى قواعد الجسر السفلية فى نقاط استراتيجية محددة بالقرب من جانب الجسر المواجه لمانهاتن .

كان كابيستران يعرف كل شىء عن كوينز بورو الآن . ووقف محدقاً إلى الجسر القوى البالغ عمره خمسة وتسعين عاماً وشاهد جسم الجسر المرن ذى الدعامات ، وكان هذا الجسر هو الوحيد من بين جسور إيست ريفر الأربعة الذى لم يكن معلقاً . وهو ما يعنى أنه يحتاج إلى نوع خاص من القنابل ، وهو النوع الذى يملكه الآن ويضعه فى مؤخرة سيارته .

إن هذا شىء مختلف ، هكذا كان يفكر كابيستران عندما توقف هو ورفيقاه بالسيارة قرب الجسر . مدينة نيويورك . الجانب الشرقى . ورجال الأعمال الحمقى والأميرات الشقراوات والذين يمشون مختالين كما لو كان العالم ملكهم . ومع كل ، كان يستمتع بوقته الآن ، ووجد نفسه يصفر لحن أغنية لطيفة تدعى " أغنية جسر شارع ٥٩ " لسيمون وجارفانكل واللذين كان يعتبرهما من الحمقى ، تماماً مثل باقى سكان نيويورك .

على مدار اليومين السابقين كان كابيستران يعمل مع اثنين من طلبة الهندسة فى جامعة بروك فى لونج إيلاند . وكم كان هذا مدعاة للسخرية ، حيث كان طالبان فى إحدى جامعات نيويورك يساعدانه على

تدمير نيويورك نفسها . أرض الحرية اللعينة ، أليس كذلك ؟ كانوا يطلقون على هذا الفريق ، مشروع مانهاتن ، يا للسخرية .

فى البداية كانوا يفكرون فى استخدام قنابل من طراز ANFO " إية . إن . إف . أو " وهو نوع قادر على إحداث فجوة فى الأرض بكل تأكيد ، لكن من غير المحتمل أن يقوم بتدمير جسر ضخم الحجم مثل هذا . ثم أخبر الطالبان العبقريان كابيستران أن بإمكانه رؤية ما ستفعله تلك القنبلة إذا ما وضع واحدة من الألعاب النارية على الأرض وأشعلها ، أو يمكنه تخيل هذا . سيؤدى انفجارها إلى حدوث تأثير على أرضية الشارع ، حيث إن الانفجار يكون سريع الانتشار فى الوسط الذى لا يجد فيه مقاومة كبيرة ، إلا أنه على الرغم من حدوث هذا الحرق البسيط على أرضية الشارع ، فإن معظم طاقة وقوة الانفجار ستضيع هباءً حيث ستنتشر إلى الأعلى والجانبين وتتبدد فى الهواء .

لن يصلح هذا . فالأمر هكذا لن يُحدث الأثر المطلوب ، ولا يصلح ولا حتى من قريب لتحقيق هدفنا .

عندئذ خرج عليه الطالبان الفذّان بفكرة أفضل بكثير لتفجير الجسر ، حيث أخبرا كابيستران بالمكان المناسب والكيفية السليمة لوضع عبوات ناسفة صغيرة فى عدة نقاط فى هيكل الجسر . وهو أسلوب مشابه لذلك الذى تستخدمه شركات الهدم عند هدم المبانى القديمة ، وهو أسلوب فعال للغاية .

وبما أنه لا يرغب قطعاً فى أن يتم إلقاء القبض عليه ، فقد فكر كابيستران فى أن يرسل بعض الغواصين إلى فهرإيست ريفر حتى يضعوا المتفجرات فى موضعها على الدعامات التى تحمل الجسر ، وكثيراً ما اقترب من الجسر بنفسه ولدهشته الشديدة وجد أنه لا يوجد أى تأمين أو حراسة للجسر بالمرة .

وهذا هو الحال فى هذا الصباح . اتجه هو ومساعداه نحو الدعامات السفلى القريبة من شارع ٥٩ ولم يقل لهم أحد شيئاً على الإطلاق .

من بعيد كانت التشكيلات المعدنية والرسومات الموجودة على الجسر تجعل شكله رائعاً . أما عن قرب ، فقد بدت لهم قوة تركيب الجسر حيث كانت الدعامات ضخمة الحجم وتثبتها مسامير غليظة الواحد منها فى سمك ركبة الإنسان .

كان الأمر مجنوناً ، لكنه سيفلح ، وسينجح فى أداء مهمته .

أحياناً ما كان يتساءل كيف أصبح حانقاً ناقماً يملؤه الغضب تجاه كل شىء هكذا . اللعنة ، منذ سنوات كان عضواً فى فريق الإنقاذ ونجح فى إنقاذ العديد من الطيارين بكل براعة . حسناً ، لم يعد بطل حرب كما كان ، إنه الآن مجرد شخص رأسمالى يؤدى دوره فى النظام ، أليس كذلك ؟ وكان هذا أحق ما يمكن لأى شخص أن يقوله عن نفسه .

وبينما كان يمشى على جسم الدعامات لم يستطع كابيستران منع نفسه من الترنم بنفس الأغنية ثانية ، عن هذا الجسر .

الفصل ٥٥

ما حدث بعد ذلك كان شيئاً عجيباً محيراً إلى أقصى حد .

لقد مر الموعد النهائى المحدد ـ ولم يحدث شىء .

لم تكن هناك أى رسائل من وولف ، ولم يحدث أى هجوم . لا شىء . سكوت تام . كان الأمر غريباً ، لكنه كان مرعباً أيضاً .

كان وولف هو وحده من يعلم ما يحدث الآن ـ ربما كان يشاركه فى هذه المعرفة الرئيس وعدد من قادة دول العالم . كانت هناك شائعات بأنه قد تم نقل الرئيس ونائبه وكبار رجال الدولة خارج واشنطن .

لكن الأمر لن يتوقف عند هذا الحد ، أليس كذلك ؟ وبكل تأكيد لن تتوقف الأخبار . وقد حصلت بعض الجرائد والشبكات الأخبارية مثل نيويورك تايمز ويو إس توداى وسى إن إن على بعض الأخبار التى تفيد بوجود تهديدات إرهابية ضد المدن الكبرى . لكن لم يكن أحد يدرى أى مدن كبرى بالتحديد ، أو ماهية التهديدات بالضبط . وبعد سنوات من

التحذيرات المتتالية من جهاز الأمن القومى ، لم يعد أحد يأخذ أى تهديد أو شائعة بالجدية الكافية .

الارتباك وحرب الأعصاب ، لابد أنها جزء من خطة وولف أيضاً بينما كنت نائماً ليلاً جاءتنى مكالمة تدعونى للتوجه للمقر الرئيسى على الفور .

وعندما نظرت للساعة وأنا أجاهد لأركز نظرى وجدت أن الساعة كانت الثالثة صباحاً . ما الأمر الآن ؟ هل حدث هجوم آخر على المبنى ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فلِمَ لم يخبرونى بهذا على الهاتف ؟

قلت وأنا أجاهد للقيام من الفراش : " حسناً ، سأكون هناك " . أخذت حماماً ساخناً تحت الماء البارد لدقيقة أو اثنتين ثم ارتديت ملابسى وركبت سيارتى منطلقاً بها فى شوارع واشنطن وأنا أشعر بدوار فظيع . كل ما كنت أعلمه هو أن وولف سيتصل خلال ثلاثين دقيقة .

الساعة الثالثة والنصف صباحاً ، بعد يوم عطلة طويل قضيناه مرتقبين انتهاء المهلة الممنوحة لنا . لم يكن وولف يتحكم فينا وحسب ، بل كان يعذبنا .

. عندما وصلت أخيراً إلى حجرة إدارة الأزمات ، وجدت حوالى اثنى عشر شخصاً ممن سبقونى إلى هناك . وتبادلنا التحية كما لو كنا أصدقاء قدامى يلتقون فى جنازة صديق مشترك لهم . وعلى مدار الدقائق القليلة التالية استمر قدوم المزيد من العملاء بأعينهم الغائمة ولم يبد على أحد التيقظ التام . وبمجرد مجىء أقداح القهوة اصطف معظمنا فى صف طويل أمام منضدة القهوة للحصول على بعضها . وبدا الجميع فى حالة توتر وتحفز شديدين .

قال أحد العملاء : " ألا توجد فطائر ؟ يا للقسوة " ولم يبتسم أحد لدعابته .

بعد الثالثة والنصف بدقائق دخل المدير بيرنز ، وكان مرتدياً حلة سوداء ورابطة عنق ، وهو الزى الرسمى له ، حتى فى مثل هذا الوقت

المبكر . وشعرت أنه لا يملك أدنى فكرة عما يحدث أيضاً . لقد كان وولف هو المسيطر ، ولا أحد غيره .

قال المدير بيرنز : " أشكركم لمجيئكم ، سوف تأتينا رسالة من وولف بعد قليل " .

اتصل وولف فى الثالثة وثلاث وأربعين دقيقة ، حيث جاءنا صوته المنقول عبر مرشح خاص يحمل نبرات السخرية والازدراء .

قال لنا : " ربما تتساءلون عن سبب عقد هذا الاجتماع فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، حسناً ؛ لأن هذه هى رغبتى . ما رأيكم فى هذا ؟ فقط لأنها رغبتى " .

" وإذا لم تكونوا قد لاحظتم هذا قبلاً فإننى أقول لكم أيها الناس إننى لا أحبكم . لا أحبكم مطلقاً . ولدىّ أسبابى فى هذا ، وهى أسباب وجيهة ، فأنا أكره الأمريكان وكل ما يتعلق بهم . وربما كان كل هذا جزءاً من انتقامى ، ربما آذيتمونى قبل ذلك فى الماضى ؟ ربما تكونون سببتم الإيذاء لعائلتى . هذا جزء من اللغز . كم أجد الانتقام منكم لذيذاً " .

" لكن دعونا نركز على ما لدينا الآن . وصححوا لى إذا ما كنت مخطئاً ، ولكن أعتقد أننى أمرتكم بألا تجروا أى تحقيقات عنى " .

" فماذا تفعلون ؟ تقومون بالقبض على ستة من الأوغاد المساكين فى مانهاتن لأنكم تشكون فى أنهم يعملون معى . هذا غير الفتاة المسكينة التى استبد بها الذعر حتى ألقت بنفسها من الدور الثالث . لقد رأيتها وهى تسقط ! وأعتقد أنكم اعتقدتم ـ هذا إن كنتم تفكرون من الأساس ـ أنه بعمل ذلك فسوف تلقون القبض على الخلية التابعة لى هناك ، وبالتالى تكون نيويورك آمنة " .

" آه ، كدت أنسى ، هناك أيضاً موضوع الموعد النهائى الذى لم توفون به " .

" هل اعتقدتم أننى نسيت هذا الأمر ؟ حسناً ، أنا لم أنس أمر الموعد النهائى . ولا حتى الإهانة التى شعرت بها حينذاك ، والآن راقبوا ما سأفعل رداً على كل هذا " .

الفصل ٥٦

فى تمام الثالثة والدقيقة الأربعين صباحاً ، وبناءً على التعليمات ، جلس ويزل على أحد المقاعد الموجودة فى المنتزه المطل على النهر فى ستاتون بليس فى الشارع رقم ٥٧ . كان هناك الكثير مما يضايقه فى تلك المهمة ، لكن فى مقابل هذه المتاعب كان هناك عاملان إيجابيان مهمان : كانت الأموال المدفوعة له وفيرة ، بالإضافة إلى أنه عاد للعمل فى المخاطر ثانية . يا إلهى ! هل سأظل فى هذا السخف للأبد ؟

جلس محدقاً إلى تيار الماء الداكن الذى يتدفق بسلاسة عبر نهر إيست ريفر . كانت هناك سفينة قطر حمراء تسمى " مكاليستر برازرز " تساعد إحدى الحاويات الضخمة على المرور عبر النهر ، المدينة التى لاتنام ، أليس كذلك ؟ اللعنة ، كانت الحانات الموجودة فى شارعى فيرست وسكند أفينيو تستعد لإغلاق أبوابها . ومنذ قليل مر أمام مركز طبى لرعاية الحيوانات الأليفة الذى ظل مفتوحاً تحسباً لحدوث حالة طوارئ لأحد

الحيوانات الأليفة . حالة طوارئ لحيوان أليف ؟ يا إلهى ! ما لهذه المدينة ! إلى أى مدى فسدت أحوال تلك الدولة !

سرعان ما سيستيقظ الكثير من أبناء نيويورك ولن يكون من السهل عليهم مطلقاً العودة للنوم . سوف ينتحبون ويعضون على أناملهم . سيتسبب وولف فى هذا خلال دقيقة أو ما إلى ذلك .

راقب شافير مرور الثوانى على ساعته حتى وصلت الساعة إلى الثالثة وثلاث وأربعين دقيقة تماماً ، وظل يراقب النهر وجركوينز بورو كذلك .

كانت هناك بعض السيارات الخاصة وسيارات الأجرة والشاحنات تسير عليه ، حتى فى هذه الساعة المتأخرة . تقريباً مائة مركبة كانت على الجسر الآن ، ربما أكثر . يا للملاعين البائسين !

وفى تمام الثالثة وثلاث وأربعين دقيقة ، ضغط شافير على أحد أزرار هاتفه الخلوى .

وأدى هذا إلى إرسال إشارة بسيطة استقبلها جهاز استقبال موضوع على الجسر فى الجانب المواجه لمانهاتن ، وبدأت الدائرة الكهربائية تنغلق ...

وبدأ الاشتعال ...

وخلال أجزاء قليلة من الثانية فتحت أبواب الجحيم مرسلة برسالة إلى قاطنى نيويورك والعالم أجمع .

رسالة رمزية .

تنبيه آخر .

مزق الانفجار الهائل دعامات الجسر الواقع على شارع ٥٩ . وقد تحطمت الوصلات المعدنية تماماً واهتز الجسر القديم منقسماً مثل قشرة الفول السودانى . وأطيح بالوصلات والروابط المعدنية الهائلة واندفعت إلى النهر . وأصبح جسم الجسر المصنوع من المعدن والخرسانة المقواة مثل صفحة من الورق الممزق .

وقد تحطم الطريق العلوى إلى نصفين ثم بدأت قطع ضخمة تقع منه على السطح السفلى والذى كان يتحطم بدوره ، مهتزا بشدة ومنثنياً بحدة تجاه مياه النهر .

كانت السيارات تتساقط فى المياه . وقد انقلبت شاحنة ضخمة تحمل حمولة من الجرائد من إحدى المطابع فى كوينز على الطريق المحطم ثم سقطت فى مياه نهر إيست ريفر . وتبعتها سيارات وشاحنات أخرى تسقط مثل الأحجار . كما سقطت خطوط الكهرباء مطلقة وميضاً عالياً على طول الجسر وكانت هناك سيارات أكثر ، عشرات منها ، سقطت من على الجسر ، نحو المياه ، ثم اختفت تحت السطح .

كان بعض الناس يخرجون من سياراتهم ويقفزون فى النهر ليلاقوا قدرهم المحتوم ، كان بإمكان شافير سماع صرخاتهم على طول النهر .

وفى كل الشقق السكنية بدأت الأضواء تضاء . ثم أجهزة التلفاز والكمبيوتر ، حيث بدأ سكان نيويورك فى سماع التقارير المبدئية عن تلك الكارثة المروعة والتى يستحيل تصديقها والتى لم يكن أحد يتخيل حدوثها حتى سنوات قلائل مضت .

لقد انتهى عمله لتلك الليلة . وأخيراً قام جيفرى شافير من على مقعده واتجه لمسكنه ليحصل على قسط من النوم . هذا إذا كان باستطاعته النوم . وكان يعلم يقيناً أن الأشياء فى بدايتها وحسب . وكان عليه أن يتجه إلى لندن .

فكر فى نفسه قائلاً : جسر لندن ، بل كافة جسور العالم تسقط وتتحطم ، وسيعانى العالم أشد المعاناة . قد يكون وولف مجرد مجنون ، لكنه عبقرى ، ياله من مجنون عبقرى لعين !

الجزء الثالث

تتبع وولف

الفصل ٥٧

هدأ وولف من سرعة سيارته اللوتس السوداء القوية بحيث لم تتجاوز سرعتها المائة ميل فى الساعة بينما كان يتحدث فى هاتفه الخلوى ، وهو أحد ستة هواتف خلوية موجودة معه فى سيارته . كان متجهاً صوب مونتاوك على أطراف لونج أيلاند ، لكن كان لديه عمل مهم يقوم به فى الطريق ، حتى فى الواحدة صباحاً ، كان يحادث كلاً من الرئيس الأمريكى ورئيس الوزراء البريطانى والمستشار الألمانى على الهاتف ، رأساً برأس . من الذى يستطيع مقاومة ذلك ؟

قال لهم : " هذه المكالمة لا يمكن تتبعها ، لذا لا تضيعوا وقتكم فى ذلك ، فالخبراء التابعون لى أفضل من خبرائكم فى هذا المجال. والآن ، ماذا لديكم ؟ لقد تخطينا الموعد النهائى بثمانى ساعات كاملة ، ماذا **بعد** ؟

قال رئيس الوزراء البريطانى نيابة عن المجموعة : " نحن بحاجة للمزيد من الوقت " شىء جيد منه أن يتحدث هو ، هل هو القائد

الحقيقى لهم ؟ كم ستكون هذه مفاجأة لطالما ظن وولف أنه مجرد تابع لا أكثر .

قال الرئيس الأمريكى : " ليس لديك أدنى فكرة ..... " لكن قاطعه وولف وهو يبتسم فى قرارة نفسه لقدرته على إظهار عدم الاحترام بهذه الصورة لأقوى زعماء العالم .

صاح فى الهاتف قائلاً : " توقف لا أريد سماع المزيد من الأكاذيب " .

قال المستشار الألمانى : " لابد أن تستمع لما تقول . فقط أعطنا الفرصة و ... " .

أنهى وولف المحادثة فى التو . ثم أشعل سيجاراً وأخذ منه بضعة أنفاس مستمتعاً ثم وضع الرماد فى منفضة السجائر . ثم عاود الاتصال ولكن باستخدام هاتف آخر .

كانوا فى انتظار مكالمته . ولم يكن حقيقة يستهين بهؤلاء الرجال الأقوياء ، لكن لم يكن لديهم خيار آخر سوى انتظاره " .

" هل تريدون أن أهاجم تلك المدن الأربع ؟ هل يجب أن أفعل هذا حتى أثبت لكم أننى جاد فى تهديداتى ؟ يمكننى فعل هذا فى لحظة واحدة . بل سأفعل هذا الآن ، فقط أعطونى الأمر بذلك ، لكن لا تقولوا لى إنكم بحاجة للمزيد من الوقت ، فأنتم لستم بحاجة لذلك ! كما أن الدول التى تحتجز السجناء بمثابة ألعوبة فى أيديكم بحق السماء ! " .

" المشكلة الحقيقية هى أنكم لا تريدون أن تبدوا على حقيقتكم . لا تريدوا أن ينظر العالم لكم ويرى مدى ضعفكم وقلة حيلتكم . لكن هذا هو الواقع بالفعل ! كيف حدث هذا ؟ كيف سمحتم لهذا بأن يحدث ؟ من الذى وضع أناساً أمثالكم فى مثل تلك المناصب ؟ من الذى انتخبكم ؟ أريد المال والسجناء السياسيين . الوداع " .

لكن قبل أن يغلق وولف الخط تحدث رئيس الوزراء البريطانى ثانية قائلاً : " لقد أسأت فهم مانعنى ! الأمر فى يديك أنت وليس بيدينا .

ونحن نفهم تماماً مدى قوة موقفك أمام موقفنا . إنه أمر مسلم به . لكن فى الواقع الأمر مستحيل التنفيذ ، وأعتقد أنك تعلم هذا . فليس باستطاعتنا ترتيب الأمر بمثل هذه السرعة . وبالطبع نحن غير راغبين فى عقد تلك الصفقة معك ، لكننا سنفعل ونحن مضطرون لهذا . لكننا بحاجة للمزيد من الوقت لإتمام الأمر . وسوف ننفذ رغباتك . نعدك بهذا " .

هز وولف كتفيه ، لقد أدهشه رئيس الوزراء البريطانى فقد كان كلامه بليغاً ، وكان شجاعاً كذلك .

قال وولف : " سأفكر بالأمر " ثم أغلق الهاتف . أمسك بالسيجارة وهو يتأمل هذه الفكرة : " إنه أقوى رجل فى العالم أجمع الآن . وعلى العكس من الكثيرين ، إنه بالفعل الرجل المناسب فى المكان المناسب " .

الفصل ٥٨

غادر أحد مسافرى الدرجة الأولى والذى يطلق على نفسه اسم راندولف وهلر طائرة من الخطوط الجوية البريطانية والتى كانت قادمة من نيويورك إلى لندن فى تمام السادسة وخمس دقائق صباحاً . كم هو جميل أن يعود لوطنه ثانية ، كان جواز السفر وكافة الوثائق الأخرى تؤكد على شخصية راندولف وهلر ، إلا أنه فى حقيقة الأمر ما كان سوى جيفرى شافير . وستصبح الأمور أفضل عندما أمحو لندن من على الخريطة تماماً .

مر المسافر بشكله وملابسه اللذين يحملان صبغة السبعينات من القرن المنصرم من الجمارك بلا مشكلة . وكان عقله مشغولاً بالخطوة التالية : وهى زيارة أطفاله ، كان هذا جزءاً من مهمته . شىء غريب . لكنه لا يجرؤ على مناقشة أوامر وولف . بالإضافة إلى ذلك ، فقد كان يود رؤية أطفاله ، لقد كان مسافراً لفترة طويلة .

كان له دور محدد ، مهمة أخرى ، جزء آخر من لعبة البازل . كانت ابنتاه تعيشان مع أخت زوجته المتوفاة فى منزل صغير بالقرب من هايد

بارك ، وبينما كان يستأجر سيارة جاجوار طراز إس كان يتذكر موقع وشكل المنزل . كانت تخالجه ذكريات سيئة عن زوجته الآن . وكانت امرأة حمقاء ضيقة الأفق . ولقد قام بقتلها فى مسكنها فى تشيلى ، أمام الطفلتين التوأمين وقد تسبب بعمله الرحيم هذا فى أن تصير الطفلتان تريشيا وأريكا يتيمتين . وكان عمرهما الآن السادسة أو السابعة ، وهناك أيضاً روبرت ، والذى بلغ الخامسة عشرة بكل تأكيد ويؤمن شافير بأن حالهما أفضل الآن بدون أمهما الشكاءة البكاءة .

طرق باب المنزل الأمامى ، وعندما وجده مفتوحاً دفعه ودخل المنزل دون انتظار الإذن بذلك .

فى حجرة المعيشة وجد أخت زوجته الراحلة جودى تلعب مع الفتاتين على الأرضية ، حيث كان ثلاثتهم يلعبن المونو بولى ، وبدا له أنهن جميعاً يخسرن ، وأنه لا فائزة بينهن .

قال وهو يرسم على وجهه ابتسامة بشعة : " لقد عاد أبوكما للمنزل ! " . وكان يصوب مسدسه البيريتا فى صدر الخالة جودى " .

" لا تصدرى صوتاً يا جودى . لا تعطينى مبرراً للتخلص منك فكم سيكون ذلك سهلاً علىّ ، وممتعاً كذلك . نعم ، فأنا أكرهك من أعماق قلبى أيضاً فأنت تذكرينى بأختك المحبوبة البدينة " .

" أهلاً يا أطفال ! تعالوا وسلموا علىّ . لقد أتيت من بعيد لرؤيتكم . وقطعت كل هذا الطريق من الولايات المتحدة لذلك " .

بدأت الفتاتان الرقيقتان فى البكاء ، لذا تصرف شافير بالصورة الوحيدة التى تجعله يستعيد السيطرة على الموقف ، فصوب المسدس إلى وجه جودى المغطى بالدموع واقترب منها وقال : " اجعليهما تتوقفان عن البكاء حالاً ! أرينى ما يجعلك تستحقين أن تكونى مربيتهما " .

انحنت الخالة المسكينة وضمت الفتاتين إلى صدرها ، ولم تتوقف الفتاتان فعلاً عن البكاء ولكن الصوت أصبح مكتوماً .

قال شافير وهو يتحرك إلى خلف جودى ويدفع ماسورة المسدس نحو رأسها : " والآن يا جودى ، استمعى إلى ، فبقدر ما سيسعدنى ذلك ، إلا أننى لن أقتلك الآن . فى الواقع توجد رسالة منى لكى توصليها إلى رجال الشرطة . فبصورة عجيبة ساخرة ، أصبحت حياتك الرثة البائسة مهمة إلى حدٍ ما الآن . هل تصدقين هذا ؟ أنا نفسى لا أستطيع " .

بدا على الخالة جودى الارتباك ، وهو ما بدا طبيعياً فى عينى شافير فقالت متمتمة : " وكيف سأفعل هذا ؟ ".

" فقط عليك الاتصال برجال الشرطة . والآن اخرسى واسمعينى . يجب عليك أن تتصلى بالشرطة وتخبريهم بأمر تلك الزيارة ، وأننى قلت لك إنه لن يصبح أحد فى أمان بعد الآن . ولا حتى رجال الشرطة و ولا عائلاتهم . فبوسعنا الوصول إلى منازلهم ، تماماً مثلما دخلت منزلك اليوم " .

وحتى يتأكد من أنها فهمت الرسالة قام شافير بتكرارها مرتين أخريين . ثم استدار نحو تريشيا وأريكا واللتين كانتا تحتل من اهتمامه قدر ما تحتله تلك العرائس السخيفة المصنوعة من البورسلين والموضوعة فى الحجرة . كم كان يكره تلك العرائس السخيفة والتى كانت زوجته تملكها فى يوم من الأيام والتى كانت ترعاها كما كانوا أناساً حقيقيين .

سأل الفتاتين قائلاً : " كيف حال روبرت ؟ " لكنه لم يتلق جواباً " .

ما هذا ؟ ارتسمت على وجهى الفتاتين نفس النظرة الحائرة المرتبكة عديمة الحيلة تماماً مثل التى كانت ترتسم على وجه أمهما الراحلة وخالتهما المنتحبة .

صاح شافير : " أنا أعنى روبرت أخاكما ! " وهنا عاودت الفتاتان البكاء والانتحاب بصوت عال مجدداً . فأضاف :" كيف حاله ؟ كيف حال ولدى ؟ أخبرانى بأى شيء عن أخيكما أى شيء ! " .

قالت تريشيا أخيراً : " إنه بخير " .

قالت أريكا مؤكدة كلام أختها : " نعم ، إنه بخير " .

قال شافير بنبرة تنم عن الاحتقار لهاتين النسختين من أمهما : " إنه بخير ، أليس كذلك ؟ حسناً " .

لقد اكتشف فجأة أنه يفتقد روبرت بالفعل . لقد كان يستمتع بصحبة هذا الطفل أحياناً . وأخيراً قال لهما : " حسناً ، أعطيا والدكما قبلة . أنا والدكما أيتها الحمقاوان ، فى حالة ما إذا نسيتما " .

لم تستطع الفتاتان تقبيله ، لكن لم يكن مسموحاً له بقتلهما ، لذا اضطر لمغادرة ذلك المنزل وفى طريق خروجه من المنزل ألقى بعرائس البورسلين أرضاً مهشماً إياها .

ثم قال وهو ينظر خلفه : " فى ذكرى والدتكما ! " .

الفصل ٥٩

الشكوى العامة لمعظم الجنود الذين يخوضون الحروب تتركز فى شعورهم بأن كل ما حولهم مجرد سخف وبلا معنى . فهذا هو حال الحرب الحديثة . وكنت أنا أيضاً أشعر بنفس الشعور .

كان الموعد النهائى قد فات ولم يكن متاحاً أمامنا إلا أقل القليل من الوقت . كان هذا هو شعورى ، كما لو كنت عاجزاً عن التقاط أنفاسى لأيام . كنت متجهاً نحو لندن بصحبة اثنين من العملاء العاملين فى قسم مكافحة الإرهاب الدولى .

كان جيفرى شافير فى لندن . وما يدعو للجنون هو أنه أرادنا أن نعلم بأنه هناك . أو أن شخصاً ما أراد ذلك .

وصلت الطائرة إلى مطار هيثرو قبل السادسة صباحاً بقليل ، واتجهت مباشرة نحو فندق قريب من شارع فيكتوريا ثم خلدت إلى النوم حتى العاشرة . بعد تلك الراحة القصيرة اتجهت نحو سكوتلانديارد ، والتى

تقع فى الجوار ، فى طريق برودواى . كان رائعاً وجودى بالقرب من قصر باكينجهام وكنيسة ويستمينيستر ومبنى البرلمان .

اتجهت فور وصولى نحو مكتب رئيس محققى شرطة لندن مارتين لودج . ولقد أخبرنى لودج أن الأمور تسير على نحو جيد فى قسم مكافحة الإرهاب س . أو . ١٢ . وفى طريقنا إلى الاجتماع أعطانى ملفاً عن نفسه قائلاً :

" لقد شققت طريقى مثلك من صفوف قوات الشرطة ولقد عملت إحدى عشرة سنة فى صفوف شرطة لندن بعد قضائى لبعض المهام مع القوات الخاصة فى أوروبا . وقبل هذا كنت أتلقى تدريبات فى هيندون وهكذا عملت فى سلك الشرطة بلا انقطاع . ولقد اخترت طريق مكتب التحقيقات ومنه انتقلت إلى قوات مكافحة الإرهاب ؛ لأننى ملم ببعض اللغات الأجنبية " .

توقف عن الحديث فانتهزت الفرصة وقلت : " أنا بالفعل أعلم الكثير عن فرقة مكافحة الإرهاب الخاصة بكم هنا ، فهى الأفضل فى أوروبا كلها كما سمعت . ولقد أفادتكم السنوات التى قضيتموها فى مكافحة الجيش الأحمر الأيرلندى " .

ابتسم لى لودج ابتسامة خفيفة ، ابتسامة محنك خبير ، وقال : " أحياناً تكون أفضل سبل التعلم هى التعلم من خلال أخطائك . ولقد ارتكبنا العديد منها فى أيرلندا على أية حال لقد وصلنا يا سيد أليكس ، إنهم فى انتظارنا بالداخل . وهم يتوقون لرؤيتك للغاية . ولكن استعد لسماع الكثير من الهراء ، فسوف يكون رجال المكتب الخامس والمكتب السادس متواجدين كذلك وهم يتجادلون بشأن كل شىء ، لا تدع هذا يؤثر فيك ، ففى النهاية سنستطيع تدبر الأمر ، أعنى فى معظم الأحوال نكون قادرين على ذلك " .

أومأت برأسي وقلت : " تماماً مثل التضارب الذى يحدث بين رجال مكتب المباحث الفيدرالية ورجال وكالة المخابرات المركزية فى بلادى ، لقد شهدت ذلك من قبل بكل تأكيد " .

وبالفعل كان رئيس المحققين لودج محقاً فى تلك الحرب الداخلية . ولقد ظننت أن تلك الضغائن قد تعوق التقدم فى التحقيقات ، حتى فى مثل تلك الظروف . وفى حجرة الاجتماع كذلك لاحظت وجود العديد من العملاء الخاصين كما كان رئيس مكتب رئيس الوزراء حاضراً بالإضافة إلى حشد من رجال الطوارئ .

وبينما كنت أجلس كنت أقول فى نفسى بألم : " اجتماع لعين آخر ، هذا هو ما ينقضى فعلاً . لقد أردت أن أصرخ فيهم قائلاً : " لقد مرت المهلة بالفعل وقد بدأوا فى تفجير الأشياء ! "

الفصل ٦٠

لم يكن المنزل المطل على شاطئ مونتاوك بجزيرة لونج آيلاند ملكاً لـ " وولف " . بل كان مستأجراً نظير أربعين ألف دولار فى الأسبوع ، حتى في هذا الوقت البعيد عن الموسم السياحى . إنها سرقة فهذا المبلغ كبير حقاً ، وكان وولف يعلم هذا ، لكنه لم يمانع كثيراً فى دفع هذا المبلغ . ليس الآن على أى حال .

كان المنزل مبهراً ، حيث كان مبنياً على الطراز الجورجى القديم ومكوناً من ثلاثة طوابق ومزوداً بحمام سباحة هائل الحجم حيث يقع داخل المنزل بحيث يحميه المنزل نفسه من الرياح ، وعلى المشى اصطفت العديد من العربات الفارهة ، أغلبها من الليموزين وحولها كان يقف العديد من السائقين ضخام الجثة مرتدين سترات سوداء .

قال فى نفسه بمرارة : " كل شيء هنا دفعته بأموالى الخاصة ، عرق جبينى ، أفكارى ! "

كان الكل فى انتظاره ، شركاؤه فى المافيا الروسية . كان الكل جالساً فى المكتبة التى تستخدم كحجرة معيشة كذلك والتى كانت تطل على مشهد شاطئ المحيط الأطلنطى المهجور .

وعندما دخل الحجرة تظاهر الجميع بأنهم أعز وأقرب أصدقائه ، حيث كانوا يصافحونه بالأيدى ويربتون على ظهره وكتفه متمتمين بعبارات كاذبة عن مدى سعادتهم لرؤيته . إن القلة القليلة فقط يعرفون ما هو شكلى الحقيقى . الدائرة المقربة ، من أثق بهم أكثر من أى شخص آخر .

تم تقديم الغداء قبل وصوله ، ثم تم إخراج جميع العاملين بالمنزل منه . كان قد أوقف سيارته خلف المنزل ثم دخل عبر باب المطبخ الخلفى ، لم يره أحد سوى الرجال المجتمعين بالحجرة ، وكان عددهم تسعة .

وقف أمامهم وأشعل سيجاراً ، احتفالاً بالنصر .

ثم قال وولف وهو ينفث الدخان : " لقد طلبوا منا أن نمدد الموعد النهائى . هل تصدقون هذا ؟ "

بدأ الرجال الروس فى الضحك ، وكانوا يشاركون وولف فى احتقاره للحكومات الحالية ولزعماء العالم . إن رجال السياسة ضعفاء بطبعهم ، أما القليلون الأقوياء منهم فقد أضعفتهم الأعمال الحكومية ، الأمر كذلك دائماً " .

صاح أحدهم قائلاً : اقلب المائدة على رؤوسهم جميعاً " .

ابتسم وولف وقال : " أنتم تعلمون أنه ينبغى على ذلك ، لكن وجهة نظرهم سديدة ـ فإذا ما تسرعنا وقمنا بذلك الآن ، فسوف نخسر أيضاً . دعونى أحدثهم على الهاتف . فهم يتوقعون جوابى ، شىء مثير ، أليس كذلك ؟ إننا الآن نتفاوض مع الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا . كما لو كنا قوة عالية حقيقية " .

ثم رفع وولف إصبعه أثناء إتمام الاتصال قائلاً : " إنهم يتوقعون سماع الرد منى ... "

ثم تحدث فى الهاتف قائلاً : " هل أنتم جميعاً على الخط ؟ "

وكانوا كذلك .

" لا وقت للحديث ، لقد ولى ذلك الوقت . إليكم قرارى ، أمامكم يومان آخران مهلة ، حتى السابعة بالتوقيت القياسى الشرقى ، لكن ... " .

" لقد تضاعف المبلغ المطلوب ! "

ثم أغلق الهاتف ونظر فى وجوه الحاضرين .

" ماذا ؟ هل توافقون أم ماذا ؟ هل تعلمون حجم الأموال التى ربحتها لكم ؟ "

بدأ الجميع فى التصفيق والابتهاج .

قضى وولف معهم بقية وقت الظهيرة . وأجبر نفسه على تحمل مجاملاتهم ، وطلباتهم المغلفة فى صورة اقتراحات لكن كان أمامه عمل آخر لإتمامه فى نيويورك . لذا تركهم يستمتعون بالإقامة فى المنزل المطل على البحر .

قال لهم : " ستصل النساء قريباً ، ملكات جمال وعارضات أزياء من نيويورك ويقال إنهن أجمل نساء العالم . استمتعوا بوقتكم . " من أموالى ، ومن عرق جبينى ، وعبقريتى " .

عاد إلى سيارته اللوتس متجهاً نحو طريق لونج ايلاند . كان يعتصر الكرة المطاطية فى يده ، لكنه نحاها جانباً ثم أمسك بهاتفه الخلوى . ثم ضغط عدة أرقام . وتم إرسال شفرة سرية . وانغلقت الدائرة ، وبدأ التشغيل .

وعلى الرغم من ابتعاده إلا أنه سمع دوى انفجار المنزل المطل على الشاطىء . لم يعد بحاجة لهم ، لم يعد بحاجة لأى شخص .

اللعنة ! لقد حطمت القنابل كل عظمة فى أجسادهم التى لا تساوى شيئاً .

رد الدين ، الانتقام .

كم كان هذا جميلاً .

الفصل ٦١

علمنا فى لندن أنه تم تمديد الموعد النهائى لمدة ثمان وأربعين ساعة إضافية ، وساد شعور بالارتياح ، المؤقت ، وهو ما كان غير معتاد بالنسبة لنا . كما تلقينا نبأ الانفجار الذى وقع فى لونج أيلاند ، حيث قُتل العديد من رجال المافيا الروسية . ماذا يعنى هذا ؟ هل ضرب وولف ضربة ثانية ؟ هل قتل أعوانه ؟

لم يكن هناك شىء أمامى لأفعله بعد سلسلة الاجتماعات التى حضرتها فى سكوتلانديارد . وفى العاشرة مساءً تقابلت مع صديقة قديمة تعمل فى الإنتربول فى أحد مطاعم لندن ، وكان يدعى مطعم سينامون ، والذى كان يحتل المكان التى كانت تحتله فى الماضى مكتبة ويستمينيستر فى شارع جريت سميث .

كنت مرهقاً للغاية ، إلا أننى كنت أتطلع دوماً لمقابلة صديقتى ساندى جرينبرج التى أعدها من أذكى ضابطات الشرطة اللاتى عملت معهن .

ربما كان لديها فكرة جديدة عما يحدث مع وولف . أو حتى ويزل . وعموماً ، كانت هى أفضل من يعرف العالم السفلى فى أوروبا .

اسم ساندى الحقيقى هو ساندرا ، وذلك لغير أصدقائها المقربين ، ولكنى كنت محظوظاً بصورة كافية لأكون منهم .، وهى طويلة وجذابة لكنها خرقاء إلى حدٍ ما ، وكانت ذكية للغاية ومرحة إلى أقصى حد . وعندما تقابلنا حيينا بعضنا البعض بحرارة .

" هل هذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكننى بها أن أقابلك يا أليكس ؟ فى حالة طوارئ دولية مفزعة ؟ أين ذهب الحب ؟ "

قلت لها : " بإمكانك دائماً المجىء إلى واشنطن لرؤيتى وبالمناسبة أنت تبدين فى حال رائع " .

قالت ساندى : " حقاً ؟ هيا ، إن مائدتنا فى الخلف . إننى أفتقدك بشدة ، يا إلهى ، كم هو رائع أن أقابلك . أنت تبدو فى حال جيد ، حتى مع كل ما يجرى من أحداث . كيف تستطيع ذلك ؟ "

كان الغداء مكوناً من مزيج من الطعام الهندى والأوروبى والذى لا يوجد مثله فى الولايات المتحدة ، على الأقل ليس بالقرب من واشنطن . وتحدثت أنا وساندى ما يقارب الساعة حول القضية . ولكن أثناء تناولنا القهوة استغرقنا فى حديث خفيف حول حياتنا الشخصية . ولقد لاحظت وجود خاتم حول أحد أصابعها .

قلت : " إن شكله جميل للغاية " .

قالت لى مبتسمة : " إنه من كاثرين " . إن ساندى وكاثرين جرانت تعيشان سوياً منذ عشر سنوات ، وهما من أسعد الأشخاص الذين قابلتهم . إن هذا شىء له مغزى ، لكن من ذا الذى يستطيع فهم كل شىء ؟ بكل تأكيد لست أنا ، فأنا لا أستطيع حتى التحكم فى حياتى الشخصية .

قالت لى : " أرى أنك لم تتزوج بعد " .

" لقد لاحظت هذا " .

قالت بتهكم : " أنا محققة كما تعلم ، ومتميزة فى عملى ، أخبرنى إذن بكل شىء يا أليكس " .

قلت لها وأنا أنتقى كلماتى : " لا يوجد الكثير لأقوله ، أنا أواعد امرأة أحبها كثيراً .. "

قاطعتنى ساندى قائلة : " اللعنة يا أليكس ، أنت تحب الجميع ، هذا طبعك . بل إنك كنت تحب كايل كريج . وقلت إنك تجد بعض الجوانب الطيبة فى ذلك الوغد المجنون المعقد نفسياً " .

" قد تكونين محقة فى ذلك . لكن أمر كايل انتهى . كما أننى لست كذلك دائماً فأنا لا أحب أى شىء متعلق بالكولونيل جيفرى شافير أو ذلك المجنون الروسى الذى يطلق على نفسه اسم وولف " .

" أنا محقة يا عزيزى . من هى إذن تلك المرأة الخارقة التى تحبها بشدة والتى ستحطم قلبها ، أو التى ستحطم قلبك ؟ أنا متأكدة من حدوث ذلك ، لِمَ تستمر فى تعذيب نفسك بهذه الصورة ؟ "

ابتسمت رغماً عنى وقلت لها : " إنها محققة شرطة أيضاً ـ حسناً ، فى الواقع إنها مفتشة . وهى تعيش فى سان فرانسيسكو " .

" شىء رائع ومناسب تماماً يا إليكس ، كم المسافة ؟ ألفى ميل بعيداً عن واشنطن ، ومتى تتقابلون ؟ كل شهرين ؟ "

ضحكت ثانية وقلت : " أرى أنه لا يزال كلامك لاذعاً كعهدى بك دوماً " .

" التدريب . التدريب يا عزيزى . إذن أنت لم تجد المرأة المناسبة لك بعد ، يا لك من مسكين . إنه شىء مؤسف حقاً . إن لدىّ بعض الصديقات ، اللعنة لا تدعنا نبدأ فى هذا الموضوع . ولكن اسمح لى بمواصلة الأسئلة الشخصية ، هل تظن أنك قد نسيت ماريا تماماً ؟ "

إن أكثر ما يميز ساندى ، كمحققة ، هو أنها تفكر فيما لا يخطر على بال الآخرين ، وتستكشف ما يتجاهله الآخرون . قد توفيت زوجتى ماريا منذ عشر سنوات فى حادث إطلاق نار . ولم أستطع حتى تلك

اللحظة حل هذه القضية ، وربما بالفعل لم أنس ماريا بعد . وربما لن أجد الراحة حتى أتمكن من حل قضية مقتلها . لقد ظل هذا التفكير يطاردنى لسنوات وكلما يجول هذا التفكير بخاطرى يسبب لى الألم الشديد .

قلت لها : " أنا معجب للغاية بـ " جاميلا هيوز " ، هذا هو كل ما أعرفه الآن . فنحن نستمتع بصحبة بعضنا البعض ، هل هذا شىء سيئ ؟ "

ابتسمت ساندى وقالت : " لقد سمعتك عندما قلت هذا أول مرة . أنت معجب بها . لكنك لم تقل لى إنك تحبها بجنون . وأنت لست من نوعية الأشخاص الذين يقتنعون فقط بالإعجاب ، أليس كذلك ؟ بالطبع أنا محقة ، أنا كذلك دوماً " .

قلت لها : " أنا أحبك أنت " .

ضحكت ساندى وقالت : " حسناً ، فى هذه الحالة الأمر محسوم ، وستمضى الليلة فى منزلى " .

قلت موافقاً : " حسناً ، موافق " .

ضحك كلانا ، ولكن بعد نصف ساعة أوصلتنى ساندى إلى الفندق الذى أمكث فيه فى شارع فيكتوريا .

قلت لها وأنا أخرج من السيارة : " هل ستساعدينى ؟ "

قالت ساندى : " بكل سرور " وكنت أعلم أنها تحترم كلمتها ، وبالفعل كنت بحاجة لكل مساعدة ممكنة طيلة وجودى فى أوروبا .

الفصل ٦٢

لم يكن هنرى سيمور يعيش بعيداً عن موطن اختباء ويزل ، حيث كان يقطن فى المنطقة الواقعة بين ماربل أرشى وبادنجتون والمعروفة أحياناً باسم لبنان الصغيرة ، مشى الكولونيل شافير نحو شقة رجل القوات الخاصة السابق هذا الصباح وبينما كان يشق طريقه كان يتساءل عما حل بالمدينة ، مدينته ، ودولته اللعينة بأكملها . يا له من مشهد مقزز .

كانت الشوارع مليئة بالمقاهى والمطاعم ومحلات البقالة ذات الطابع الشرقى . وكانت رائحة الأطعمة الخاصة بها مثل التبولة وحساء العدس تملأ الجو فى الثامنة من صباح هذا اليوم . وأمام أحد محلات بيع الجرائد كان يجلس رجلان يدخنان النارجيلة . **اللعنة ! ما الذى حدث بحق الجحيم لبلادى ؟**

كانت شقة هنرى سيمور تقع أعلى أحد محلات ملابس الرجال واتجه ويزل مباشرة نحو الطابق الثالث وبعد أن دق على الباب مرة واحدة فتح له سيمور الباب .

وبمجرد أن رأى ويزل سيمور شعر بالدهشة والقلق . فلقد فقد الرجل حوالى ثلاثين أو أربعين رطلاً من وزنه منذ أن رآه آخر مرة منذ ما لا يزيد على عدة شهور . ولقد اختفى شعره الأسود الكثيف المجعد وحلت محله بضع شعيرات خشنة بيضاء اللون .

فى الواقع كان من الصعب على شافير الاتصال برفيقه السابق فى الجيش ، والذى كان أحد أفضل خبراء التفجير والهدم الذين رآهم فى حياته . لقد حارب الاثنان سوياً فى عاصفة الصحراء ثم عملا ضمن قوات المرتزقة فى سيراليون ، وعندما كانا فى عاصفة الصحراء ، كان شافير وسيمور جزءاً من الكتيبة الثانية والعشرين للقوات الخاصة المتنقلة . وكانت المهمة الرئيسية لهم هى التسلل إلى ما خلف خطوط العدو وإحداث أكبر كم ممكن من الدمار . ولم يكن هناك من هو أفضل فى هذا من شافير وسيمور .

يا لهنرى المسكين ، إنه لا يبدو قادراً على إحداث دمار كبير بحالته هذه ، لكن المظاهر قد تكون خداعة ، هذا ما كان يأمله شافير .

قال له شافير : " حسناً ، هل أنت مستعد للقيام بمهمة ؟ مهمة خطيرة ؟ "

ابتسم هنرى سيمور كاشفاً عن بضع أسنان أمامية مفقودة وقال : " آمل أن تكون مهمة انتحارية " .

قال ويزل : " فى الحقيقة ، تبدو هذه فكرة سديدة " .

ثم جلس أمام هنرى وأخبره بمهمته ، وعندما انتهى من سرد الخطة صفق صديقه القديم إعجاباً بها .

قال له : " لطالما كنت راغباً فى تفجير لندن ، أنا الرجل المناسب لهذه المهمة " .

قال ويزل : " أعلم هذا " .

الفصل ٦٣

بدأ د. ستانلى إس بيرجن من شرطة سكوتلانديارد فى مخاطبة الموجودين فى حجرة الاجتماعات والتى كانت ممتلئة عن آخرها بمئات من ضباط الشرطة والمسئولين الحكوميين . كان طول د. بيرجن يتجاوز الأقدام الخمس بقليل وكان وزنه يقترب من المائتى رطل . وقد تجاوز عمره الستين عاماً . إلا أنه كان يتمتع بحضور طاغ .

كان يتحدث دون وجود أوراق أمامه ، ولم يجرؤ أحدنا طيلة حديثه على النظر بعيداً عنه . كان الوقت المتاح أمامنا قليلاً ، وكان كل من بالحجرة يعلم ذلك يقيناً .

قال د . بيرجن : " إننا فى موقف حرج ولابد لنا من تنفيذ بعض الخطط لحماية لندن من الخطر المتوقع ، وتقع مسئولية ذلك على إدارة مواجهة الطوارئ فى لندن . وأنا واثق من قدرتهم على ذلك ، وعليكم أنتم أيضاً الوثوق بهذا " .

" حسناً ، هذه هى الخطوات التى سنتبعها فى حال حدوث طارئ فى لندن . فإذا ما تلقينا تحذيراً بقرب وقوع أى كارثة ، فسوف يكون البث الإذاعى متاحاً لنا ، كما سيتم إرسال رسائل نصية لأجهزة الهواتف الخلوية وأجهزة الاستدعاء كذلك . وسيتم كذلك استخدام الوسائل الأخرى الأقل فاعلية مثل النداء فى مكبرات الصوت ومخاطبة الجماهير فى الشوارع وما إلى ذلك .

" خلاصة القول هو أن الناس سيكونون على علم إذا ما تم إخبارنا بوقوع أى هجوم مسبقاً . وسوف يظهر مفوض شرطة لندن أو وزير الداخلية بنفسه على شاشات التلفاز ليخبر الناس بالأمر .

" أما إذا ما وقع هجوم بالقنابل أو هجوم كيميائى فسوف تباشر قوات الشرطة والإطفاء عملها فى موقع الهجوم . وبمجرد التيقن من طبيعة الهجوم ، سيتم عزل المنطقة المصابة بأقصى ما نستطيع . ثم ستقوم قوات الشرطة والإطفاء بتقسيم تلك المنطقة إلى ثلاثة أقسام ، المنطقة الحارة ، والدافئة ، والباردة " .

" سيظل الموجودون بالمنطقة الحارة - إذا ما ظلوا على قيد الحياة - بها ، حتى يتم تطهيرهم من أى تلوث إذا كان هذا ممكناً " .

" وسوف تظل قوات الإطفاء وعربات الإسعاف فى المنطقة الدافئة وكذلك ستتمركز بها قوات مكافحة التلوث " .

" أما عن المنطقة الباردة ، فسوف تتواجد بها المركبات الخاصة بعمليات التحقيق والمراقبة والتحكم ، وكذلك سيتم بها تحميل عربات الإسعاف " .

توقف د . بيرجن عن الحديث وبدأ فى النظر إلينا . وعلى وجهه كانت هناك نظرة قلقة ، إلا أنه كان بادياً على وجهه التعاطف الذى يشعر به إزاء بلده وشعبه . ثم قال : " ربما لاحظ البعض منكم أننى لم أذكر مطلقا كلمة " إخلاء السكان " فى سياق حديثى . ويرجع هذا إلى أن عملية إخلاء لندن من قاطنيها ليست محل اعتبار من الأساس ، اللهم إلا

إذا بدأنا فى هذا من الآن . كما أن ذلك الوغد الكريه وولف هدد بأن ينفذ ضربته على الفور إذا ما شرعنا فى هذا " .

بعد ذلك تم توزيع بعض الخرائط وبعض الأشياء الخاصة بالطوارئ على الموجودين فى الحجرة . وكان بادياً لى أن الحالة المعنوية منخفضة لأقصى درجة .

وبينما كنت جالساً أتصفح بعض الأوراق جاء مارتن لودج نحوى وقال هامساً : " لقد تلقينا اتصالاً من وولف . سيعجبك هذا . إنه يقول إنه معجب بخطتنا كثيراً . وهو يوافقنا الرأى : من المستحيل إخلاء لندن من سكانها ... " .

وعندئذ سمع دوى انفجار هائل يهز المبنى .

الفصل ٦٤

عندما تمكنت أخيرا من النزول إلى موقع الانفجار شعرت بالصدمة لمدى الفوضى والارتباك البالغين ، حيث تم تفجير اللافتة الشهيرة التى تحمل اسم شرطة سكوتلانديارد تماماً . وكانت هناك حفرة ضخمة مليئة بالغبار والدخان فى نفس الموقع الذى كان يحتل مدخل طريق برودواى . وقد التصقت بقايا الشاحنة السوداء بالرصيف الملاصق للمبنى .

وعلى الفور تم اتخاذ قرار بعدم مغادرة المبنى ، وأن يظل الجميع به . ولقد راقنى هذا الأمر وظننت أنه قرار ذكى ، وشجاع . وعندما دخلت إلى حجرة إدارة الأزمات كان هناك بضعة وعشرون شخصاً يشاهدون تسجيلاً لشريط المراقبة ، وأحدهم كان مارتن لودج .

جلست على أحد المقاعد فى الخلف وبدأت المشاهدة، وكانت يداى ترتعشان .

كان الفيلم يظهر مدخل برودواى هذا الصباح ، وخارج المبنى كان يقف العديد من رجال الشرطة مرتدين زيهم الرسمى . وهنا ظهرت

شاحنة سوداء تسير بسرعة عالية فى عكس اتجاه السير فى شارع كاكستون والمواجه لمدخل سكوتلانديارد الرئيسى . ولقد اندفعت عبر البوابة واصطدمت بالحاجز الموضوع فى المدخل وعلى الفور دوى انفجار هائل كان المشهد صامتاً على الفيلم . وأضاء الانفجار المبنى بأكمله .

سمعت شخصاً يتحدث قرب مدخل الحجرة وقام مارتين لودج مخاطباً الجميع قائلاً : " إن عدونا رجل إرهابى بمعنى الكلمة ، وهو عاقد العزم على ما يفعل . وهو يريد أن يكشف لنا مدى ضعفنا . وأعتقد أن رسالته وصلتنا ، أليس كذلك ؟ والأمر المثير حقاً هو أن أحداً لم يلق مصرعه فى الانفجار ، فيما عدا سائق المركبة بالطبع . ربما كان وولف رحيماً بعض الشىء بنا " .

هنا ارتفع صوت من نهاية الغرفة قائلاً : " هذا الشخص ليس رحيماً ، بل هو يتبع خطة محددة " . وكان هذا الصوت والذى وجدت صعوبة فى تعرفه ، هو صوتى أنا .

الفصل ٦٥

واصلت العمل فى مبنى سكوتلانديارد لبقية اليوم وفى الليل نمت هناك على فراش صغير .

استيقظت فى الثالثة صباحاً وعاودت مباشرة العمل فوراً حيث سينتهى الموعد الثانى فى منتصف الليل . ولا يمكن لأحد أن يتخيل ما سيحدث عندئذ .

وفى السابعة من صبيحة اليوم نفسه كنت بداخل شاحنة تابعة للشرطة وكنت بداخلها مع مارتن لودج وثلاثة من رجال شرطة لندن . ولقد سمح لنا مؤخراً بحمل أسلحتنا فى هذه المهمة . وكان هذا أفضل بكثير .

وأثناء الرحلة شرح لنا لودج الموقف قائلاً : " إن عملاءنا ، بالإضافة لرجال العمليات الخاصة منتشرون فى مطار هيثرو والمناطق المحيطة به . ونحن نعمل فى تنسيق كامل مع شرطة المطار كذلك . ولقد لمح أحد رجالنا شخصاً مشتبهاً به يحمل قاذفة صواريخ على سطح أحد المنازل

الخاصة . ولقد وضعنا فريقاً للمراقبة هناك الآن . ونحن لا نريد اقتحام المكان للأسباب المعروفة التى اتضحت أكثر بالأمس . فمن المؤكد أن عدونا يقوم بمراقبة المنطقة هو الآخر ، لاشك عندى فى ذلك " .

سأله أحد المحققين الآخرين قائلاً : " هل لدينا فكرة عمن يتواجد بداخل المنزل يا سيدى ؟ هل تأكد لنا شيئاً حتى الآن ؟ " .

" إن المنزل مستأجر . وهو فى الأساس ملك لأحد تجار العقارات ، شرقى الجنسية ، وقد يكون لهذا مغزى ، ولا نعرف هوية المستأجرين بعد . والمنزل يبعد عدة مئات من الياردات من ممرات الإقلاع والهبوط الخاصة بمطار هيثرو . هل أنا بحاجة لقول المزيد ؟ " .

نظرت إلى لودج الذى كان عاقداً لذراعيه أمام صدره ، ثم قال : " يا له من موقف سيئ ، هذا أقل ما يوصف به موقفنا ، أليس كذلك يا أليكس ؟ " .

" يراودنى هذا الشعور منذ فترة . وخاصة منذ أولى مواجهاتى مع وولف . هذا الشخص يستمتع بإيذاء البشر " .

" أليس لديك فكرة عمن يكون هذا الشخص يا أليكس ؟ أو عن السبب الذى يدفعه لفعل ذلك ؟ " .

" يبدو أنه يقوم بتغيير هويته بشكل مستمر ، هو .... أو هى ؟ ولقد اقتربنا منه بضع مرات ربما يحالفنا الحظ الآن " .

" من الأفضل أن يحدث هذا قريباً " .

بعد دقائق وصلنا إلى وجهتنا فى فيلتهام . وتقابلت أنا ولودج مع بعض رجال قسم العمليات الخاصة البريطانى والذين سيقومون بالإغارة على المنزل . ولقد وضع رجال الشرطة شاشات مراقبة داخل العديد من المبانى القريبة . وكان يتم تصوير ما يحدث بواسطة ما لا يقل عن ست كاميرات مختلفة .

قال لودج بعدما درسنا الشرائط لعدة دقائق : " تماماً مثل الأفلام السينمائية ، ليس بمقدورنا عمل شئ لنؤثر على الأحداث " . يا لها من

فوضى لا تصدق ، لم يكن من المفترض تواجدنا هنا . لقد تم تحذيرنا من فعل هذا . ولكن كيف يمكننا الابتعاد عن هذا المكان الآن ؟ "

كان لدى لودج قائمة بكل الرحلات القادمة من وإلى مطار هيثرو هذا الصباح . وخلال الساعة القادمة كان من المقرر وصول أكثر من ثلاثين رحلة . وأقربها كان آتياً من أيندهوفن ، وثلاث من أدنبرج ، واثنتان من أبردين ، وبعد ذلك كانت هناك رحلة الخطوط الجوية البريطانية القادمة من نيويورك . وكانت المناقشات الحامية تدور حول ضرورة وقف كل الرحلات فى كل من هيثرو وجيت ويك ، ولكن لم يتم اتخاذ أى قرار بعد . وكان من المقرر وصول الرحلة القادمة من نيويورك بعد تسع عشرة دقيقة من الآن .

ثم أشار أحد رجال الشرطة .

" هناك شخص ما على السطح ! هناك ها هو ذا ! " .

وأظهرت شاشتا مراقبة من زاوية معاكسة سطح المبنى والذى ظهر عليه رجل يرتدى ملابس داكنة . وبعدها ظهر رجل آخر ، والذى كان يحمل قاذفة صواريخ أرض ـ جو صغيرة الحجم " .

قال أحدهم : " اللعنة ، كانت الأعصاب متوترة للغاية ، بما فيها أعصابى أنا نفسى " .

قال لودج : " عليكم تغيير مسار كافة الرحلات الآن ! لم يعد لدينا خيار . هل يستطيع قناصتنا القضاء على هذين الوغدين ؟ " .

جاءه تأكيد من رجال العمليات الخاصة بأن السطح كله مؤمن تماماً . وفى نفس الوقت كنا نشاهد الرجلين يتخذان موقعهما . لا يوجد أدنى شك الآن فى أنهما ينويان إسقاط إحدى الطائرات . وكنا نشاهد هذا المشهد المرعب ، دون أن نكون قادرين على منعهما .

صاح لودج فى شاشات المراقبة : " أيها الحمقى ، لن تجدوا شيئاً تصيبونه أيها الأوغاد . ما رأيكم فى هذا ؟ " .

قال أحد رجال الشرطة : " إنهما يبدوان لى وكأنهما من الشرق الأوسط . لا يبديان أنهما من الروس مطلقاً ! " .

قال أحد الرجال وكان يضع سماعات فى أذنيه : " ليس لدينا إذن بإطلاق النار بعد ، لا يزال علينا الانتظار " .

قال لودج بصوت عال : " ما الذى يحدث بحق الجحيم ؟ علينا أن نطلق عليهما الرصاص الآن ، بربكم ! " .

وفجأة سُمع دوى طلقات نارية . وكان بمقدورنا سماعهم على شريط الفيديو . ثم سقط الرجل الذى يحمل قاذفة الصواريخ ، ولم يقم من مكانه ، بل لم يتحرك مطلقاً ثم تبعه المشتبه به الآخر . طلقتان قاتلتان فى الرأس مباشرة " .

صاح أحد الموجودين فى العربة التى كنا نشاهد فيها ما يحدث قائلاً : " اللعنة ، ما الذى يحدث ؟ " وبدأ الجميع فى الصياح وإطلاق السباب .

صاح لودج : " من الذى أعطى الأمر بإطلاق النار ؟ " .

وسرعان ما علمنا الجواب ، ولم يكن أحدنا قادراً على تصديقه . لم يقم أى من قناصتنا بإطلاق النار . لقد أطلق شخص آخر النار على الرجلين الموجودين عل السطح .

جنون .

إنه لجنون مطبق .

الفصل ٦٦

كانت الفوضى عارمة ، بصورة لا يمكن لأحد أن يتخيلها . كان الموعد النهائى بعد ساعات ولم يكن أحد يعلم ما سيحدث . ربما كان رئيس الوزراء على علم بشىء ؟ أم الرئيس ؟ أم المستشار الألمانى ؟

كنا نشعر بوطأة الساعات وهى تمر ، ثم بدأ مرور الدقائق يقتلنا . ولم يكن بمقدورنا فعل شىء ، فيما عدا دعاءنا بأن يتم دفع الفدية .

وفى لندن ، وبعد ظهيرة هذا اليوم قمت بجولة قصيرة مترجلاً حول كنيسة ويستمينيستر . وكان هذا الجزء من المدينة مليئاً بالأماكن التى تفوح بعبق التاريخ . لم تكن الشوارع خالية تماماً ، لكن كان المرور حول ميدان البرلمان خفيفاً ، مع وجود بعض السائحين والمارة ، لم يكن قاطنو لندن على علم بما يجرى من أحداث ، وبالطبع لم تكن تلك الأحداث ، أياً كانت ، أحداثاً سارة .

اتصلت بمنزلى فى واشنطن عدة مرات ولم يجبنى أحد . هل تركت جدتى المنزل ؟ ثم تحدثت مع الأطفال فى منزل عمتهم تيا فى ميريلاند .

لم يكن لديهم علم بمكان جدتهم . **ها هو شيء جديد لأقلق بخصوصه ـ** هذا ما كان ينقصني تماماً .

لم يكن أمامي شيء لأفعله سوى الانتظار ، وكم كان الانتظار محبطاً ومحطماً للأعصاب . ومع هذا لم يكن أحد يدرى بما يحدث فعلاً . ولا يقتصر هذا فقط على لندن وحدها ـ بل على نيويورك وواشنطن وفرانكفورت كذلك . لم يتم الإعلان عن شيء بشكل رسمي ، لكن الشائعات تقول إنه لن يتم دفع أي فدية . وفي نهاية الأمر ، ليست الحكومات على استعداد للتفاوض ، أليس كذلك ؟ لا يمكننا الاستسلام بهذه الصورة للإرهابيين ، ليس دون قتال . هل هذا ما سيحدث بعد ذلك ؟ قتال ؟

ومرة أخرى مضى الموعد المحدد ، وشعرت بأننا نلعب لعبة الروليت الروسية .

لم تحدث أي هجمات على لندن أو نيويورك أو واشنطن أو فرانكفورت تلك الليلة . لم يرد وولف مباشرة ، بل تركنا فريسة للقلق .

تحدثت مع الأطفال في منزل العمة تيا وأخيراً تحدثت مع الجدة . لم يحدث شيء في واشنطن حتى الآن . كانت الجدة قد ذهبت في جولة على الأقدام في الجيرة بصحبة كايلا ، هذا ما قالته لي . كان كل شيء على ما يرام هناك . **نزهة في الحديقة ، أليس كذلك يا جدتي ؟**

وأخيراً وفي الخامسة صباحاً بتوقيت لندن اتجه معظمنا لمنازلهم ليحظوا بالقليل من الراحة ، هذا إذا ما تمكن أحد من النوم .

وبعد أن نمت ساعات قليلة دق جرس الهاتف ، وكان المتحدث هو مارتن لودج .

قلت له وقد انتفضت جالساً في فراشي : " ما الذي حدث ماذا فعل هذه المرة ؟ " .

الفصل ٦٧

" لم يحدث شيء يا أليكس . اهدأ . أنا واقف في ردهة الفندق ، ولم يحدث شيء . ربما كان يخدعنا . فلنأمل ذلك . ارتد ملابسك وتعال معي لتناول الإفطار في منزلي . أريدك أن تقابل عائلتي . إن زوجتي تريد لقاءك . وأنت بحاجة لفترة راحة يا أليكس ، كلنا بحاجة لهذا " .

كيف يمكنني أن أرفض . خاصة بعد كل ما مررنا به في الأيام الماضية ؟ وبعد نصف ساعة كنت راكباً سيارة مارتن الفولفو متجهين نحو باترس الواقفة بالقرب من النهر في ويستمينيستر . وفي الطريق حاول مارتن أن يعدني لمقابلة عائلته ولطعام الإفطار من خلال حديثه عنهم ، كان كلانا معه جهاز الاستدعاء الخاص به ، لكننا لم نكن نرغب في الحديث عن وولف وتهديداته على الأقل لمدة الساعة القادمة .

" إن زوجتي تشيكية ـ وهي تدعى كلارا سيرنوهوسكا وقد ولدت في براغ ، لكنها بريطانية حتى النخاع الآن . وهي تستمع إلى فيرجين وإكس إف إم وكل البرامج الحوارية على إذاعة الـ بي بي سي . إلا أنها ـ

أصرت على أن نتناول إفطاراً تشكيلياً اليوم . وهى تستعرض ذلك من أجلك . وسوف تحبه ، أتمنى هذا . فعلاً ، أعتقد أنه سيعجبك يا أليكس " .

كنت أعتقد ذلك أيضاً ، وكان مارتن مبتسماً وهو يقود السيارة ويتحدث عن عائلته ويقول : " إن أكبر أطفالى تدعى هانا . خمن من الذى قام باختيار أسماء الأطفال فى عائلتنا ؟ حسناً سأحدثك عن ذلك بإيجاز : إن أسماء أطفالى هى : هانا ودانيلا وجوزيف . يا لها من أسماء ، أليس كذلك ؟ إن هانا مغرمة بكل من ترينيتى وسوزانا اللتين تظهران فى المسلسل التليفزيونى : " وات نوت تو وير " " What Not to Wear " ، وهى فى الرابعة عشرة يا أليكس . أما الابنة الوسطى داى فهى تلعب الهوكى فى ساحة باترس ، كما أنها مجنونة برقص الباليه . أما جو فهو مغرم بلعب كرة القدم والتزحلق باستخدام الألواح ولعب البلاى ستيشن . هذا كل شىء تقريباً ، أليس كذلك ؟ هل قلت لك إننا سنتناول طعاماً تشيكياً اليوم على الإفطار ؟ " .

وبعد عدة دقائق وصلنا إلى باترس . وكان المنزل من الطراز الفيكتورى المبنى بالطوب الأحمر وله سقف مائل وحديقة واسعة . كان المكان أنيقاً ومناسباً ومتوافقاً مع الجيرة الموجود فيها . كانت الحديقة مزدهرة ومعتنى بها جيدا وتشى بأن شخصاً ما يضعها فى أولوية اهتماماته .

كانت العائلة كلها متجمعة فى حجرة الطعام ، حيث كان يتم وضع الطعام وقت وصولنا بالضبط . وقد تم تقديمى إلى الجميع ، بما فى ذلك القط المدعو تيجر ، وعلى الفور شعرت وكأننى فى منزلى وشعرت بالاشتياق إلى عائلتى ، ولازمنى الشعور لفترة من الوقت .

وقد قامت كلارا زوجة مارتن بتعريفى بأنواع الطعام بينما تقوم بوضعه على المائدة وقالت : " هذه يا أليكس تدعى كولاك وهى فطائر محشوة بالجبن . وهناك أيضاً روهليكى وهى عبارة عن لفائف ، " وتوركا "

والتى هى قهوة تركية . وكذلك يوجد " باريك " وهو مزيج من نوعين من السجق ، طيب المذاق للغاية ، وهو صنف خاص بنا " .

ثم نظرت نحو ابنتها الكبرى هانا ، والتى كانت مزيجاً أنيقاً من والدتها ووالدها حيث كانت طويلة ذات جسد ممشوق ووجه جميل ولكن كان لها نفس أنف مارتن المعقوف ، ثم قالت : " هانا ؟ " .

ابتسمت لى هانا وقالت : " أى نوع من البيض تفضل يا سيدى ؟ يمكنك تناول " فيكا نا ميكو " أو " ميتشانا فيكا " أو " سمازينا فيكا " أو إذا ما أحببت ، أومليت ؟ " .

هززت كتفى وقلت : " ميتشانا فيكا " .

قالت كلارا : " اختيار رائع ، ونطق سليم للغاية . إن ضيفنا يتمتع بحس لغوى رائع " .

قلت لها : " جميل ، والآن ، ما هو الشىء الذى طلبته بالضبط ؟ ".

ضحكت هانا وقالت : " بيض مقلى عادى ، وهو يناسب تماماً وجبة " الروهيلكى " و " الباريك " التى ستتناولها " .

قلت لها : " أجل ، اللفائف والسجق " وصفقت الفتاتان لحديث استعراض قوة ذاكرتى " .

استمر حوارى معهم لما يزيد على الساعة ، وسألتنى كلارا خلالها العديد من الأسئلة الشخصية عن حياتى فى الولايات المتحدة وعن الروايات الغامضة التى تستمتع بقراءتها وكذلك عن آخر الفائزين بجائزة بروكر التى تدعى فيرنون جود لتيل والتى قالت عنها إنها مرحة وتكشف عن جنون دولتى تماماً كما كشف جونتر جراسى عن جنون ألمانيا فى روايته " ذا تين درام " " The Tin Drum " . يجب أن تقرأها يا أليكس " .

قلت لكلارا : " أنا أعيشها " .

وفى نهاية الوجبة اعترف الأطفال لى أن أسماء الأطباق التى تناولوها على الإفطار كانت الأسماء التشيكية الوحيدة التى يعرفونها . وبدأوا فى

إزالة بقايا الطعام وتنظيف الأطباق . قال جوزيف ذو الثمانية أعوام : " آه ، أنا أعرف أيضاً تاى فيكا جو هنوسنى " .

" أخشى أن أسألك ـ ماذا يعنى هذا ؟ " .

قال جو ضاحكاً : " آه ، إنها عبارة تعنى لقد كان طعم البيض شنيعاً " . وضحك وجسده يهتز من مزاحه .

الفصل ٦٨

بعد أن غادرت منزل مارتن وكلارا لم أجد شيئاً أفعله ، فيما عدا القلق بخصوص وولف ومكان ضربته القادمة ، إذا ما كان يرغب فى الانتقام بالطبع . وبعد عودتى للفندق حظيت ببضع ساعات أخرى من النوم ، وبعدها استيقظت وقررت الذهاب فى جولة سيراً على الأقدام ، جولة طويلة ، هذا هو ما أنا بحاجة إليه فعلاً .

ومع هذا فقد حدث شىء عجيب . فبينما كنت أمشى فى شارع برودواى راودنى شعور بأن شخصاً ما يتبعنى . وأنا لم أعهد نفسى من قبل مصاباً بجنون الشك والارتياب . حاولت رؤية هذا الشخص ولكن إما أنه كان ماهراً للغاية أو أننى لم أكن ماهراً بما يكفى لكشفه . ربما كان الأمر ليختلف لو كانت هذه واشنطن بدلاً من لندن .

توقفت فى سكوتلانديارد ولم تكن هناك أى أخبار عن وولف . حتى الآن لم تحدث أى هجمات انتقامية . ولا أى هجمة فى أى من المدن المستهدفة . هل هذا هو السكون الذى يسبق العاصفة ؟

وبعد مرور حوالى ساعة أو أكثر ، بعدما مشيت فى شارع وايت هول مروراً بالمنزل رقم ١٠ فى داوننج ستريت وصولاً إلى الميدان فى الطرف الآخر ، ثم عودتى من نفس الطريق ، بدأت أشعر بتحسن وبالفعل عدت إلى الفندق ثانية . إلا أن ذلك الشعور المقلق لم يبارحنى ـ شعورى بأن أحدهم يراقبنى ويتبعنى . من هو هذا الشخص ؟ لم أكن قادراً على رؤية أحد .

بعد عودتى إلى حجرتى قمت بالاتصال بالأطفال عند العمة تيا ، ثم تحدثت إلى جدتى والتى كانت فى المنزل بمفردها وقالت لى ضاحكة :

" المكان يسوده الهدوء بشكل غير معتاد ، لكنى لا أمانع أن يمتلئ المنزل بالضوضاء مجدداً ، فأنا أفتقد الجميع " .

" وأنا كذلك يا جدتى " .

استغرقت فى النوم مجدداً ، وأنا أرتدى ملابسى ، ولم أستيقظ إلا على جرس الهاتف . لم أكن قد أسدلت الستائر وكان الجو مظلماً بالخارج . نظرت إلى الساعة ـ يا إلهى ـ إنها الرابعة صباحاً . أعتقد أن جسدى يعوض النوم الذى افتقده منذ أيام .

قلت فى الهاتف : " أليكس كروس " .

" أنا مارتن يا أليكس . أنا خارج من منزلى الآن ، وهو يريد أن نتجمع فى مبنى البرلمان . ونقف على الرصيف الخارجى المواجه لمدخل الضيوف . هل تريد منى أصحبك إلى هناك ؟ " .

" كلا ، سأذهب بصورة أسرع إذا ما مشيت إلى هناك . سألاقيك هناك " . مبنى البرلمان ، فى هذا الوقت من الصباح ؟ لا يبدو هذا مبشراً بالخير .

بعد حوالى خمس دقائق كنت بالخارج مرة أخرى ، أمشى مسرعاً فى شارع فيكتوريا متجهاً صوب كنيسة ويستمينيستر . كنت متأكداً أن وولف سيفعل شيئاً ، وإن هذا الشىء سيكون مؤلماً للغاية . هل يعنى هذا أنه

على وشك إصابة المدن الأربع ؟ لم يكن هذا ليدهشنى . لم يعد شىء يدهشنى فى موقفنا هذا .

" مرحباً يا أليكس . لم أكن أتخيل مقابلتك هنا " .

ثم خرج رجل من الظلال . لم ألحظ وقوفه هناك من الأساس ، ربما يرجع هذا إلى ذهنى المشغول وإلى أننى أمشى نصف نائم غير مهتم بما حولى .

خرج إلى النور تماماً ، وأمكننى رؤية مسدسه . وكان مصوباً نحو قلبى مباشرة .

" من المفترض أن أكون خارج البلاد الآن ، لكن أمامى شىء أخير لأفعله . أن أقتلك . ولطالما أردتك أن تقف فى هذا الموقف تماماً . كم راودتنى الأحلام عن هذه اللحظة . وربما راودتك أحلام مماثلة أنت أيضاً " .

كان المتحدث هو جيفرى شافير . وكم كان واثقاً مختالاً بنفسه ، وكان واضحاً أن له اليد العليا فى هذا الموقف . وربما كان هذا هو السبب فى أننى لم أفكر ملياً فيما سأفعل ، ولم أتردد . لقد اندفعت نحو شافير ، منتظراً سماع صوت الطلق النارى .

وبالفعل خرجت الطلقة ، لكنها لم تصبنى ، لا أعتقد ذلك على الأقل . أعتقد أن الرصاصة انحرفت نحو أحد الأجناب . لا يهم . دفعت شافير بقوة نحو المبنى الواقف أمامه . وفى عينيه رأيت الدهشة والألم ، وكان هذا هو الحافز الذى أحتاجه . وقد طار مسدسه بعيداً من أثر ارتطامى به .

ضربته بأقصى قوتى فى بطنه ، أسفل الحزام على الأرجح ، وكانت ضربة قوية للغاية ، آمل هذا . تأوه بشدة وعلمت أن هذا قد آلمه بشدة . لكنى كنت أريد إيذاءه بصورة أكبر ، ولأسباب شتى . كنت أريد أن أقتله هنا ، فى الشارع ، وجهت لكمة أخرى نحو معدته ، وأحسست بها تئن تحت وطأة الضربة . بعد ذلك بدأت فى ضرب رأس الوغد حيث وجهت

لكمة شديدة بيدى اليمنى نحو صدغه واتبعتها بيسراى نحو فكه ، آذته تلك اللكمات بشدة ، لكنه لم يسقط بعد .

قال لى : " هل هذا كل ما لديك يا كروس ؟ إليك بهذا " .

أخرج مدية من جيبه وتراجعت لعدة خطوات للوراء ـ لكننى أدركت عندئذ أنه كان مصاباً بشدة ، وأن هذه فرصتى الذهبية . وجهت لكمة أخرى نحو أنف شافير ، وكسرتها ! لكنه لم يسقط بل ظل يلوح بالمدية بشراسة . وبالفعل جرحنى فى ذراعى وهنا أدركت كم أنا مجنون وأننى محظوظ إن لم يجرحنى بشدة أو يقتلنى .

كان لدىّ الفرصة لإخراج مسدس ، وبالفعل مددت يدى وأخرجت مسدس من جرابى المستقر خلف ظهرى .

اندفع شافير لمهاجمتى . ولم أكن واثقاً ما إذا كان قد رأى مسدس . ربما ظن أننى لن أكون مسلحا فى لندن .

صاح قائلاً : " كلا ! وكان هذا هو كل ما استطاع قوله " .

أطلقت مسدسى فى صدره مباشرة وتراجع مرتطماً بالحائط ثم سقط أرضاً .

كانت الصدمة بادية على وجهه ، ربما أدرك أخيراً أنه إنسان مثلنا وقال مغمغماً : " اللعنة يا كروس ، أيها الوغد ! " .

انحنيت فوقه وسألته : " من هو وولف ؟ أين هو ؟ ".

قال لى : " اذهب إلى الجحيم " . ثم مات ، وذهب هو إلى هناك .

الفصل ٦٩

سوف يسقط جسر لندن .

يسقط ، يسقط ...

بعد دقائق من مقتل ويزل فى شوارع لندن ، كان رفيقه فى السلاح ، هنرى سيمور ، يقود شاحنة بيضاء عمرها أحد عشر عاماً فى ظلمات الليل ـ وكان فى قرارة نفسه موقناً بأنه لا يهاب الموت . مطلقاً . بل الحقيقة أنه كان يرحب به .

بعد الرابعة والنصف بقليل كان المرور كثيفا على جسر ويستمينيستر . وأوقف سيمور شاحنته بأقرب ما يستطيع ثم مشى قليلاً ثم وقف مسنداً يديه على الحاجز متطلعا إلى ناحية الغرب . كان يحب منظر ساعة بيج بن ومبنى البرلمان وهو ينظر من على البحر الهائل الحجم ، لطالما أحب هذا المنظر ، منذ أن كان طفلاً صغيرًا كان يأتى لزيارة لندن فى رحلات قصيرة قادماً من مدينة مانشستر والتى تربى فيها .

كان قد لاحظ كل شيء جيداً هذا الصباح . وعلى الضفة المقابلة لنهر التيمز كان بإمكانه رؤية لندن كلها ، وكم كان يحتقرها . كانت مياه نهر التيمز لا تزال مظلمة تحت سماء الفجر . وكانت رائحة الهواء قوية مميزة . وعلى ضفة النهر كانت العديد من الحافلات السياحية ذات اللون البرتقالي المميز تصطف بسكون في انتظار وصول ركابها خلال ساعة أو نحو ذلك .

لكن هذا لن يحدث . ليس اليوم . طالما سينفذ صديقنا هنرى ما يريد هذا الصباح .

لقد كتب ووردثورث ذات مرة قصيدة عن المنظر من على جسر ويستمينيستر (على الأرجح أنه ووردثورث على حسب ما يعتقد) وعنوانها : " لا يمكن للأرض أن تكشف عن شيء أكثر بهاءً " لا يزال هنرى سيمور يذكر هذا ، على الرغم من أنه لا يهتم كثيراً بالشعراء ، ولا بما يقولونه .

فليكتبوا قصيدة عن هذا الهراء . فليكتب أحدهم قصيدة عنى . الجسر وهنرى سيمور المسكين وكل الأوغاد الآخرين الموجودين هنا هذا الصباح .

ثم ذهب لإحضار الشاحنة .

وفى تمام الخامسة وأربع وثلاثين دقيقة بدا وكأن الجسر يشتعل من منتصفه . لكن الحقيقة هى أن شاحنة هنرى سيمور هى التى انفجرت . وارتفعت أرضية الطريق أسفلها ثم انشقت متحطمة تماماً . وتداعت قواعد الجسر ، وتطايرت أعمدة الإنارة ذات المصابيح الثلاثية بعنف كما لو كانت زهور اجتثتها أعنف رياح يمكن لأحد تخيلها ، وللحظة ساد الهدوء ، الهدوء القاتل ، وصعدت روح سيمور إلى بارئها . ثم بدأت تدوى أصوات سيارات الشرطة فى كل أنحاء لندن .

واتصل وولف بسكوتلانديارد ليعلن مسئوليته عن التفجير وقال : " على العكس منكم ، أنا أحافظ على وعودى . لقد حاولت جاهداً مد الجسور بيننا ، لكنكم تصرون على هدمها . هل تفهمون ؟ هل تفهمون ما أقول ؟ " لقد انهار جسر لندن .. وهذه مجرد بداية . فالأمر لن ينتهى عند هذا الحد ـ أريد لهذا الأمر أن يستمر ويستمر " .

ستدفعون الثمن .

الجزء الرابع

باريس ، مسرح الجريمة

الفصل ٧٠

كان مضمار اختبار السيارات مألوفاً ، وكان يقع على بعد ستين كيلو متراً جنوب باريس ، وكان وولف موجوداً هناك يقود إحدى سيارات السباق الأصلية ، وكان أحد الأشخاص موجوداً معه .

كان أحد العملاء السابقين للمخابرات الروسية (كي جي بى) والذى تولى القيام بالعديد من الأعمال لمصلحة وولف فى فرنسا وأسبانيا يسير بجواره . كان يدعى إيليا فرولوف . وكان إيليا يعرف شكل وولف الحقيقى . لقد كان أحد القلائل الباقين على قيد الحياة الذين يعرفون شكله الحقيقى ، وهو ما ملأه بالخوف والذعر فى هذا اليوم ، حتى إن كان يعتبر نفسه أحد أصدقاء وولف .

قال وولف له وهما يتجهان نحو السيارة البورش الحمراء القوية الجديدة : " يا للجمال ! " وكان نفس هذا الطراز قد قام بالتسابق فى سلسلة سباقات رولكى سبورتس كار .

قال إيليا : " أنت تحب سياراتك ، هذا شأنك دائماً " .

" أثناء طفولتي خارج موسكو لم يخطر ببالى قط أنه قد يكون بإمكانى امتلاك سيارة يوماً ، أى سيارة ، أما الآن ، فلدىّ العديد منها ، حتى إننى لا أستطيع إحصاء عددها أريدك أن تركب معى تلك السيارة ، هيا يا صديقى ، اركب " .

هز إيليا رأسه نفياً ورفع كلتا يديه وقال : " كلا ، فأنا لا أحب الضوضاء أو السرعة العالية ، لا أحبهما مطلقاً " .

قال وولف : " أنى مُصِر على ذلك " . ثم رفع باب العربة الذى يشبه جناح الطائر والمقابل للمقعد الأمامى المجاور للسائق وأضاف : " هيا ، إنها لن تؤذيك . لن تنسى مثل هذه الرحلة يا إيليا " .

ضحك إيليا بصورة مفتعلة ثم بدأ يسعل وقال : " هذا هو ما أخشاه " .

" وبعد أن ننتهى من هذا سأتحدث معك عن الخطوات القادمة . لقد اقتربنا للغاية من الحصول على أموالنا . إنهم يضعفون يوماً بعد الآخر ، ولدىّ خطة بهذا الشأن . سنكون أغنياء يا إيليا " .

جلس وولف على مقعد السائق ، والذى كان على الجانب الأيمن ، ثم ضغط أحد الأزرار فأضاءت لوحة التحكم وبدأت السيارة تهتز وتهدر . وشاهد وولف وجه إيليا وهو يشحب فضحك بحبور . فقد كان يحب إيليا فرولوف بطريقته الخاصة .

" إننا جالسان فوق المحرك مباشرة . وستصير الحرارة عالية للغاية هنا ، ربما تصل إلى مائة وثلاثين درجة فهرنهايت . ولهذا نرتدى هذه السترات المبردة . وستصبح الضوضاء عالية كذلك . قم بارتداء الخوذة يا إيليا ، هذا هو التحذير الأخير " .

ثم انطلقا !

كم كان يشعر بالبهجة لهذا الأمر ، ولتلك القوة الضارية لأعتى سيارات العالم ، وكان عليه التركيز فى القيادة بشدة فى مثل هذه السرعة الفائقة ـ ولا شىء سواها . لم يكن يشعر أو يهتم بشىء آخر وهو على

مضمار الاختبار . كانت القوة هى كل شىء فى هذه الرحلة : الضوضاء العالية . حيث لم تكن هناك أى عوازل للصوت بالداخل ، الاهتزاز العالى ، حيث كانت السيارة تهتز بعنف عند تغيير الاتجاهات ، لدرجة أنه فى بعض المنحنيات كان مقدار الضغط يصل إلى ستمائة رطل .

يا إلهى ، يا لها من آلة رائعة ـ متكاملة ـ إن من صنعها ، أياً كان ، لعبقرى .

قال فى نفسه : **لا يزال هناك البعض هنا فى هذا العالم . يجب أن أدرك هذا .**

وأخيراً هدأ السرعة وأوقف السيارة ذات القوة الوحشية بجانب المضمار . وعندما خرج منها ، خلع خوذته وهز شعره وصاح رافعاً رأسه نحو السماء قائلاً :

" كم كان هذا عظيماً ، يا إلهى ! يا لها من خبرة رائعة ! إنها أفضل حتى من مواعدة أجمل الجميلات " .

ثم نظر إلى إيليا فرولوف ووجد أن الرجل لا يزال شاحب الوجه ويرتجف قليلاً . يا إيليا المسكين .

قال وولف بلطف : " أنا آسف يا صديقى ، أخشى أنك تنقصك الجرأة للقيام معى بالجولة التالية . بالإضافة لذلك ، فأنت تعلم ما حدث فى باريس فى الماضى " .

ثم أردى صديقه قتيلاً على مضمار الاختبار ومشى مبتعداً ، دون حتى أن ينظر خلفه . فلم يكن ليهتم أدنى اهتمام بالموتى .

الفصل ٧١

فى ظهيرة نفس اليوم توجه وولف لزيارة إحدى المزارع الواقعة على بعد حوالى خمسين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقى من مضمار اختبار السيارات . كان هو أول الحاضرين وجلس منتظرا فى المطبخ ، والذى كان مظلماً مثل السرداب . ومن المفترض أن يأتى أرتور نيكيتين بمفرده ، كانت تلك الأوامر الصادرة إليه ، وبالفعل كان هذا هو ما فعله . كان نيكيتين عميلاً سابقاً للمخابرات الروسية كى . جى . بى ، وجندياً مخلصاً . وكان يعمل مع إيليا فرولوف ، كتاجر للسلاح فى معظم الأحيان .

سمع وولف وقع خطوات أرتور وهو يقترب من السلالم الخلفية . فنادى قائلا : " لا أضواء ، ادخل فقط " .

فتح أرتور الباب ودخل . كان رجلاً طويلاً ذا لحية بيضاء كثة ، ضخماً قوى البنية ، يشبه فى هذا وولف نفسه .

قال وولف : " هناك مقعد . اجلس من فضلك ، أنت ضيفى " .

أطاع نيكيتين الأمر ، ولم يكن خائفاً . فى الواقع أنه كان من هؤلاء الذين لا يهابون الموت .

" لقد قمت ببعض الأعمال لحسابى فى السابق ، ولقد أحسنت فى أدائها وستكون هذه هى مهمتنا الأخيرة سوياً . ومنها ستربح من المال ما يكفيك بقية حياتك ، ويحقق لك كل ما ترغب فيه . ما رأيك ؟ "

" يبدو شيئاً رائعاً للغاية . وسأنفذ كل ما تأمرنى به ، هذا هو سر نجاحى " .

أكمل وولف حديثه قائلاً : " إن باريس مدينة عزيزة على قلبى . وأنا بحاجة لمساعدتك يا أرتور ، والأهم من ذلك أننى بحاجة إلى إخلاصك وولائك ، هل يمكننى الاعتماد عليك ؟ "

" يمكنك ذلك بالطبع ، لا شك فى هذا . أنا هنا ، أليس كذلك ؟ "

" أنا أخطط للقيام بتفجير عنيف فى باريس ، والتسبب فى متاعب جمة ، ثم الحصول على مال كثير ، هل يمكننى الاعتماد عليك ؟ "

ابتسم نيكيتين وقال : " بالطبع . أنا عن نفسى لا أحب الفرنسيين كثيراً ، ومن يحبهم على أى حال ؟ سيسعدنى هذا وخصوصاً ما ذكرته عن المال الكثير " .

لقد وجد وولف الرجل المناسب لتنفيذ المهمة . ثم بدأ فى توضيح المهمة له .

الفصل ٧٢

بعد يومين من تفجير جسر ويستمينيستر عدت إلى واشنطن . وأثناء الرحلة الطويلة أرغمت نفسى على التفكير فيما يفعله وولف بعد ذلك . ما الذى قد يفعله ؟ هل سيواصل ضرباته ويواصل استهداف المدن الكبرى حتى نعطيه المال الذى يطلبه ؟ وماذا يعنى ضرب الجسور بالنسبة له ؟

كان هناك شيء واحد واضح أمامى : لن يختفى وولف تاركاً الأمور كما كانت من قبل . لن يختفى بهذه السهولة .

وصلتنى رسالة من مكتب رون بيرنز قبل هبوط الطائرة . كان علىّ التوجه نحو المركز الرئيسى بمجرد وصولى إلى واشنطن .

لكنى لم أتوجه صوب المركز الرئيسى فى مبنى هوفر ، بل ذهبت للمنزل . لم ألق بالاً لما طلبه منى بيرنز ، بل لم أفكر فى الأمر مرتين . سيظل وولف موجوداً حتى الصباح ويمكن للأمر أن ينتظر .

كان الأطفال قد عادوا إلى المدينة بصحبة العمة تيا . وكانت الجدة موجودة فى منزلها الواقع فى الشارع الخامس كذلك . وبالفعل قضينا

الليلة سوياً فى منزلنا ، ذلك الذى ولدت به جدتى ومن المقرر أن يعود الأطفال فى الصباح إلى ميريلاند بصحبة العمة تيا . وستظل الجدة فى منزلها هنا ، وكذلك أنا . ربما كانت هناك أوجه كثيرة للشبه بيننا ، أكثر مما نلاحظه أو نعترف به .

فى حوالى الحادية عشرة مساء كان هناك شخص عند باب المنزل الأمامى ، كنت جالساً أعزف البيانو فى الرواق والذى لا يبعد سوى خطوات بسيطة عن الباب . وعندما فتحت الباب وجدت رون بيرنز واقفاً بصحبة اثنين من العملاء . وبعد أن أمر الرجلين بالانتظار فى السيارة دخل إلى المنزل .

قال لى المدير وهو يمر بجوارى داخلاً من الباب : " أنا بحاجة للحديث معك . لقد تغير كل شيء " .

وهكذا جلست فى الرواق بصحبة مدير مكتب المباحث الفيدرالية . لم أعزف البيانو له بالطبع ، فقط استمعت باهتمام لما سيقوله .

كان أول الموضوعات متعلقاً بتوماس وير ، فقال لى بيرنز : لم يعد لدينا شك فى أن توماس كانت له علاقة بـ " وولف " فى الماضى عندما خرج من روسيا . ربما كان يعرف شخصية وولف الحقيقية . ونحن نعمل فى هذا الأمر يا أليكس ، وكذلك رجال المخابرات المركزية . لكن بالطبع لا يزال اللغز مستعصياً على الحل " .

قلت وأنا أقطب جبينى : " الجميع يتعاونون مع بعضهم البعض ، يا له من شيء جميل " .

حدق بيرنز إلىّ وقال : " أعلم أن الأمر صعب عليك منذ البداية . وأعلم أنها ليست بالمهمة السهلة حتى الآن وأنك تريد أن تكون فى وسط المعمعة . وفى نفس الوقت أنت تريد أن تكون مع عائلتك " .

لم أستطع إنكار أى مما قاله بيرنز فقلت له : " أكمل يا سيادة المدير . كلى آذان صاغية " .

" لقد حدث شيء فى فرنسا يا أليكس . وكل من توماس وير و وولف كانا متورطين بالأمر . لقد حدث هذا الأمر منذ وقت طويل ، ولقد تم ارتكاب خطأ ، خطأ كبير " .

سألته : " أى خطأ تعنى ؟ " ، ترى هل نحن نقترب من بعض الإجابات ؟ ، يجب أن تتوقف عن محاولة إخفاء المعلومات عنى ، هل مازلت تتعجب من سبب تفكيرى في ترك تلك الوظيفة ؟ "

" صدقنى ، نحن لا نعلم تحديداً ما حدث هناك . ونحن نقترب من معرفة الأمر . لقد حدث الكثير خلال الساعات القليلة الماضية . لقد اتصل وولف بنا ثانية يا أليكس .

تنهدت بصوت عال ، لكن واصلت الإصغاء لأننى وعدت بهذا .

" لقد قلتها أنت من قبل ، إنه يريد إيلامنا بشدة ، وأن يكسر ظهورنا ما أمكنه هذا . وهو يقول إن هذا باستطاعته وإن القواعد تتغير وإنه هو الذى يغيرها . وهو الوحيد الذى يملك حل اللغز . وأنت الوحيد الذى يمكنه المساعدة فى حل اللغز " .

كان على أن أوقف بيرنز فقلت : " ما الذى تحاول قوله يا رون ؟ فقط أخبرنى ، إما أننى مشترك فى هذا الأمر ـ إلى أبعد حد ـ أو أننى خارجه تماماً " .

" لقد أمهلنا فترة ست وتسعين ساعة ، وبعدها سيعم الدمار . كما أنه غير من بعض المدن المستهدفة . لا يزال يستهدف واشنطن ولندن ، ولكنه أضاف بعض المدن الأخرى مثل بروكسل وباريس . ولم يشرح لنا أسباب هذا التغيير . وهو يريد أربعة مليارات دولار بالإضافة إلى إطلاق سراح السجناء السياسيين . ولا يريد أن يفسر لنا شيئاً على الإطلاق " .

قلت له : " أهذا كل ما فى الأمر ؟ أربع مدن مستهدفة ؟ وفدية مقدارها بضعة مليارات ؟ وإطلاق سراح بعض القتلة ؟ "

هز بيرنز رأسه وقال : " كلا ، ليس هذا كل ما فى الأمر . لقد صرح بكل شيء للصحافة هذه المرة . وسيعم الذعر أنحاء العالم وخاصة فى المدن الأربع المستهدفة : واشنطن ولندن وبروكسل وباريس . لقد أصبح الأمر معلوماً للجميع " .

الفصل ٧٣

فى صبيحة يوم الأحد ، وبعد تناول الإفطار مع جدتى ، اتجهت صوب باريس . لقد أراد رون بيرنز أن أذهب إلى فرنسا ، لا نقاش .

ولقد نمت معظم ساعات الرحلة بدافع الإرهاق ، والاكتئاب كذلك . بعد ذلك قرأت بعض ملفات المخابرات عن أحد عملاء المخابرات الروسية والذى كان يعيش فى باريس منذ أحد عشر عاماً ومن المحتمل أنه قد عمل مع توماس وير . من المرجح أن يكون هذا العميل هو وولف . ثم حدث شىء ما " خطأ " . خطأ كبير على ما يبدو .

لم أكن واثقاً من نوعية الاستقبال الذى سأحظى به فى فرنسا ، خاصة إذا وضعنا فى اعتبارنا ما حدث فى الفترة الأخيرة بين الدولتين ، لكن بمجرد وصولى سارت الأمور بسلاسة . فى الحقيقة بدا لى وكأن مركز التحكم فى باريس يعمل بصورة أفضل بكثير من مراكز التحكم المماثلة والموجودة فى لندن وواشنطن . ولقد اتضح لى على الفور السبب فى هذا الأمر .

كان تصميم المبانى وتنظيم الملفات والعاملين أبسط بمراحل وعلى نحو أصغر . ولقد قال لى أحد المسئولين : " من السهل التشارك فى كل شىء هنا ، حيث إن أى ملف تحتاجه ستجده فى المكتب المجاور أو فى نهاية الردهة " .

بعد ذلك تم إخبارى بمجمل الأحداث سريعاً وبعدها ذهبت مباشرة لحضور اجتماع على مستوى كبار المسئولين . نظر لى أحد جنرالات الجيش وخاطبنى بالإنجليزية قائلاً : " لكى أكون أميناً معك يا د . كروس فإننا لم نستبعد احتمال أن يكون هذا العنف نوعاً من هجمات الإرهابيين المتطرفين . وصدقنى ، فإنهم على قدر من المهارة لتخطيط شىء عجيب مثل هذا . كما أنهم على قدر كبير من المراوغة ولهذا استخدموا وولف فى الواجهة . وهذا يفسر لنا مطالبهم بإطلاق سراح السجناء ، أليس كذلك ؟ "

لم أرد بكلمة ، وكيف يتأتى أن أفعل . المنظمات الإرهابية المتطرفة ؟ هل هى وراء كل شىء ؟ وراء وولف ؟ هل هذا هو ما يصدقه الفرنسيون ؟ هل هذا هو السبب وراء مجيئى هنا ؟

" كما تعلم فإن هناك اختلافاً فى وجهات النظر بين دولتينا فيما يختص بالعلاقة بين المنظمات الإرهابية وبين الموقف الحالى فى الشرق الأوسط . ونحن نؤمن بأن تلك المنظمات المتطرفة ليست موجهة بالدرجة الأولى ضد القيم الغربية .

واستطرد قائلاً : " أرجو منك أن تتعامل مع الموضوع بعقل متفتح . فبالإضافة لذلك ينبغى أن أذكرك بأن العديد من ضباط المخابرات الروسية كانوا متورطين بدرجة مؤثرة فى الأمر . كما أقول لك ، عليك التعامل مع الأمر بعقل متفتح " .

أومأت برأسي وقلت : " إن عقلي متفتح ، لكن دعني أخبرك أنني لم أجد دليلاً واحداً يشير إلى أن المنظمات الإرهابية هي التي تقف خلف تلك التهديدات . لقد تعاملت مع وولف مسبقاً ، وهو لا يعتنق أياً من مبادئ أو أفكار متطرفة " .

الفصل ٧٤

في هذه الليلة تناولت العشاء بمفردي في باريس . وفي الواقع قمت بالتجول سيراً على الأقدام حتى أرى الموقف في المدينة على أرض الواقع . كان هناك جنود فرنسيون مدججون بالأسلحة في كل مكان . وانتشرت الدبابات وعربات الجيب في الشوارع التي خلت تقريباً من المشاة ، وارتسمت نظرات القلق على وجوه كل من جرؤ على الخروج للشارع لشتى الأسباب .

تناولت طعامي في أحد المطاعم القليلة المفتوحة وكان يدعى " ليز أوليفاد " وكان في شارع " دي سيجور " كل من المطعم والزبائن هادئين إلى حد كبير ، وهو ما كنت أحتاجه بشدة خصوصاً مع ما أشعر به من إرهاق ناتج عن السفر وخروق التوقيت والارتباك ، وبالطبع حالة الحصار التي تشهدها باريس .

بعد تناول العشاء ذهبت في جولة أخرى وذهني مشغول بالتفكير في وولف وتوماس وير . **إن وولف قام بقتل وير متعمداً ، أليس كذلك ؟ ولقد**

استهدف باريس لسبب وجيه ، أليس كذلك ؟ ما المغزى من الجسور ؟ هل هو دليل يمكننا تتبعه ؟ هل الجسور لها مغزى خاص بالنسبة له ؟ وما هو هذا المغزى ؟

كان يجتاحنى شعور غريب مقبض وأنا أتجول فى شوارع باريس عالما بقرب وقوع هجوم قاتل فى أى لحظة . وكنت هناك بغرض إيقافه ـ لكن بكل أمانة ، لم يكن لدى أى إنسان فكرة عن كيفية البدء فى هذا ، كما لم يكن لدى أى إنسان دليل يقودنا لمعرفة شخصية وولف الحقيقية أو مكان إقامته ، أو حتى الدولة التى يعيش بها . لقد عاش وولف هنا ، منذ أحد عشر عاماً . لقد حدث شىء ما ، ما هو ؟

كان هذا القطاع من مدينة باريس رائعاً للغاية ، ومتميزاً بطرقه وأرصفته العريضة التى تربط بين المبانى القديمة المحمية جيداً . وعبر الشوارع كانت دفقات من إشارات وأضواء السيارات القليلة تنساب بسلاسة . هل يغادر الناس باريس ؟ وعندئذ ـ وعندما يدوى الانفجار حيث لا نتوقع ـ الوداع جميعاً .

الشىء المرعب هو أن تلك النهاية السيئة كانت تبدو حتمية ، ولن يقتصر الأمر على مجرد جسر آخر هذه المرة .

هكذا يتحكم وولف فينا . إن له التحكم المطلق . لكن لابد لنا من أن نعكس هذا الموقف بصورة أو بأخرى .

عندما عدت إلى الفندق قمت بالاتصال بالعمة والطفلين . كانت الساعة السادسة مساءً بتوقيت ميريلاند ، وكانت العمة تيا على وشك إعداد طعام العشاء لهما ، وكان الطفلان يشكوان أنهما مشغولان بدرجة تمنعهما من مساعدتها . وعندما أجابت جانى الهاتف سمعتها تقول بالفرنسية :

" مساء الخير يا سيد كروس " ما هذا ، هل هى وسيطة روحية ؟

بعدها بدأت جانى فى توجيه عشرات الأسئلة لى . وأثناء ذلك التقط دامون سماعة هاتف أخرى وأخذ كلاهما يمطرنى بالأسئلة . وأعتقد أنهما كانا يرغبان فى تقليل التوتر الذى كنا شعر به جميعاً .

هل قمت بزيارة كنيسة نوتردام ؟ هل قابلت أحدب نوتردام ، هل رأيت تماثيل الكرجل ذات الوجوه المرعبة ، مثل ذلك الذى كان يأكل تمثالاً آخر ؟

قلت لهما : " لم يتح لى الوقت حتى أتسلق البرج وأصل إلى معرض الوحوش الرائع اليوم . لدىّ عمل أقوم به هنا " .

قالت جانى : " نحن نعلم هذا يا أبى ، إننا نحاول فقط التخفيف عنك ، فنحن نفتقدك بشدة " .

قال دامون : " أنا أفتقدك يا أبى " .

قالت جانى بالفرنسية : " أنا أحبك يا أبى " .

بعد دقائق كنت وحيداً فى غرفة الفندق البعيدة ، فى مدينة يتهددها الموت .

قلت بالفرنسية : " أنا أحبكم جميعاً أيضاً " .

الفصل ٧٥

هل كان الوقت يمر .. سريعاً . أم أن دقات قلبى المتسارعة هى التى أوشكت على الانفجار ؟

فى الصباح الباكر كان مقرراً أن يرافقنى أحد رجال الشرطة . وكان اسمه اتييان مارتو ، وهو محقق فى قوات الشرطة الفرنسية . كان مارتو رجلاً صغير الحجم نحيل الجسم ، وكان متعاوناً وكفئاً كذلك . لكن كان يراودنى إحساس أنه كان مكلفاً بالبقاء معى بغرض مراقبتى أكثر من مجرد العمل معى . كان هذا خطأ ، ويعوق العمل ، وبدأ هذا الأمر يقودنى للجنون .

بعد ظهيرة اليوم قمت بالاتصال بمكتب رون بيرنز بخصوص إمكانية عودتى لبلادى . ولكن طلبى قوبل بالرفض ، من قبل تونى وودز ، والذى لم يجشم نفسه مشقة الاتصال بالمدير ومحادثته فى الأمر . وذكرنى بأن توماس وير و " وولف " قد تقابلا فى باريس .

قلت له قبل أن أنهى المكالمة : " أنا لم أنس هذا يا تونى " .

وهكذا بدأت رحلة البحث عبر تلال من السجلات والبيانات التى جمعتها قوات الشرطة . وكنت أبحث عن صلة بين توماس وير ، أو حتى المخابرات المركزية ، وبين وولف . بل إننى حاولت إبقاء عقلى متفتحاً بخصوص الجماعات الإرهابية المتطرفة ، يا إلهى !

لم يساعدنى المحقق مارتو إلا قليلاً ، وكان سير العمل بطيئاً وكثيراً ما كان المحقق الفرنسى يحتاج إلى فترات راحة لشرب السجائر والقهوة . وكان من المؤكد أننا لن نحقق أى تقدم بهذه الصورة ، وراودنى شعور بأن أى مساعدة أقوم بها هنا تعتبر بلا فائدة حقيقية . وبدأ الصداع يصيبنى كذلك .

فى حوالى السادسة مساءً تجمعنا فى غرفة إدارة الأزمات . كان الوقت يداهمنا ! وعلمت أن وولف سوف يتصل مجدداً . كان الجميع مشحونين بصورة سلبية ، فقد كنا جميعاً نعرف أن وولف يتحكم فينا ويهيننا . وأنا واثق أن الجو كان مماثلاً فى كل من واشنطن ولندن وبروكسل .

وفجأة سمعنا صوته عبر مكبر الصوت ، آتياً إلينا عبر المرشحات كالعادة ، يا للجنون .

قال لنا : " آسف لأننى تركتكم تنتظرون " . ولم يضحك وإنما كان صوته مليئاً بالسخرية ، وكم وددت لو استطعت الصراخ فى هذا الوغد .

" ولكن لا ننسى جميعاً أنكم تركتمونى أنتظر أنا الآخر ، أليس كذلك ؟ أعلم ، أعلم ، إنها لإهانة غير مقبولة بالنسبة لحكوماتكم ، إهانة لكرامتكم ، أنا أفهم هذا جيداً .

" والآن ، أريدكم أن تفهموا شيئاً أنتم أيضاً ، هذا الموعد المحدد نهائى . ولن أمدده مطلقاً . وحتى أسهل الأمر عليكم أقول لكم ، حاولوا الإمساك بى . ابدأوا تحرياتكم واجعلوها واضحة . حاولوا الإمساك بى إن استطعتم .

" لكن اعلموا جيداً أيها الأوغاد ، لابد من دفع المال هذه المرة . كل المبلغ . كما يجب إطلاق سراح السجناء . جميعهم . ولن يتم تمديد الموعد

النهائي ، صدقوني ، إنه الموعد النهائي بالفعل . وإذا ما تجاوزتموه ، ولو حتى بدقائق ، ستحدث عشرات الآلاف من جرائم القتل في كل مدينة من المدن الأربع . لقد سمعتموني - جرائم قتل . وصدقوني ، سأفعل هذا . وسوف أقتل ضحاياي بطريقة لم يشهد العالم لها مثيلاً ، خاصة في باريس ، **الوداع يا أعزائي** " .

الفصل ٧٦

لاحقاً في نفس الليلة عثرنا أنا ومارتو على شيء قد يكون مهماً . ففي هذه المرحلة ، كان ينظر لكل دليل على أنه مهم وحيوى .

قامت قوات الشرطة الفرنسية بالتنصت على العديد من المكالمات التي تم إجراؤها من هاتف أحد تجار السلاح المعروفين في مرسيليا . كان هذا التاجر متخصصاً في الحصول على الأسلحة في الجيش الروسي ، ثم تهريبها عبر أوروبا كلها وخاصة ألمانيا وفرنسا وإيطاليا . كما قام في الماضي ببيع بعض الأسلحة المهربة إلى بعض الجماعات الإرهابية المتطرفة .

ولقد قرأت أنا ومارتو نص المحادثة بين تاجر السلاح وبين أحد المشتبه بهم في صلتهم بتنظيم إرهابي دولي . كانت المحادثة مشفرة ، لكن رجال الشرطة الفرنسية تمكنوا من فك معظم شفرتها .

تاجر السلاح : ابن العم ، كيف حال العمل هذه الأيام ؟ (هل أنت مستعد للقيام بالمهمة) ؟ هل ستأتى لزيارتنا قريباً ؟ (هل بإمكانك السفر ؟) .

الإرهابى : " آه ، أنت تعلم ، أنا متزوج ولدىّ أطفال كثيرون ، وأحياناً ما تكون أمور كهذه صعبة (لديه فريق عمل كبير) " .

تاجر السلاح : " بالله عليك ، لقد قلت لك مسبقاً ، عليك إحضار زوجتك وأطفالك جميعاً إلى هنا ، عليكم المجىء الآن . (أحضر فريقك بالكامل الآن) .

الإرهابى : " نحن جميعاً متعبون " . (إننا مراقبون) .

تاجر السلاح : " الكل متعب هذه الأيام ، لكنك ستحب الجو هنا (الجو آمن هنا) ، أضمن لك هذا " .

الإرهابى : " حسناً ، سأبدأ فى إعداد عائلتى " .

تاجر السلاح : " لقد جهزت لك مجموعة الطوابع . " (ربما تكون أسلحة تكتيكية خاصة على الأرجح)

قلت متسائلاً : " ماذا يعنى بـ " مجموعة الطوابع " ؟ إنها عبارة ذات مغزى ، أليس كذلك ؟ "

" إنهم غير متأكدين يا أليكس . إنهم يعتقدون أنها أسلحة لكن لا أحد يعلم نوعها يقيناً . شىء خطير بالتأكيد " .

هل سيقبضون على الإرهابيين الآن ؟ أم ندعهم يدخلون فرنسا ثم نراقبهم ؟ "

" أعتقد أن الخطة الموضوعة تقضى بأن ندعهم يدخلون ثم نتركهم يقودوننا نحو الآخرين . الكبار . الأمور تتحرك بسرعة وعلى نحو غير متزن الآن " .

قلت له : " ربما كانت الأمور غير متزنة بصورة تزيد على الحد " .

" إننا نقوم بعمل الأشياء بصورة مختلفة ، أرجو أن تظهر احترامك لهذا ، وأن تتفهمه " .

أومأت وقلت له : " إتيبيان ، لا أعتقد أنه سيكون هناك اتصال من أى نوع مع الكبار هنا . ليس هذا هو أسلوب عمل وولف . كل لاعب لديه دور يلعبه ، دون معرفة شىء عن الخطة الكبرى " .

نظر المحقق لى وقال : " سأنقل رأيك هذا إلى المسئولين " .

لكنى شككت أنه سيفعل . وحينها خطرت لى فكرة ، وكانت صعبة علىّ : **أنا وحدى هنا أليس كذلك ؟ أنا ألعب دور الأمريكى القبيح** .

الفصل ٧٧

عدت إلى الفندق فى حوالى الثانية صباحاً . ثم استيقظت فى السادسة والنصف . الصالحون لا يحظون بالراحة الكافية أبداً ، ولا السخفاء كذلك . لكن وولف لم يكن يريد لنا أى راحة ، أليس كذلك ؟ كان يريدنا دوماً أن نشعر بالتوتر والخوف وبالتالى نرتكب أفدح الأخطاء .

مشيت نحو مقر الشرطة وعقلى مشغول بذلك المجنون الذى يقف خلف كل ما يحدث ، لِمَ هو بهذا الجنون ؟ من المفترض أن وولف كان أحد عملاء المخابرات الروسية قبل مجيئه إلى الولايات المتحدة ، حيث تحول هناك إلى قوة عظمى فى عالم المافيا الحمراء . ولقد قضى وقتاً فى انجلترا وهنا فى فرنسا كذلك . وهو من المهارة بحيث إننا لم نعرف هويته الحقيقية قط ، ولا حتى اسمه ، وبالطبع لا نملك بياناً كاملاً عن تاريخ هذا الرجل .

إن أحلامه كبيرة . لكن لِمَ يدخل فى تحالف مع الجماعات المتطرفة الإرهابية ؟ إلا إذا كان متورطاً مع مثل هذه التنظيمات منذ البداية ؟ هل

هذا ممكن حقا ؟ إذا كان هذا صحيحاً ، فيا له من تفكير مرعب . إنه شيء لا يخطر على بال حقاً ، غير معقول . لكن الكثير مما يحدث فى عالمنا هذا يبدو بالفعل شيئاً منافياً للعقل .

وبطرف عينى لمحت شيئاً !

وفجأة لاحظت تلك الدراجة النارية ذات اللونين الأسود والفضى الآتية نحوى من على الرصيف ! تسارعت دقات قلبى وقفزت نحو الشارع وفردت يدى للحفاظ على توازنى استعداداً للتحرك بسرعة ، إما لليمين أو لليسار ، حسب اتجاه الدراجة النارية .

لكن عندئذ لاحظت أن أحداً من المارة لم يبد مهتماً بما يحدث . وابتسمت لنفسى . وتذكرت حديث إتيبيان عن الدراجات النارية المنتشرة فى شوارع باريس وكيف أن سائقيها يتصرفون كما لو كانوا يركبون دراجات صغيرة أو " سكوتر " ويحاولون تجنب اختناقات المرور أحياناً بالسير على الأرصفة .

وكان قائد الدراجة المرتدى بنطالاً ذا لون أسمر ضارب إلى الصفرة وسترة فضفاضة مجرد رجل أعمال ، وليس قاتلاً أجيراً . ومر بجوارى دون أن يقول أو يفعل شيئاً سوى الإيماء برأسه . يبدو أننى أفقد أعصابى ، أليس كذلك ؟ لكن هذا شيء يمكن تفهمه . فمن الذى لا يفقد أعصابه تحت كل هذا الضغط الشديد ؟ .

فى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة دخلت إلى حجرة مليئة بالعديد من ضباط الجيش والشرطة الفرنسيين ذوى الرتب العليا . كنا بداخل وزارة الداخلية التى تقع فى لا أوتيل بيافو .

لم يبق لنا سوى ثلاث وثلاثين ساعة على الموعد النهائى . وكانت الحجرة تجمع مزيجاً متناقضاً من الأثاث الراقى الباهظ الثمن المنتمى للقرن الثامن عشر وبين الأجهزة التكنولوجية الحديثة غالية الثمن . وفى تناقض واضح ، كانت الشاشات تعرض صوراً من لندن وباريس وواشنطن

وبروكسل . وظهرت فيها الشوارع الخالية ورجال الشرطة المدججون بالسلاح .

قلت فى نفسى : **إننا فى حالة حرب ، حرب مع رجل مجنون** " .

قيل لى إنه من المسموح لى التحدث بالإنجليزية لباقى الحاضرين ، ولكن من الأفضل أن أتحدث ببطء وأن أنتقى كلماتى بحرص . وأعتقد أنهم كانوا يخشون أن أتحدث بلهجة عامية مبتذلة تجعل مَنْ بالحجرة لا يفهمون شيئاً .

قلت لهم : " اسمى هو د . أليكس كروس . وأنا عالم نفس شرعى . ولقد كنت أعمل فى قسم شرطة واشنطن دى . سى قبل أن أصبح عميلاً تابعاً لمكتب التحقيقات الفيدرالية . ومنذ أقل من عام عملت فى قضية متصلة بالمافيا الحمراء . وعلى وجه التحديد . كان الأمر متعلقاً بأحد العملاء السابقين للمخابرات الروسية والمعروف باسم وولف . وسيكون وولف هو موضوع حديثى معكم هذا الصباح " .

أما عن بقية الحديث فقد كان يسيراً حتى إنه كان بإمكانى إكمال حديثى وأنا نائم . وعلى مدار العشرين دقيقة التالية تحدثت معهم عن الرجل الروسى . ولكن وحتى بعد انتهاء حديثى وقضاء فترة من الأسئلة النقاشية حول الموضوع ، كنت مقتنعاً أن الفرنسيين ، على الرغم من رغبتهم فى تصديق كل ما أقول ، كانوا متمسكين برأيهم فى أن الجماعات الإرهابية المتطرفة هى مصدر التهديد . وأن وولف إما أنه جزء من هذه الجماعات أو التنظيمات ، أو متعاون معهم .

كنت أحاول الحفاظ على عقلى متفتحاً ، لكن إذا صحت نظريتهم ، فسوف أفقد عقلى . فأنا لا أصدق ذلك ، إن وولف ينتمى للمافيا الحمراء الروسية فقط وليس له علاقة بالتنظيمات المتطرفة .

وفى حوالى الحادية عشرة عدت إلى مكتبى لأجد أن هناك شريكاً جديداً لى .

الفصل ٧٨

شريك جديد ؟ الآن ؟

كانت الأمور تسير بسرعة شديدة ، وأحياناً ما كانت الأمور تبدو غير واضحة أمامى ، بل غير مفهومة ، وأعتقد أن مكتب التحقيقات الفيدرالية قد قام بالاتصال بأحد الأشخاص فى القيادة هنا وقام بالتأثير عليه ، بالتأكيد هذا هو ما حدث . كانت شريكتى الجديدة عميلة تابعة للشرطة وتدعى مود بولارد ، والتى سرعان ما أعلمتنى بأننا سوف نعمل وفقاً لـ " أسلوب الشرطة الفرنسية " أياً كان ما يعنيه ذلك .

من الناحية الجسدية كانت تشبه إتيبان مارتو : حيث كانت نحيفة ذات أنف معقوف وملامح حادة ـ لكن كان لها شعر أحمر لامع . وقد قالت لى إنها قامت بزيارة كل من نيويورك ولوس أنجلوس ، لكنها لم تعجب بأى من المدينتين أبداً .

قلت لها : " لقد اقترب الموعد النهائى " .

" اعلم هذا يا د . كروس ، الكل يعلم هذا . لكن ليس من الحصافة أن نسرع فى العمل دون إعمال عقولنا " .

بعد ذلك وعندما قررت شريكتى مود بولارد البدء فى العمل بدأت " أعمال مراقبة المافيا الحمراء " فى بارك مونسيو الواقع فى المنطقة السكنية الثامنة عشرة . فعلى العكس من الولايات المتحدة ، والتى يميل فيها الروس للتجمع حول أحياء الطبقة الوسطى العاملة مثل برايتون بيتش فى نيويورك ، من الواضح أن رجال المافيا يسكنون فى أحياء راقية .

قالت مود : " ربما يرجع هذا لأنهم يعرفون باريس بصورة أفضل ومكثوا فيها لفترة أطول . أعتقد هذا ، لقد عرفت العديد من الروس لسنوات عديدة ، وبالمناسبة ، هم لا يؤمنون بوجود وولف هذا ، صدقنى ، لقد تحريت الأمر كثيراً " .

وكان هذا ما فعلناه طيلة الساعة التالية ، حيث تحدثنا مع بعض من رجال العصابات الروسية الذين تعرفهم مود . وفيما عدا هذا ، كان الصباح جميلاً ، والسماء زرقاء صافية ، وهو ما عذبنى بشدة ، ما الذى أفعله فى هذا المكان ؟

فى الواحدة والنصف قالت مود بمرح : " لنتناول الغداء مع الروس بالطبع ، أنا أعرف المكان المناسب لذلك " .

ثم اصطحبتنى إلى ما أطلقت عليه : " واحداً من أقدم المطاعم فى باريس " والمدعو لى دارو . كانت الغرفة الأمامية به مظللة بعيدان أشجار الصنوبر كما لو كنا فى منزل ريفى فاخر يملكه رجل روسى ثرى .

كنت أشعر بالغضب وأحاول إخفاء هذا . فلم يكن لدينا وقت للجلوس وتناول الغداء .

ومع هذا ، بدأت أنا ومود فى تناول الطعام . كم كنت أريد أن أخنقها ، أو أخنق النادل السخيف ، أريد أن أقوم بخنق أى إنسان تقع

يداى عليه . وأنا واثق أنها لم تكن تملك أدنى فكرة عما أشعر به من غضب . المحققة العظيمة !

وبينما كنا ننتهى من تناول طعامنا لاحظت وجود رجلين جالسين على مائدة قريبة يراقباننا ، وربما كانا ينظران إلى مود بشعرها الأحمر اللامع .

أخبرتها بشأن الرجلين ، فهزت كتفيها وكأنها تقول : " هذا هو حال الرجال فى باريس ، خنازير ! "

قالت لى وهى تقف استعداداً لمغادرة المطعم : " فلنر إذا ما كانا سيتبعاننا . وأنا أشك فى هذا ، وأنا لا أعرفهما فأنا أعرف الجميع فى هذا المكان ، باستثناء وولف بالطبع ! "

قلت لها : " إنهما يغادران المكان خلفنا " .

" شىء جيد ، فهو المخرج الوحيد كما تعرف " .

كان الشارع الذى به مطعم دارو يقود إلى شارع فابورج سانت هونور والذى قالت لى عنه مود إنه بمثابة فرصة للتسوق طيلة الطريق حتى فيندوم . وبعد أن مشينا بضعة مبان توقفت بجانبنا سيارة ليموزين من طراز لينكولن بجانبنا .

ثم فتح رجل ذو لحية سوداء الباب الخلفى للسيارة ونظر منه وقال : " ادخلا السيارة من فضلكما . لا تسببا أى جلبة . ادخلا الآن ، أنا لا أعبث معكما " . وكان يتحدث بالإنجليزية التى تحمل لكنة روسية .

قالت مود : " كلا ، لن ندخل إلى سيارتك ، بل اخرج أنت وتحدث معنا . من أنت بحق الجحيم ؟ من تظن نفسك ؟ "

أخرج الرجل مسدسه وأطلق الرصاص مرتين . ولم أستطع تصديق ما حدث أمام عينى وسط أحد شوارع باريس .

كانت مود بولارد ملقاة على الرصيف ، وكنت متأكداً من أنها قد ماتت . فقد كان الدم يتدفق من ثقب بشع بالقرب من منتصف جبهتها . وكان شعرها الأحمر متناثراً . وكانت عيناها مفتوحتين تحدقان إلى السماء الزرقاء .

قال الرجل الروسى ومسدسه مصوب نحو وجهى : " ادخل السيارة يا د . كروس ، لن أسألك مجدداً ، لقد سئمت من معاملتك بأدب . ادخل ، وإلا سأفجر رأسك أيضاً ، بكل سرور " .

الفصل ٧٩

قال الرجل الروسى ذو اللحية السوداء بمجرد دخولى السيارة الليموزين : " والآن حان وقت العرض والتعريف . ألستم تقولونها هكذا فى مدارسكم الأمريكية . إن لديك طفلين يدرسان فى المدرسة ، أليس كذلك ؟ حسناً ، سأعرض عليك أشياء مهمة ، وسوف أعرفك بمعناها . لقد أخبرت المحققة أن تدخل السيارة لكنها أبت . إن مود بولارد هو اسمها ، أليس كذلك ؟ لقد أرادت التصرف كشرطية قوية ، والآن هى شرطية ميتة ، ليس هناك قوة فى هذا " .

أسرعت السيارة مبتعدة عن مسرح الجريمة ، تاركة المحققة الفرنسية جثة هامدة فى الشارع وبعد عدة شوارع قمنا بتغيير السيارة وركبنا فى سيارة أقل تميزاً من طراز بيجو وكان لونها رمادياً . ولقد حفظت رقمى لوحات كلتا السيارتين " .

قال الرجل الروسى الذى كان بادياً عليه الاستمتاع بوقته : " والآن ، لنأخذ جولة قصيرة فى الريف " .

سألته قائلاً : " من أنت ؟ وماذا تريد منى ؟ " كان طويلاً ، يصل طوله إلى ست أقدام وخمس بوصات ، وكان ذا بنية عضلية قوية . وهو ما كان يماثل ما أسمعه عن شكل وولف . وكان يمسك بمسدسه الباريتا ويصوبه إلى جانب وجهى . كانت يده ثابتة كالصخر ، وبدا عليه أنه معتاد على حمل الأسلحة النارية واستخدامها بكل مهارة .

" لا يعنيك من أكون . أنت تبحث عن وولف ، أليس كذلك ؟ سآخذك لتقابله الآن " .

ثم رمقنى بنظرة كراهية وألقى لى بكيس من القماش وقال : " ضع هذا فوق رأسك . ومن الآن عليك أن تنفذ كل ما أقوله بالضبط . تذكر ، العرض ، والتعريف " .

قلت له : " أنا أذكر " ثم وضعت الكيس على رأسى . لن أنسى مطلقاً القتل المتعمد للمحققة بولارد . إن وولف ورجاله يقتلون الناس بكل سهولة ، أليس كذلك ؟ ماذا يعنى هذا بالنسبة للمدن الأربع المهددة ؟ هل سيقتلون عشرات الآلاف بمثل هذه السهولة ؟ هل هذه هى خطتهم لإيضاح وإظهار مدى قوتهم وسيطرتهم ؟ الانتقام بمثل هذه البشاعة بسبب جريمة غامضة حدثت فى الماضى ؟ .

لا أعلم يقيناً كم هى المدة التى ركبنا فيها السيارة البيجو ، ولكنها تخطت الساعة : ولقد كانت تسير ببطء فى المدينة أولاً ، ثم تبعتها ساعة من القيادة السريعة على طريق مفتوح .

ثم بدأت السرعة تهدأ ثانية ، وكنا على الأغلب نسير فوق طريق ترابى ، وكان اهتزاز السيارة الشديد يهز كيانى .

قال الرجل ذو اللحية السوداء لى : " يمكنك أن تخلع غطاء الرأس الآن . لقد شارفنا على الوصول يا د . كروس ولا يوجد الكثير لتراه على أى حال " .

خلعت الغطاء ورأيت أننا كنا فى مكان ما من الريف الفرنسى ، حيث كنا سائرين على طريق ممهد تحفه أعشاب طويلة من الجانبين . ولم تكن هناك أى إشارات أو علامات على مرمى البصر .

قلت متسائلاً : " هل هو يعيش هنا ؟ " وتساءلت فى أعماقى ما إذا كنت متجهاً بالفعل لرؤية وولف بنفسه . ما السبب لهذا ؟

قال لى : " إنه يعيش هنا فى هذه الآونة فقط يا د . كروس ، لكنه سرعان ما سيرحل مجدداً . فكما تعلم ، إنه يرحل كثيراً . إنه مثل الشبح ، مثل الطيف . وسترى ما أعنى خلال دقائق " .

توقفت السيارة البيجو أمام منزل حجرى صغير ، وعلى الفور خرج رجلان مسلحان من الباب الأمامى لملاقاتنا . وكان كلاهما يحمل سلاحاً أتوماتيكياً مصوباً نحو الجزء العلوى من جسدى .

قال أحدهما : " إلى الداخل " وكان ذا لحية بيضاء ، وكان يماثل الرجل الذى اصطحبنى حتى الآن فى الحجم .

كان واضحاً أن له السيطرة على الرجل ذى اللحية السوداء . قال مكرراً : " **إلى الداخل** ، أسرع ! ألا تستطيع سماعى يا د . كروس ؟ "

ثم قال الرجل ذو اللحية البيضاء لى : " إنه مجرد حيوان لم يكن من المفترض أن يقتل المرأة . أنا وولف يا د . كروس . من الطيب أن ألقاك أخيراً " .

الفصل ٨٠

قال لى ونحن ندخل المنزل : " لا تحاول القيام بأى تصرف بطولى . لأنه عندئذ سيكون علىّ أن أقتلك وأبحث عن مرسال جديد " .

سألته قائلاً : " هل أنا مرسال الآن ؟ لِمَ ؟ "

لوح الرجل الروسى بيده كما لو كان سؤالى مجرد ذبابة حلقت أمام وجهه .

" إن الوقت يمر سريعاً ، ألم تكن تفكر فى هذا وأنت مع المحققة الفرنسية ؟ لقد كانوا يعيقونك فقط ، هؤلاء الفرنسيون . ألم يخطر هذا ببالك ؟

قلت له : " لقد خطر لى بالفعل " . كنت عاجزاً عن تصديق أن هذا هو وولف الحقيقى . لم أكن أصدق هذا ، لكن من هذا ؟ ولِمَ تم إحضارى إلى هنا ؟ "

قال لى : " بالطبع ، فأنت لست رجلاً غبياً " .

دخلنا إلى غرفة صغيرة مظلمة وبها مدفأة من الحجارة ، لكن لم تكن هناك نار . كانت الغرفة مليئة بقطع من الأثاث الثقيل ، ومجلات قديمة وجرائد قديمة صفراء . كانت النوافذ محكمة الإغلاق. كان المكان لا ينفذ إليه الهواء . ومصدر الضوء الوحيد كان قادماً من مصباح وحيد .

سألته أخيراً : " ما سبب وجودى هنا ؟ ولِمَ تظهر نفسك لى ؟ "

قال الرجل الروسى : " اجلس " .

قلت له وأنا أجلس على أحد المقاعد : " حسناً ، أنا مرسال " .

أومأ برأسه وقال : " أجل ، أنت مرسال . من الضرورى أن يفهم الجميع مدى خطورة الموقف . هذه هى فرصتكم الأخيرة " .

قلت له : " أفهم هذا " .

وقبل أن أتمكن من إنهاء كلمتى مال للأمام وضربنى بشدة على فكى .

انقلب مقعدى للخلف ، وسقطت من عليه ، وارتطم رأسى بالأرض الحجرية . وربما فقدت الوعى للحظات .

ثم وجدت نفسى مسحوباً من قبل رجلين آخرين موجودين بالغرفة واللذين وضعانى على مقعدى ثانية . كان الدوار يعصف برأسى وشعرت بطعم الدم فى فمى .

قال الرجل الروسى : أود أن أؤكد هذه النقطة " . كما لو أن ضربته لى كان بمثابة فاصل فى حديثه ، وأضاف قائلاً : " أنت مرسال . ولا يوجد منكم أيها الأغبياء من يفهم مدى جدية وخطورة الموقف . ولا يوجد منكم من يفهم أنكم جميعاً ستموتون إلى أن يحدث هذا بالفعل ... تلك المرأة الغبية فى باريس اليوم ؟ هل تظن أنها فهمت سبب موتها قبل أن تخترق الرصاصة القاتلة مخها ؟ لابد من دفع المال فى الموعد المحدد يا د. كروس . بالكامل ، فى المدن الأربع جميعها . ويجب إطلاق سراح السجناء " .

قلت له : " لماذا تريد إطلاق سراح السجناء ؟ "

ضربنى مجدداً ، لكن هذه المرة لم أسقط . ثم استدار وغادر الحجرة وقال : " لأننى أريد هذا ! " .

عاد بعد لحظات حاملاً حقيبة سوداء ضخمة . ووضعها على الأرض ، أمامى مباشرة .

قال وهو يفتح الحقيبة السوداء لأرى ما بداخلها : " إن هذا هو الجانب المظلم من القمر ! " .

" إنهم يطلقون عليها قنبلة نووية تكتيكية . ببساطة ، هى عبارة عن " قنبلة نووية فى حقيبة " . والدمار الناتج عنها رهيب . وعلى العكس من الرؤوس النووية المعتادة ، فهذه تعمل وتنفجر وهى على الأرض . ومن السهل إخفاؤها ونقلها . لا ضوضاء ، لا أخطاء . لقد رأيت صوراً لهيروشيما بالطبع ، الكل شاهدها " .

" ما دخل هيروشيما ؟ "

" إن قوة القنبلة الموجودة فى الحقيبة مماثلة لها تقريباً . شىء مرعب . لقد اعتدنا نحن الاتحاد السوفيتى أن نصنع منها أعداداً كبيرة " .

" أتريد أن تعرف مكان وجود بعض القنابل الأخرى الآن ؟ حسناً ، هناك واحدة أو أكثر فى واشنطن ، وبروكسل وباريس ولندن . وهكذا ، وكما ترى ، أصبحنا قوة جديدة تنضم إلى مجموعة الدول النووية . نحن الأعضاء الجدد " .

بدأت أشعر بالبرد يجتاحنى . هل توجد قنبلة نووية بالفعل فى هذه الحقيبة ؟

" هل هذه هى الرسالة التى تريد منى توصيلها ؟ "

" إن القنابل الأخرى موضوعة فى أماكنها . ولكى أبرهن لكم على مشاعرى الطيبة ، يمكنك أن تأخذ تلك القنبلة معك عند عودتك . ودعهم يفحصونها جيداً . لكن أخبرهم أن ينهوا الفحص سريعاً " .

" والآن ربما ، **ربما تفهمون** . اخرج من هنا . أنت لست إلا حشرة صغيرة فى نظرى . خذ القنبلة معك اعتبرها بمثابة هدية . لا تقولوا إننى لم أحذركم مما سيحدث . والآن ، اذهب ، **أسرع** يا د . كروس " .

الفصل ٨١

منذ ظهيرة ذلك اليوم شعرت بالضباب يكتنف كل شىء فى طريق عودتى من ذلك المنزل لم يضع أحدهم شيئاً على رأسى ، وفهمت أن عملية وضع الكيس القماشى على رأسى فى البداية كانت مجرد للاستعراض فقط . وبدا طريق العودة إلى باريس أقصر من طريق الخروج منها .

ألححت على أحد الرجلين فى السؤال عن الوجهة التى سأذهب إليها حاملا الحقيبة القنبلة ، ولكن لم يعطنى أى من الرجلين جوابا . لم يتحدثا مطلقاً . لم يتحدثا سوى اللغة الروسية أثناء الطريق .

أنت لست إلا حشرة صغيرة فى نظرى ... خذ القنبلة النووية معك ...

بعد دخولنا باريس بقليل توقفت سيارتنا البيجو فى إحدى ساحات الانتظار المزدحمة والتابعة لأحد المراكز التجارية وقد صوب أحدهم مسدسه إلى وجهى بينما قام الآخر بربط الحقيبة بيدى باستخدام أحد الأغلال . قلت لهما : " لِمَ كل هذا ؟ " لكن لم يجبنى أحدهما .

بعد قليل توقفت السيارة ثانية فى أيجور ستارفينسكى ، إحدى المناطق المزدحمة فى باريس ، لكنها كانت شبه خالية الآن .

قال لى أحدهما : " اخرج ! " وكانت تلك هى أول كلمة إنجليزية أسمعها لما يقارب الساعة .

خرجت من السيارة ببطء وحذر حاملاً القنبلة . كنت أشعر بالدوار يجتاحنى ، ثم انطلقت السيارة مبتعدة كنت أشعر بثقل الهواء المحيط بى ، بجزيئاته وذراته . وقفت بلا حراك بجوار مركز جورج بومبيدو للثقافة والفنون مكبلاً بالحقيبة السوداء التى كانت تزن خمسين رطلاً على الأقل ، ربما أكثر .

كان من المفترض أنها تحوى قنبلة نووية ، مساوية فى قوتها تلك التى أمر هارى ترومان بإلقائها على اليابان . كان جسدى مغطى بالعرق البارد ، وشعرت كما لو كنت أشاهد نفسى فى حلم . هل من الممكن أن تنتهى الأمور هكذا ؟ بالطبع يمكن ذلك . لم يعد هناك مجال للمراهنات ، خاصة الرهان على حياتى أنا . هل ستفجرنى القنبلة ؟ هل كنت سأعانى من الإصابة بالتلوث الاشعاعى لو لم أمت فى الانفجار مباشرة ؟

لمحت رجال شرطة واقفين بالقرب من أحد متاجر الشرائط واتجهت نحوهم . شرحت لهما من أكون ، ثم طلبت منهما الاتصال برئيس الشرطة .

لم أخبر الشرطيين عن محتويات الحقيبة السوداء ، بل أخبرت المدير بذلك عندما حادثنى على الهاتف . قال لى متسائلاً : " هل التهديد حقيقى ؟ هل القنبلة حقيقية ؟ "

" لا أعرف . كيف يتسنى لى هذا ؟ من فضلك تصرف وكأنها حقيقية . فأنا عن نفسى أتصرف كذلك : أسرع بالله عليك بإرسال فريق مكافحة المتفجرات . اترك الهاتف ! "

وفى خلال خمس دقائق تم إخلاء منطقة باروبرج بأكملها ماعدا بعضاً من رجال الشرطة ، ورجال الشرطة العسكرية وخبراء المتفجرات . كنت آمل أنهم خبراء بالفعل ، أفضل ما فى فرنسا من خبراء .

قالوا لى أن أجلس على الأرض ، وهو ما فعلت . بجوار الحقيبة السوداء بالطبع . ولقد نفذت كل ما قالوه لى ، حيث إنه لم يكن لدىّ خيار آخر . كنت أشعر بالغثيان وجعلنى الجلوس أشعر بتحسن بسيط ، ليس تحسناً كبيراً على أى حال . ولكن على الأقل بدأ الشعور بالدوار الذى كنت أشعر به يقل بالتدريج .

فى البداية جاءوا بكلب له حساسية لاكتشاف المتفجرات حتى يتشممنى أنا والقنبلة . واقتربت بالفعل من الكلب الكاشف عن المتفجرات ، وكان ضخماً من نوع الراعى الألمانى ، اقتربت بحرص وهو ينظر للحقيبة كما لو كانت الحقيبة كلباً آخر منافساً له ، أو عدواً .

حينما اقترب منى لمسافة خمس أقدام تجمد فى مكانه تماماً . وبدأ يزمجر بصورة خافتة وقد انتصب الشعر الموجود على رقبته ، وقلت فى نفسى : " يا إلهى ! " .

استمر هذا الكلب فى زمجرته ليؤكد بالفعل وجود قنبلة مشعة فى الحقيبة ، ثم عاد بسرعة إلى الشخص المسئول عنه . تصرف حكيم منه حقاً . كنت وحيداً مرة ثانية . ولم أشعر بخوف مثل هذا فى حياتى مطلقاً ، ليس إلى هذا الحد . ولم يكن التفكير فى تفجيرى ، بل وتحولى إلى بخار من فرط الانفجار إنه شىء يصعب على الإنسان حقاً التفكير فيه .

بعد وقت بدا لى كالدهر ، على الرغم من أنه لم يبتعد بضع دقائق جاء خبيران من فرقة مكافحة المتفجرات يرتديان حللاً واقية واقتربا بحرص منى . ورأيت أحدهما ممسكاً بقاطع للسلاسل المعدنية . فليباركه الله !

كانت تلك لحظة لا تصدق .

انحنى الرجل الذى يحمل القاطع بجوارى وهمس قائلاً : " لا تقلق ، ستكون الأمور على ما يرام " . ثم بدأ فى قطع الأغلال .

ثم قال لى : " بإمكانك المغادرة الآن ، قم بحرص " . وبالفعل وقفت بحرص وأنا أحك رسغى بيدى مبتعداً عن الحقيبة .

أسرعت بصحبة بضعة رجال ، ذوى الملابس الفضفاضة الواقية التى تجعلهم يشبهون الكائنات الفضائية ، مبتعداً عن منطقة الخطر واتجهت الشاحنة الخاصة بفرقة مكافحة المتفجرات . بالطبع كانت الشاحنة كذلك واقعة فى منطقة الخطر أيضاً . فلو انفجرت القنبلة النووية فسوف يتبخر ما لا يقل عن ميل مربع من مدينة باريس فى نفس اللحظة .

ومن داخل الشاحنة شاهدت فريق الفنيين وهم يعملون على إبطال مفعول القنبلة . هذا إن استطاعوا . لم يخطر ببالى مغادرة المكان قط ، وكانت الثوانى التالية هى الأطول فى حياتى . لم يتحدث أحد ممن كانوا موجودين بالشاحنة ، وكنا جميعاً نكتم أنفاسنا . ولم تكن فكرة الموت هكذا ، بصورة مفاجئة ، تستسيغها عقولنا .

أخبرنا أحد فنيى مكافحة المتفجرات الفرنسيين بأن الحقيبة قد فتحت .

وبعدها بأقل من دقيقة قالوا : " إن المادة المشعة القابلة للانشطار موجودة بالفعل . إن القنبلة حقيقية . ولسوء الحظ يبدو أن حالتها سليمة وتعمل بكفاءة .

إن القنبلة حقيقية ، لم يكن التهديد زائفاً . لا يزال وولف يحافظ على وعوده ، أليس كذلك ؟ ذلك الوغد السادى كان يؤكد لنا على صحة كلامه .

بعد ذلك رأيت أحد الفنيين يرفع ذراعه فى الهواء بإشارة معينة . وهنا عمت الفرحة كل الموجودين بالشاحنات . لم أفهم لهذا سبباً فى البداية ، لكن بدا وكأن هناك أخباراً جيدة . ولم يفسر لى أحد الأمر .

تساءلت بالفرنسية : " ماذا حدث ؟ "

استدار أحد الفنيين نحوى وقال : " لا يوجد زناد للقنبلة ! لا يمكن أن تنفجر . لم يريدوا لها أن تنفجر ، حمداً لله . كل ما كانوا يريدونه هو إفزاعنا " . قلت له : " ولقد نجحوا فى هذا ، بكل تأكيد " .

الفصل ٨٢

خلال الساعتين التاليتين اكتشفنا أن القنبلة الموضوعة فى الحقيبة كانت بها كل الأجزاء اللازمة للقنبلة النووية ، باستثناء جزء واحد صغير ، قاذف النيوترونات ، أى الزناد . كانت كافة الأجزاء والعناصر الصعبة موجودة بها . لم أستطع تناول أى طعام تلك الليلة ، فلم يستقر شىء فى جوفى ، كما لم أستطع التركيز مطلقاً . لقد تعرضت للاختبار ، لكنى لم أستطع إخراج فكرة التسمم الإشعاعى من عقلى .

كما لم أستطع إخراج مود بولارد من تفكيرى أيضاً : وجهها ،نبرة صوتها ، غذاؤنا السخيف الذى تناولناه سوياً ، عنادها وسذاجتها ، وشعرها الأحمر المتناثر على الرصيف . الوحشية المعتادة من وولف وأتباعه .

كما عدت بالذاكرة إلى الرجل الروسى الذى ضربنى فى المنزل الريفى . هل كان هذا وولف حقاً ؟ لِمَ سمح لى برؤيته ؟ ولِمَ لا ؟

عدت إلى الفندق وفجأة تمنيت لو أننى لم أطلب المكوث فى حجرة تطل على الشارع . كان الخدر يملأ جسدى ، والإرهاق كذلك ، لكن هذا لم يمنع عقلى من العمل بأقصى طاقته . لم يكن بإمكانى حتى تحمل الضوضاء المتصاعدة من الشارع . **إنهم يملكون أسلحة نووية بالفعل ليس فى الأمر خداع سيقع ما نخشاه بالفعل . محرقة .**

قررت الاتصال بالمنزل ، وكانت الساعة حوالى السادسة بتوقيت أمريكا . وتحدثت مع طفلىّ عن كل الأشياء التى لم أرها فى باريس - تحدثنا عن كل شىء ماعدا الأشياء التى حدثت لى بالفعل . حتى الآن لم يتسرب الخبر لوسائل الإعلام ، لكن هذا لن يستمر طويلاً .

بعد ذلك اتصلت بالجدة ، وأخبرتها بما شعرت به وأنا جالس على الرصيف والقنبلة مربوطة فى معصمى كانت هى الشخص الوحيد الذى أقص عليه أسوأ أيامى ، وكان هذا أسوأها على الإطلاق .

الفصل ٨٣

عندما وصلت إلى مكتبى وجدت فى انتظارى مفاجأة أخرى . كان مارتن لودج جالساً فى انتظارى . كانت الساعة السابعة والربع صباحاً ، أى ما يبعد حوالى العشر ساعات والخمس وأربعين دقيقة عن الموعد النهائى ، عن الهلاك .

صافحت مارتن وأخبرته بمدى سعادتى لوجوده وقلت له : " لم يتبق الكثير من الوقت . لم أتيت إلى هنا ؟ "

" اللمسات الأخيرة على ما أعتقد . لا بد لى أن أوصل آخر المستجدات للموقف فى لندن ، وبروكسل كذلك . من وجهة نظرنا على أى حال " .

" ثم ؟ "

هز مارتن رأسه وقال : " لا أعتقد أنك تريد سماع نفس القصة العفنة ثانية " .

" بل أريد " .

" ليس هذه القصة ، فلن ترغب فى هذا ، اللعنة ، الأمر مرتبك للغاية يا أليكس . أعتقد أنه يلزم عليه أن يفجر إحدى المدن حتى يبدأوا فى التحرك . هذا هو الموقف . وأسوأ ما فى الموقف هو رد فعل بروكسل . أعتقد أن الأمر ميئوس منه هناك فهم لا يرضون بالتفاوض مع الإرهابيين " .

بدأت جلسة الاجتماع الصباحية فى تمام الثامنة وتضمنت ملخصاً عن موضوع الحقيبة القنبلة الذى ألقاه الفنيون الذين قاموا بتفكيكها . ولقد أقروا بأن القنبلة سليمة لكن ينقصها فقط قاذف النيوترونات ، أى أنه ليس بها زناد ، وغالباً لا توجد مادة مشعة كافية بالداخل .

ثم تحدث أحد جنرالات الجيش عن الموقف الحالى فى باريس : كان الناس خائفين ومبتعدين عن الشوارع ، لكن لم يهرب من المدينة إلا عدد قليل . كان الجيش على استعداد للتحرك وإعلان الأحكام العرفية عند اقتراب الموعد النهائى ، والذى تحدد فى تمام السادسة مساءً .

ثم جاء الدور على مارتن ، والذى مشى نحو مقدمة الحجرة وتحدث بالفرنسية قائلاً : " طاب صباحكم من المدهش حقاً ما قد نفعله إذا ما أقلمنا أنفسنا على حقيقة معينة . فلقد أظهر الناس فى لندن سلوكاً رائعاً ، فى معظم الأحوال . وقد ظهرت بعض حالات الشغب ، لكنها ليست بالكثيرة مقارنة بما كان يمكن أن يقع فعلاً . أعتقد أن من كان بإمكانهم التسبب فى حالات الشغب قد غادروا لندن منذ البداية . أما عن بروكسل فإنهم يتعاملون مع الأمور بصورة جيدة .

" وعموماً ، كانت هذه هى الأنباء الجيدة . أما الأنباء السيئة فهى أننا قمنا بجمع معظم المال المطلوب ، لكن ليس المبلغ كله . هذا هو الموقف فى لندن . أما عن بروكسل ؟ فإن أفضل ما يمكننى قوله هو أنهم يرفضون الاتفاق . فهم لا يريدون التفاوض إلا عند اللحظة الأخيرة ، لهذا لا نعلم حقيقة الموقف عندهم .

" ونحن نمارس عليهم بعض الضغوط بالطبع . وكذلك واشنطن وأعلم أنه تم سؤال بعض الأفراد أن يشاركوا فى دفع مبلغ الفدية بأكمله . قد يحدث هذا . لكن ليس واضحاً ما إذا كانت الحكومة ستقبل هذا أم لا . إنها ببساطة لا تريد تنفيذ مطالب الإرهابيين " .

قال مارتن لودج : " أمامنا أقل من عشر ساعات . وبصراحة ليس لدينا وقت لهذه التفاهات . لابد أن يضغط أحدهم على من يرفض دفع الفدية .

وهنا اقترب منى أحد رجال الشرطة وهمس فى أذنى قائلاً : " آسف يا د. كروس ، ولكن مطلوب استدعاؤك " .

همست له قائلاً : " ما الأمر ؟ " فلقد كنت أرغب فى سماع كل ما سيقال فى هذه الحجرة " .

" فقط ، تعال معى ، الأمر طارئ ، الآن من فضلك " .

الفصل ٨٤

المفارقة هنا هو أننى كنت أعلم أن أى " حالة طارئة " فى مثل موقفنا هذا تعنى وجود أخبار طيبة . وفى الثامنة والنصف كنت بداخل إحدى سيارات الشرطة المسرعة ، وكان دوى صفارتها يشق هدوء شوارع باريس .

يا إلهى ! لقد بدت الشوارع مقبضة خالية ، ماعدا الجنود ورجال الشرطة بالطبع . وأثناء الرحلة تم إطلاعى على دورى فى التحقيق الذى سيجرى ، حيث قال لى أحدهم : " إننا نحتجز أحد تجار السلاح يا د. كروس . ونحن نعتقد أنه هو من ساعد على تهريب القنابل وتوصيلها للإرهابيين . وربما يكون أحد الرجال الذين رأيتهم فى المنزل الريفى . فهو رجل روسى له لحية بيضاء " .

بعد دقائق وصلنا إلى مبنى التحقيق وهو مبنى يرجع إلى القرن التاسع عشر وموجود فى حى هادئ مطل على نهر السين . فى الواقع هذا هو المبنى الشهير " لاكريم " الذى ذكر فى العديد من القصص والأفلام البوليسية ، ومنها تلك المتعلقة بالمحقق مياجريت الذى اعتدت أنا

وجدتى قراءة مغامراته وأنا طفل صغير . إن الحياة والفن وجهان لعملة واحدة ، أعتقد هذا .

بمجرد دخولنا المبنى صعدت السلالم الحجرية حتى الدور العلوى ، الرابع . كانت التحقيقات تتم هناك .

بعد ذلك مشيت عبر ردهة ضيقة وصولاً إلى الغرفة رقم ٤١٤ وطرق الضابط الذى اصطحبنى الباب مرة ثم دخلنا الحجرة .

وعلى الفور تعرفت على مهرب الأسلحة الروسى .

لقد أمسكوا بالرجل ذى اللحية البيضاء ، ذلك الذى قال لى إنه هو وولف .

الفصل ٨٥

كانت الحجرة صغيرة ضيقة ، حيث كانت واقعة تحت الإفريز تماماً . كان لها سقف منخفض مائل مغطى بالبقع من أثر المطر ، وكان فى سقفها كوة تُدخل ضوء الشمس ، نظرت إلى ساعتى ، كانت الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة ، لا يزال الوقت يمر بسرعة .

تم تقديمى فى عجالة إلى فريق التحقيق والمكون من النقيب كورديون والملازم ليرو ، وبالطبع تعرفت على السجين ، تاجر السلاح الروسى أرتور نيكيتين . ولقد تعرفت على نيكيتين على الفور بالطبع ، حيث لم يكن يرتدى قميصاً أو حذاءً وكانت يداه مكبلتين بالأغلال خلف ظهره . كما كان يتصبب عرقاً . كان هو بكل تأكيد ذلك الوغد الروسى الذى قابلته فى المنزل الريفى .

أخبرنى رجال الشرطة فى الطريق أن تاجر السلاح الروسى كان يتعامل مع التنظيمات الإرهابية ، وهو ما جعله يربح الملايين . من المعتقد

أنه متورط بمسألة حقائب القنابل النووية ، وأنه يعلم عدد ما بيع منها ، وكذلك شخصية المشترين .

عندما دخلت الحجرة وجدته يصرخ بالفرنسية فى وجه رجال الشرطة قائلاً : " أيها الملاعين الجبناء . لا يمكنكم أن تفعلوا هذا بى . لم أفعل أى خطأ . أنتم أيها الفرنسيون تدعون أنكم دعاة الحرية ، لكنكم لستم كذلك " .

ثم نظر لى وتظاهر بعدم معرفته بى . وجعلنى تمثيله السيئ هذا أبتسم .

قال له النقيب كورديون : " ربما تكون قد لاحظت أنه تم إحضارك إلى هنا بواسطة قوات الشرطة وليس مكافحة الإرهاب . وهذا لأنك لست (متهماً بتهريب السلاح) . وإنما متهم بالقتل . نحن محققون فى قسم جرائم القتل . وثق بى ، لا يوجد أى دعاة للحرية فى هذه الحجرة ، إلا إذا كنت أنت واحداً منهم " .

اتسعت عينا نيكيتين من الغضب لكن لمحت فيهما أثراً من الارتباك ، خاصة فى ظل وجودى أمامه . ثم قال : " هذا هراء ! لا أصدق هذا . لم أرتكب أى خطأ . أنا مجرد رجل أعمال ! ومواطن فرنسى . أنا أريد المحامى الخاص بى ! " .

نظر لى كورديون ثم قال لى : " والآن حاول أنت " .

تقدمت خطوة للأمام ثم وجهت لكمة عنيفة لفك الرجل الروسى جعلت رأسه يتحرك بشدة إلى الوراء ، ثم قلت له : " نحن لسنا متعادلين بعد . لا أحد يعلم بوجودك هنا ! وستتم محاكمتك بتهمة الإرهاب ، ثم سيتم إعدامك . لن يهتم أحد بهذا ، خاصة بعد الغد . بعد أن تدمر قنابلك باريس وتقتل الآلاف " .

صاح الرجل الروسى فى وجهى قائلاً : " أقول لك مجدداً - أنا لم أفعل شيئاً ! لا يمكنك فعل شىء بى . أية أسلحة ؟ أية قنابل ؟ لا يمكنك فعل هذا بى " .

صاح النقيب كورديون من جانب الحجرة قائلاً : " نستطيع ، وسوف نعدمك بالفعل . ستموت بمجرد مغادرتك هذه الحجرة يا نيكيتين . هناك أحمق آخر معنا لنتحدث إليه ، ومن يساعدنا منكما فسوف نساعده " .

ثم قال : " أخرجوه من هنا ! إننا نضيع الوقت مع هذا الوغد ! " .

أمسك أحد الجنود بشعر نيكيتين وجذبه من بنطاله ثم ألقاه عبر الحجرة . ارتطمت رأس الرجل الروسى بالحائط لكنه تمكن من القيام على قدميه الحافيتين . كانت عيناه متسعتين من الخوف الآن . ربما بدأ يفهم أن قواعد التحقيق قد تغيرت . كل شىء تغير الآن .

قلت له : " هذه آخر فرصة لك للحديث . وتذكر ، ما أنت إلا مجرد حشرة صغيرة بالنسبة لنا " .

قال نيكيتين : " أنا لم أبع أى قنابل هنا فى فرنسا ! أنا أبيعها فقط فى أنجولا ، مقابل الماس ! " .

قال النقيب كورديون صارخاً بأعلى صوته : " لا يهمنى هذا ، ولا أصدقك ! أخرجوه من هنا " .

صاح نيكيتين فجأة : " أنا أعرف شيئاً ! عن حقائب القنابل النووية ! إن عددها أربع . إن أحد التنظيمات المتطرفة هو الذى يقف خلف الأمر كله . لقد رسموا الخطة ! وحددوا المواقع ، وسجناء الحرب ـ كل شىء .

استدرت محدثاً رجال الشرطة الفرنسية وأنا أهز رأسى قائلاً : " إنه كاذب ، لقد أعطاه وولف لنا . وهو مسرور بأدائه بكل تأكيد إنه يقول ما يود وولف إخبارنا به . وسوف يقتله هو نيابة عنا . أنا لا أصدق كلمة مما قال " .

نظر نيكيتين تجاهنا بصق على الأرض وقال : " صدقونى إننى أقول الحقيقة ، اللعنة عليكم إن لم يعجبكم هذا أو تصدقوه " .

نظرت له وقلت : " أثبت لنا ما تقول . اجعلنا نصدقك . اجعلنى أصدقك ، لأننى لا أصدقك حقاً " .

قال نيكيتين : " حسناً ، يمكننى هذا ، سأجعلكم تصدقوننى جميعاً " .

الفصل ٨٦

بمجرد عودتى إلى قسم الشرطة وجدت مارتن لودج فى انتظارى ، وقال لى وهو يجذبنى من يدى : " هيا بنا ! "

قلت له : " إلى أين ؟ " ثم نظرت إلى ساعتى ، وهو شىء داومت على فعله كل دقيقتين . كانت الساعة العاشرة وخمساً وعشرين دقيقة .

" لقد اتضح أن المخبأ الذى أخبرنا عنه الرجل الروسى حقيقى ، وسنغير عليه خلال دقائق " .

أسرعت أنا ومارتن بالصعود لغرفة إدارة الأزمات فى مقر الشرطة ، وهناك وجدت صديقى القديم إتيان مارتو وأرشدنا نحو مجموعة من شاشات المراقبة المخصصة لمتابعة الغارة . كانت الأمور تسير على نحو سريع للغاية ، على وجه التغيير . ربما أسرع من اللازم ، لكن هل لدينا خيار ؟

قال مارتو : " إنهم واثقون من الأمر يا أليكس . ولقد تم تنسيق الأمر مع السلطات المختصة ، وسنبدأ الهجوم على الفور " .

أومأت برأسى وجلست أشاهد الشاشات المواجهة لنا . كان شعوراً غريباً أن أكون بمنأى عن الأحداث هذه المرة . ثم بدأ الأمر فى الحدوث ! حيث ظهرت مجموعة من الجنود الفرنسيين بغتة ، العشرات منهم . وكانوا جميعاً يرتدون سترات خاصة بفرقة البحث والاعتراض والتدمير . وكانوا جميعاً يحملون بنادق هجومية .

أسرع الجنود بمهاجمة منزل ريفى صغير بدا برئ المظهر . وبدأوا بكسر الباب الأمامى . ولم يستغرق الأمر كله سوى ثوان .

بعد ذلك ظهرت سيارة من طراز (يو .لى .إل) وهى النموذج الفرنسى لسيارات الهامر القوية الأمريكية حيث انفتح الباب الخلفى ، وقفز منها بعض الجنود .

قلت مخاطباً مارتو : " سرعان ما سنرى ما سيسفر عنه الأمر . هل رجال تلك الفرقة ماهرون فى عملهم ؟ " .

" أجل ، إنهم ماهرون للغاية فى كل ما يتعلق بالموت والدمار " .

كان هناك اثنان من الجنود الفرنسيين يحملان ميكروفونات وكاميرات حتى نتمكن من متابعة الغارة بالصوت والصورة وقت حدوثها . انفتح أحد الأبواب ، ثم سُمع صوت إطلاق رصاص من الداخل ، وتبعه إطلاق نار كثيف كرد .

صرخ أحدهم ، ثم سُمع صوت ارتطام على الأرضية .

أسرع رجلان بالخروج إلى الردهة الضيقة ، وكان كلاهما مرتدياً ملابسه الداخلية فقط . وقد قتلا قبل أن يعرفا حتى ما حل بهما .

بعد ذلك قتلت امرأة برصاصة فى رأسها .

غمغمت وأنا واقف قبالة شاشات العرض قائلاً : " لا تقتلوهم جميعاً " .

هبطت على المبنى طائرة هليكوبتر قتالية وأنزلت المزيد من رجال القوات الخاصة . أما فى داخل المنزل فقد أسرع الجنود بدخول إحدى غرف النوم ، وألقوا القبض على أحد الرجال ، حمداً لله .

وكان باقى الإرهابيين يستسلمون رافعين أيديهم .

ثم دوت بعض الطلقات ، بعيداً عن مجال الكاميرا هذه المرة .

تم اقتياد أحد المشتبه بهم نحو البهو وكان هناك مسدس مصوب إلى رأسه . رجل كبير السن ، هل هو وولف ؟ هل من المحتمل أنهم أمسكوا به ؟ كان رجل الشرطة المسك بالمسدس يبتسم كما لو كان حقق شيئاً عظيماً . لقد كانت الغارة سريعة وتم تنفيذها بكفاءة بكل تأكيد . وعلى الأقل تم القبض على أربعة من الإرهابيين أحياء .

بعد ذلك جلسنا فى انتظار وصول الأخبار ، كانت الكاميرات الموجودة فى موقع الغارة قد تم إغلاقها ، وواصلنا الانتظار .

وأخيراً ، وفى الثالثة عصراً وقف كولونيل بالجيش فى غرفة إدارة الأزمات مخاطباً الموجودين بها . لم يكن هناك مقعد شاغر ، بل ضاق المكان بالواقفين ، وكان التوتر يملأ الجو بصورة لا تحتمل .

قال الكولونيل : " لقد حددنا هوية المساجين ، الباقون على قيد الحياة بالطبع وكلهم من منطقة الشرق الأوسط . وهم يشكلون خلية تتبع أحد التنظيمات المتطرفة . ونحن نعلم شخصياتهم جميعاً ، ونشكك فى أنه تم إلقاء القبض على وولف كما أنه من غير المحتمل أن هؤلاء الإرهابيين ضالعون فى الخطر الذى يهدد باريس . أنا آسف لإخباركم بهذه الأنباء السيئة فى مثل هذا الوقت . لقد بذلنا أقصى ما فى وسعنا لكنه متفوق علينا حتى الآن ، آسف لإخباركم بهذا " .

الفصل ٨٧

كان الموعد النهائى الرهيب يقترب بسرعة ، ولم يكن هناك لدى أى منا معلومات عما قد يحدث بعد ذلك . يبدو أننا قد استنفدنا كل ما فى يدينا من وسائل للقبض على وولف .

فى تمام الخامسة وخمس وأربعين دقيقة كنت أحد الرجال والنساء المتوترين الذين خرجوا من السيارات الـ " رينو " السوداء وأسرعوا بعبور البوابات المعدنية الضخمة الخاصة بمبنى وزارة الداخلية و حيث كنا فى طريقنا لحضور اجتماع مع مجموعة من رجال المخابرات الفرنسية . كانت البوابات الأمامية هائلة الحجم وكم شعرنا بالضآلة ونحن نتجاوزها . كم شعرت بالضآلة والتفاهة ، وإننى واقع تحت سيطرة قوة تفوقنى .

كانت البوابات تفضى إلى ساحة كبيرة الحجم واسعة وذات أرضية مغطاة بالحصى ، وطافت بذهنى صورة العربات التى تجرها الخيول والتى عبرت يوماً من هذه البوابات . هل حدث تقدم فى العالم منذ ذلك الوقت ؟ لم يبد لى الأمر كذلك هذا اليوم .

سرت برفقة مجموعة من ضباط الشرطة والوزراء والمديرين حتى دخلنا إلى بهو هائل الحجم ذى أرضية مغطاة باللونين الأبيض والوردى . وكان هناك العديد من الرجال المسلحين يقفون على درجات السلم لم يتحدث أحد ونحن نصعد السلالم ، ولم يكن هناك سوى وقع خطواتنا أو سعال متوتر . من المحتمل أنه في خلال وقت قصير سيتم تفجير قنابل فى كل من واشنطن ولندن وباريس وبروكسل وقتل آلاف المدنيين . ويمكن أن يزداد حجم الخسائر البشرية ، وقد تصل إلى مائة ألف قتيل . هل المتسبب فى هذا كله هو رجل عصابات روسى واحد ؟ نحن جميعاً تحت رحمته الآن ، أليس كذلك ؟ كم يبدو هذا غريباً .

كان الاجتماع منعقداً فى قاعة الاحتفالات ، ومرة ثانية كنت أتعجب من سبب وجودى هنا . أنا ببساطة هنا لأمثل الولايات المتحدة فى باريس لأن مكتب الباحث الفيدرالية يريد منى هذا ، ولأنه من المحتمل أن يشكل وجودى هناك فارقاً كمحقق في جرائم القتل وكمحلل نفسانى ، خاصة أنه من المحتمل أن هناك شيئاً مأسوياً قد حدث لـ " وولف " فى باريس منذ زمن بعيد ولكننا لم نستطع التوصل لهذا الشيء بعد .

وبداخل القاعة تم وضع الموائد وتنظيمها على شكل نصف دائرة ومغطاة بقماش أبيض . وعلى مجموعة من الحوامل كانت هناك خرائط مضاءة لكل من أوروبا والشرق الأوسط والولايات المتحدة . وعلى كل مدينة مستهدفة كانت هناك دائرة حمراء سميكة حولها وهو ما بدا مبتذلاً لكنه فعال .

كما كانت هناك أكثر من عشر شاشات عرض بالإضافة إلى نظام حديث يطلق عليه تيليكونفرس وهو معنى بعقد مؤتمر مع آخرين متواجدين فى أماكن بعيدة عن طريق الهاتف . كانت هناك العديد من السترات الزرقاء والرمادية بصورة أكثر من المعتاد ، والعديد من الأشخاص المهمين . ولسبب ما لاحظت وجود العديد من النظارات التى ليس لها إطار والمصنوعة من التيتانيوم ـ هؤلاء هم الفرنسيون وأناقتهم !

كانت الشاشات تعرض بثاً مباشراً للأحداث فى كل من لندن وواشنطن وباريس وبروكسل . كانت المدن يسودها الهدوء ، حيث كانت قوات الشرطة والجيش كانوا بالداخل أيضاً . جاء إتييان مارتو وجلس بجانبى ، حيث عاد مارتن لودج بالفعل إلى لندن .

سألنى إتييان : " ما رأيك فى الموقف هنا على أرض الواقع فى باريس يا أليكس ؟ " .

" لا أعلم يا إتييان بما حدث ، لا أحد يعلم . ربما نكون قد قبضنا على الخلية الأساسية للإرهابيين بالفعل . وأنا أظن أن الأمور تقود إلى الموعد النهائى اليوم . وأعتقد أن وولف كان يعلم بمدى صعوبة الأمر علينا . لقد حدث شيء له هنا فى باريس ، لكننا لا نعلم ما هو . ماذا أقول ؟ لقد فات الأوان ، لقد ضعنا " .

وفجأة انتصب إتييان فى جلسته بجوارى وقال : " يا إلهى ! إنه الرئيس ديبونى " .

الفصل ٨٨

كان أراميز ديبوني ، الرئيس الفرنسي ، فى أواسط الخمسينيات من عمره ، وكان متأنقاً للغاية من أجل المناسبة ، وكان يرتدى الملابس الرسمية . كان رجلاً ضئيل الحجم ذو شعر رمادى مصفف للخلف وشارب رفيع ، كما كان يرتدى نظارات بلا إطار . وبدا عليه الهدوء والسيطرة على مشاعره وهو يمشى بسرعة نحو مقدمة الحجرة وبدأ الحديث . ولف الصمت أرجاء المكان .

" كما تعلمون ، لقد خدمت فى الصفوف الأمامية للشرطة لسنوات عديدة . لذا أردت أن تسمعونى اليوم ، كما أردت أيضاً أن أكون معكم فى تلك اللحظات الأخيرة السابقة على الموعد النهائى .

" ولدىّ بعض الأخبار لكم . لقد تم تجميع المال . فى باريس ولندن وواشنطن وبروكسل . وسوف يتم نقل المبلغ كله بعد ثلاث دقائق والنصف ، أى قبل الموعد النهائى بخمس دقائق .

" أود أن أشكر كل من فى هذه الحجرة ، وكل الجهات التى تمثلونها عن الساعات الطوال التى قضيتموها فى العمل الشاق ، والتضحيات الشخصية التى قدمتموها من تلقاء أنفسكم ، ومن أجل المجهود البطولى والشجاعة المتفانية التى أظهرتموها ، وسوف نتجاوز هذه الأزمة . وفى نهاية المطاف سوف نقبض على هؤلاء الأوغاد القساة ، جميعهم ! وسوف نمسك بـ " وولف " ، أكثرهم قسوة " .

على الحائط خلف الرئيس كانت هناك ساعة ذهبية ضخمة . ونظر الكل إليها بقلق . وكيف يسعنا ألا نفعل ؟

وفى تمام السادسة إلا خمس دقائق بتوقيت باريس قال الرئيس ديبونى : " فى هذه اللحظة يتم نقل المال . وسينتهى الأمر فى غضون ثوان ..... حسناً . لقد تم الأمر . من المفترض أن ينتهى الأمر الآن . ستكون الأمور على ما يرام . تهانئى لكم جميعاً . أشكركم " .

تنهد الكل ارتياحاً فى الغرفة وارتسمت الابتسامات وتبادلت البعض المصافحة والأحضان .

ثم انتظرنا ، أى رد فعل .

أى نوع من الاتصال من وولف .

أو حتى أى أخبار من المدن الأخرى المستهدفة : واشنطن ، لندن ، بروكسل .

كانت الثوانى الستون الأخيرة مشحونة بالتوتر والإثارة ، حتى بعد أن تم دفع الفدية . ولم أستطع عمل أى شىء سوى النظر إلى عقرب الثوانى الموجود فى الساعة . وأخيراً بدأت فى الدعاء لأسرتى ولكافة البشر الذين يقطنون المدن الأربع ، وللعالم الذى نعيش فيه .

ثم جاءت الساعة السادسة فى كل من لندن وباريس وبروكسل ، والثانية عشرة فى واشنطن .

لقد حل الموعد النهائى . لكن ماذا يعنى هذا ؟ هل نحن فى أمان الآن ؟

لم يتغير أى شيء على شاشات المراقبة ، لم يحدث أى اضطراب ، أى انفجارات ، لم يحدث شيء .

ولم يحدث أى اتصال من وولف .

ثم مرت دقيقتان .

ثم عشر دقائق .

وعندئذ هز انفجار هائل الحجرة ، بل العالم أجمع .

الجزء الخامس

خلصنا يا إلهى من الشرور

الفصل ٨٩

لم تكن قنبلة هى التى انفجرت ، بل كانت عدة قنابل ، لم تكن قنابل نووية ، لكنها كانت على قدر من القوة بحيث تسببت فى دمار هائل ، حيث انفجرت فى المقاطعة الأولى بالقرب من متحف اللوفر . وقد تمت تسوية المنطقة كلها ، بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها المسدودة بالأرض . وقد توفى ما يقارب الألف من السكان على الفور ، أو على الأقل خلال ثوان قليلة . وقد سمع دوى الانفجار المتعدد ، بل وشُعر به فى كل أنحاء باريس .

أثرت الانفجارات تأثيراً بسيطاً على متحف اللوفر لكن المنطقة الواقعة بين طريق مارينجو واريتوار وبايلول تم تدميرها تقريباً . بالإضافة إلى تدمير جسر قريب ـ جسر صغير ـ على نهر السين .

جسر ، جسر آخر . فى باريس هذه المرة .

لم نسمع أى كلمة من وولف لتفسير الأمر . بل إنه لم يعلن مسئوليته عن ذلك الفعل الحقير المشين ، كما لم ينكر أيضاً .

لم يكن بحاجة لتبرير أفعاله ، أليس كذلك ؟ كان يظن أنه فوق مستوى البشر .

هناك العديد من البشر المتعجرفين والذين يعملون داخل حكومتنا فى واشنطن ، وكذلك يعمل بعضهم لصالح الوسائل الإعلامية المحلية ، والذين يظنون أن بمقدورهم التنبؤ بدقة بما سيحدث فى المستقبل وذلك لأنهم يعرفون ـ أو يعتقدون أنهم يعرفون ـ ما حدث فى الماضى . لكن أشك أن الوضع كان هكذا فى باريس أو لندن أو بروكسل أو أى مكان آخر فى العالم : " فكل هؤلاء الناس الأذكياء ذوى النوايا الحسنة والذين يقولون : " لا يمكن أن يحدث شئ كهذا " أو " هذه هى الطريقة التى تحدث بها الأمور فى العالم الحقيقى " كما لو كانوا يعرفون كل شىء إلا أنهم لا يعرفون شيئاً على الإطلاق .

لم يعد هناك مجال للتخمينات اليوم . يمكن أن يحدث أى شىء ، وعاجلاً أو آجلاً سيحدث شئ على الأرجح . يبدو أننا لم نتطور فى الذكاء ، بل ازددنا جنوناً بمرور الوقت . أو على الأقل ، أصبحنا أكثر خطورة . أكثر خطورة بصورة لا تصدق ولا يمكن احتمالها .

ربما كان هذا فقط ما كنت أشعر به وأنا عائد من باريس . فقد وقعت مأساة رهيبة . ولقد ربح وولف ، إذا ما اعتبرنا ما حدث فوزاً ، بل إنه لم يتجشم أى عناء فى الفوز علينا .

لقد تبنى رجل العصابات الروسى المجنون بالقوة تكتيكات الإرهاب ، أو هكذا يبدو . لقد كان أفضل منا ـ أكثر تنظيماً وذكاءً وأكثر قسوة حينما كان يحتاج لتحقيق نتائج . ولا يمكننى حتى تذكر آخر مرة انتصرنا فيها فى معركة د وولف وأتباعه . لقد كان أذكى منا . ودعوت الله أن يكون الأمر انتهى عند هذا الحد . هل هذا ممكن ؟ أم أن هذا مجرد هدوء آخر يسبق العاصفة ؟ لم أستطع حتى التفكير فى هذا الاحتمال .

وصلت إلى منزلى بعد الثالثة من عصر يوم الخميس بقليل . كان الأطفال قد عادوا : بينما لم تكن الجدة قد غادرت منزلنا الواقع فى

الشارع الخامس مطلقاً . وحينما وصلت هناك أصررت على أن أتولى طهو طعام العشاء ، ولم أقبل فى ذلك نقاشاً . لقد كان هذا هو ما أحتاجه : أن أطهو وجبة جيدة ، ثم أتحدث مع الجدة والأطفال عن أى شىء نريد التحدث عنه ، وأن نتبادل الأحضان . كل ذلك دون الحديث عما حدث فى باريس أو عن وولف أو أى عمل من أعمال الشرطة .

لذا قدمت لهم وصفاً لطعام العشاء المطهو على الطريقة الفرنسية ، بل إننى تحدثت الفرنسية مع دامون وجانى أثناء إعداد الطعام . ثم قامت جانى بتجهيز المائدة وذلك باستخدام مفارش الجدة الفضية ومفرش المائدة الفضى الذى نستخدمه فقط فى المناسبات الخاصة أما عن الوجبة فكانت عبارة عن الجمبرى مع البابايا والفلفل وشرائح البصل ، بالإضافة إلى عصيدة الدجاج مع الصلصة . وتناولنا أكواباً من المياه الغازية مع الوجبة وأكلنا بكل حماس .

أما عن الحلوى فكانت كعكة الشيكولاتة والآيس كريم . لقد عدت إلى الولايات المتحدة أخيراً .

لقد عدت لمنزلى ، حمداً لله .

الفصل ٩٠

أخيراً عدت إلى منزلى ، منزلى الحبيب .

فى اليوم التالى لم أذهب إلى عملى ولم يذهب الأطفال إلى المدرسة . وكان هذا مناسباً لنا جميعاً ، حتى إن الجدة بنفسها شجعتنا على الذهاب للتنزه ، ولقد اتصلت هاتفياً بـ " جاميلا " مرتين ، وكم أراحنى التحدث إليها ، كما هو الحال دائماً ، لكن بدا وكأن هناك شيئاً مفقوداً بيننا .

أما عن نزهتنا هذا اليوم فلقد اصطحبنا الأطفال فى رحلة إلى قرية سان مايكلز بولاية ميريلاند ، والتى تقع على خليج تشيزابيك . ولقد كانت القرية صورة حية يتجسد فيها سحر الساحل . فكان بها حوض كبير لرسو وإصلاح السفن ، وفندقان صغيران تزين شرفاتهما الأمامية المقاعد المتأرجحة ، وكذلك فنار . كما كان هناك متحف خليج تشيزابيك البحرى والذى شاهدنا فيه بعض نجارى السفن الحقيقيين وهم يعملون على صنع وإعادة ترميم سفن تنتمى للقرن التاسع عشر ، وشعرنا كما لو

أن الزمان قد عاد بنا إلى القرن التاسع عشر ، وهو ما لم يبد لنا بالفكرة السيئة أبداً .

وبعد تناول الغداء فى مطعم كراب قررنا الذهاب فى رحلة على متن إحدى السفن القديمة . لقد اعتادت جدتى أن تصطحب تلاميذ فصولها إلى هذا المكان لعدة سنوات ، لكنها لم تصحبنا فى هذه الرحلة ، حيث قالت إن لديها عملاً كثيراً ينبغى القيام به فى المنزل . وكنت أتمنى أنها كانت بحال طيبة فعلاً . وكنت مازلت أذكر الطريقة التى كانت تدرس بها للتلاميذ فى مثل هذا الرحلات الميدانية ولهذا تقمصت شخصية المحاضر الشرفى .

قلت محدثاً طفلىّ بنفس الطريقة التى كانت جدتى تخاطب بها تلاميذها منذ سنوات عديدة خلت : " جانى وديمون ، إن هذا هو آخر أسطول عامل من المراكب الشراعية فى الولايات المتحدة ، هل تتخيلون هذا ؟ إن تلك المراكب ليس بها آلات رفع ميكانيكية ، بل يتم العمل هنا بالقوة البدنية والروافع والحبال ، والصيادون هنا يُطلق عليهم اسم رجال البحر " .

ثم اتجهت معهما وصعدنا على متن السفينة مارى ميرشانت للقيام برحلة مدتها ساعتان والنصف إلى الماضى .

ولقد أرانا قبطان السفينة ومساعده كيفية رفع الشراع باستخدام الحبال والبكرات وسرعان ما أخذت الرياح تدفع الشراع مصدرة صوتاً عالياً ناتجاً عن الحركة المتكررة لقماش الشراع بفعل اصطدام الرياح به . ويا له من وقت ممتع قضيناه . ونظرنا نحو الشراع البالغ طوله ستين قدماً والمصنوع بأكمله من قطعة خشبية واحدة تم نقلها إلى هنا من ولاية أوريجون . حيث رائحة الهواء المالح ، وزيت بذر الكتان ، وبقايا القواقع البحرية . وكان إحساسى رائعاً بقربى من طفلىّ ونظرة الحب والثقة البادية فى عينيهما . فى أغلب الأوقات على أى حال .

مررنا أثناء إبحارنا بمجموعات من غابات الصنوبر ، والحقول التى يزرع فيها مستأجروها من الفلاحين الذرة وفول الصويا ، وكذلك مبانى الضِيَاع الكبيرة بيضاء اللون التى كانت مسكونة يوماً من الأيام . وشعرت حقاً كما لو أنى عدت بالزمان إلى قرن مضى ، وكانت تلك فترة راحة طيبة ، فترة راحة كنت فى حاجة ماسة لها بالفعل ، ولم يجنح تفكيرى إلى عمل الشرطة إلا مرة أو اثنتين ، لكننى سرعان ما كنت أطرده عن ذهنى .

استمعت بنصف اهتمام إلى القبطان وهو يوضح لنا أن المراكب الشراعية وحدها هى المسموح لها بصيد المحار طيلة الأسبوع - باستثناء يومين يسمح فيهما للمركب ذى المحركات بالصيد فى الخليج . وأعتقد أن هذا تخطيط سليم وفكرة جيدة أن يتم صيد المحار بصعوبة بالمراكب الشراعية حتى لا ينفد جميعه دفعة واحدة .

يا له من يوم رائع . وبينما كانت السفينة تنحرف جهة اليمين انفتحت قاعدة الشراع وملأ الهواء الشراع الرئيسى وتحرك الشراع مصدراً جلبة عالية ، ووقفت أنا وجانى وديمون نحدق إلى الشمس الغاربة . وفهمنا عندئذٍ ، ولو قليلاً ، أن هذه هى الطريقة التى ينبغى بها أن نحيا حياتنا ، وأن هذا هو السبب أن هناك لحظات فى حياتنا يجب أن نقدرها ونتذكرها .

قالت لى جانى : " إنه أفضل أيام حياتى بدون مبالغة " .

قلت لها : " وأنا أشعر بالشىء نفسه ، وبدون أدنى مبالغة أيضاً " .

الفصل ٩١

لدى عودتنا فى المساء إلى المنزل شاهدت شاحنة بيضاء متوقفة أمام المنزل ، ورأيت الشعار ذا اللون الأخضر الموضوع على بابها والمكتوب عليه : مشروع الرعاية الصحية المنزلية . ما هذا ؟ لِمَ جاءت د. كولز إلى هنا ؟

شعرت فجأة بالتوتر خوفاً من أن يكون هناك شىء قد حدث لجدتى أثناء رحلتى مع الطفلين . إن حالتها الصحية المتردية كانت تشغل حيزاً أكبر من تفكيرى مؤخراً ؛ خاصة مع كونها فى منتصف الثمانينات من عمرها ، على الرغم من أنها ترفض إخبارى بعمرها تحديداً ، أو على وجه الدقة عدم صدقها فى ذلك . أسرعت بالخروج من السيارة وصعدت الدرجات الأمامية قفزاً متقدماً الطفلين .

قالت الجدة بعد أن فتحت الباب الأمامى وانسل الطفلان من جانبى : " أنا هنا مع كايلا . إننا نتجاذب أطراف الحديث سوياً يا أليكس . لا داعى للقلق ، اهدأ وخذ وقتك " .

سألتها وأنا أسير داخل حجرة المعيشة وأنا أراهما تجلسان على الأريكة وتتجاذبان أطراف الحديث قائلاً : " ومن قال إننى قلق ؟ "

قالت جدتى : " بل أنت كذلك أيها القلق ، لقد رأيت الشاحنة الخاصة بالرعاية الصحية بالخارج ، فما الذى قد يتبادر إلى ذهنك سوى المرض ؟ "

ثم ضحكت هى وكايلا بسعادة ووجدت نفسى أبتسم واعترضت بوهن قائلاً : " لم يحدث ذلك مطلقاً " .

قالت الجدة وهى مستمرة فى ضحكها : " لماذا إذن اندفعت مسرعاً إلى هنا كما لو أن النار أمسكت بسروالك ، آه ، لا عليك يا أليكس " .

ثم أشاحت بيدها كما لو كانت تصفى جو الحجرة من أى أفكار سلبية وقالت : " تعال ، اجلس معنا لبعض الوقت . هل يمكنك تحمل ذلك ؟ أخبرنى بكل شيء . كيف كانت رحلتك إلى سان مايكلز ؟ هل تغيرت القرية كثيراً ؟ "

" أعتقد أن قرية سان مايكلز على حالها لما يقارب المائة عام الماضية " .

قالت الجدة : " وهو شيء طيب ، حمداً لله على ذلك " .

اتجهت نحوهما وصافحت كايلا . لقد ساعدت جدتى عندما كانت مريضة منذ فترة من الوقت وعادة ما تقوم بزيارتها من وقت إلى آخر كنت أعرف كايلا منذ أن نشأنا سوياً فى نفس الجيرة وكنا نعتبرها واحدة من أسرتنا . لكنها ابتعدت عن المكان لفترة حتى تتلقى تعليمها ، ثم عادت لتعطى كل ما بوسعها للمكان الذى ولدت وتربت به . إن مشروع الرعاية الصحية المنزلية يقوم بإرسال الأطباء إلى منازل المرضى فى الجنوب الشرقى . ولقد بدأت كايلا هذا المشروع وأسهمت فى استمراره بكل جد واجتهاد ، بما فى ذلك جمع التبرعات للمشروع بنفسها .

قلت لها بتلقائية : " أنت تبدين بحال طيب " .

قالت لى : " **أجل ، فقد فقدت** بعض الوزن " ، ثم رفعت أحد حاجبيها نحوى وأضافت قائلة : " كل هذا بسبب الجرى المتصل الذى أقوم به . وأنا أحاول الاحتفاظ بوزنى طوال الوقت ، لكننى أفقده رغماً عنى ، اللعنة ! "

لاحظت ما تقول . إن كايلا تقترب من مائة وثمانين سنتيمتراً فى الطول ، لكنى لم أرها مطلقاً بهذه الرشاقة والجاذبية ، حتى عندما كانت طفلة . كانت تتمتع بوجه جميل وشخصية لا تقل عنه حالاً .

قالت لى : " كما أن هذا بمثابة نموذج يحتذى بين الجيران . فالعديد من الناس هنا ذوو وزن زائد ، والكثير يعانون من البدانة المفرطة ، حتى الأطفال منهم . وهم يعتقدون أن هذا شيء وراثى مترسخ فى جيناتهم " .

قلت لها ملاطفاً : " حسناً ، أنت تبدين جميلة المظهر فى نظرى طيلة الوقت " .

نظرت كايلا إلى جدتى وقالت : " إنه يكذب بسهولة تامة ، إنه يجيد ذلك حقاً " . ثم ضحكا سوياً .

ثم قالت لى : " وعموماً ، شكراً على المجاملة يا أليكس . وسأقبلها على هذا النحو . حيث إننى أعتبر ذلك تلطفاً زائداً منك ، آه ، أنت تعلم ما أعنى " .

قلت وقد قررت تغيير الموضوع : " إن جدتى بخير ، وسوف تعيش حتى تبلغ من العمر المائة " .

قالت كايلا : " أعتقد ذلك " .

لكن الجدة قطبت جبينها وقالت : " لِمَ ترغبان فى الخلاص منى بهذه السرعة ؟ ما الذى فعلته لأستحق هذا ؟ "

ضحكت وقلت : " ربما يكون السبب هو أنك دائماً ما تزعجيننى . أنت تعلمين هذا ، أليس كذلك ؟ "

قالت جدتى : " بالطبع أنا أعلم هذا . وهذه هى مهمتى فى الحياة . إن سبب وجودى فى هذه الحياة هو أن أعذبك ، ألا تعلم هذا ؟ "

وبينما كانت تقول تلك الكلمات ، كنت أشعر . بأننى عدت لمنزلى بالفعل ، فى بيتى حقاً ، بعيداً عن الحروب . بعد هذا اصطحبت جدتى وكايلا إلى الشرفة .

وفى حوالى الحادية عشرة قمت بمرافقة كايلا إلى شاحنتها فى الخارج وتوقفنا فى الشرفة الخارجية وتحدثنا قليلاً .

قلت لها : " أشكرك لمجيئك لزيارتها والاطمئنان عليها " .

قالت كايلا : " لا داعى للشكر ، لقد فعلت هذا لأننى أحب هذا العمل . فأنا أحب جدتك ، بصورة كبيرة . وهى لى بمثابة المرشد الروحى والمعلم ، لطالما نظرت إليها هكذا لسنوات " .

ثم مالت نحوى وقبلتنى قبلة سريعة على خدى ، ثم ابتعدت وهى تضحك وتقول : " لقد أردت فعل هذا منذ وقت طويل " .

سألتها والدهشة تتملكنى مما حدث : " وبعد ؟ "

" ها قد فعلت ما كنت أرغب فيه يا أليكس . شيء لطيف " .

" لطيف ؟ "

" لابد أن أرحل الآن . علىّ الإسراع بالذهاب " .

ثم جرت نحو الشاحنة وهى تضحك .

شيء لطيف .

الفصل ٩٢

بعد أن أمضيت فترة الراحة التى كنت بحاجة إليها عاودت الذهاب إلى العمل لأجد أننى مازلت مكلفاً بنفس قضية الإرهاب وابتزاز الأموال ذاتها ، والتى على الأرجح أضيف إليها مهمة مطاردة وتعقب المسئول ، أياً كان من بحوزته المال الآن . ولقد أخبرونى أنه تم اختيارى لهذه المهمة لأننى عديم الشفقة بالمجرمين أمثال هؤلاء .

وبصورة ما كنت سعيداً أن الأمر لم ينته بعد . وكان لدىّ اتصال مع العديد من الأشخاص المرتبطين بالقضية : مثل مارتن لودج فى انجلترا ، وساندى جرينبرج فى البوليس الدولى ، وإتييان مارتو فى باريس ، وكذلك رجال الشرطة والمخابرات فى بروكسل وفرانكفورت . وكان لدى الجميع أدلة محتملة ، لكن لم يكن أيها يقود إلى شيء مهم ، ولو إلى حد بسيط .

إن وولف ، أو أى تنظيم إرهابى أو حتى أى إرهابى معتوه آخر حر طليق وبحوزته ملياران من الدولارات . وبالإضافة لهذا ، فقد تم تدمير مجموعة من المبانى السكنية فى باريس . فضلاً عن إطلاق سراح مجموعة

من السجناء السياسيين . لابد أن هناك خطأ ما ، وسيلة ما تمكننا من إيجادهم ، أو على أضعف الإيمان معرفة شخصياتهم .

وفي ثاني أيام عودتي جاءني أنا ومحللة المعلومات موني دونيللي اتصالاً كان من الأهمية بما يكفي لكي يجعلني أهرع متجهاً نحو ليكنجتون بولاية فيرجينيا ، ووصلت إلى مبنى مكون من طابقين يقع في إحدى الطرق الخلفية والمسمى ريد هوك لسن ، وأمام المبنى وجدت سيارة فورد ديرانجو متوقفة ، ومن إحدى حظائر تربية الخيول القريبة ارتفع صوت صهيل الخيول .

ثم قابلني جو كاهيل عند باب المنزل . كان العميل السابق للمخابرات المركزية الأمريكية مبتسماً ، وتذكرت رؤيته في أحد الاجتماعات التي عقدناها بخصوص وولف . لقد أخبرني جو على الهاتف أنه كان متلهفاً لمساعدتنا بقدر الإمكان في تحقيقاتنا . وبعد أن دعاني للدخول جلسنا وتناولنا القهوة وقطعاً من كعكة اشتراها من أحد المتاجر . وكانت الحجرة تطل على المراعي ، وبحيرة وجبال بلو ريدج البعيدة .

قال جو : " أعتقد أنه بإمكانك القول بأنني أفتقد العودة للعمل . كل ما يمكن للمرء فعله هنا هو الصيد وصيد الأسماك . أنت تقوم باصطياد الأسماك يا أليكس ، أليس كذلك ؟ "

قلت له : " لقد اصطحبت طفليّ بضع مرات لصيد الأسماك . وأنا أمارس الصيد حالياً ، وأتمنى أن أصطاد وولف . وأنا بحاجة لمساعدتك يا جو . حيث إنني بحاجة للرجوع لبعض الأشياء القديمة ، فلقد طرأ شيء ما " .

الفصل ٩٣

"**حسناً ، أنت تريد الحديث عنه ثانية** . كيف أخرجنا وولف من روسيا ؟ ما الذى حدث عندما وصل إلى الولايات المتحدة ؟ كيف اختفى بعد ذلك ؟ إنها قصة حزينة ، لكنها معروفة للجميع بالفعل وموثقة رسمياً يا أليكس . لقد كاد هذا الأمر يقضي على مستقبلي " .

" أنا لا أدرى يا جو كيف يُعقل ألا يعرف أحد شخصيته ، أو هيئته ، أو حتى اسمه الحقيقى . هذا هو ما أعرفه عن تلك القصة طوال عام كامل ، ولكن كيف يعقل هذا ؟ كيف يعقل أن نتعاون مع البريطانيين لإخراج أحد رجال المخابرات الروسية من روسيا ونحن لا نعرف حتى من هو . لقد حدث شيء خطير في باريس ـ لكن لا أحد يعلم تحديداً ماهيته . كيف يمكن ذلك ؟ ما الذى يفوتنى تحديداً ؟ ما الذى فات على الجميع حتى الآن ؟ "

فرد جو كاهيل راحتى يديه الضخمتين ورفعهما وقال : " اسمع ، بكل تأكيد الحقيقة الكاملة لا توجد عندى كذلك . كل ما أعرفه هو أنه

كان يعمل متخفياً عندما كان داخل روسيا . ومن المفترض أنه كان عميلاً شاباً على درجة عالية من الحرص ، وهو ما يعنى أنه لا يزال فى أوائل الأربعينيات من عمره . لكننى أيضاً قرأت بعض التقارير التى تشير إلى أنه فى الخمسينات والستينيات من العمر الآن . وأنه كان أحد العملاء الكبار فى المخابرات الروسية عندها تم تجنيده . كما سمعت أيضاً أن وولف امرأة . وأعتقد أنه يقوم بنشر تلك الشائعات بنفسه . أنا شبه موقن من ذلك " .

" ولقد أصبحت أنت يا جو وشريكك العميلين المسئولين عنه بمجرد وصوله إلى الولايات المتحدة " .

" لقد كان رئيسنا هو توماس وير ، والذى لم يكن حينها مديراً لوكالة المخابرات المركزية بعد . وفى الواقع كان فريقنا يتضمن ثلاثة أشخاص آخرين وهم : مادوك ويوكن وجراينبر ، ربما يجدر بك أن تتحدث معهم كذلك " .

ثم نهض كاهيل من مقعده وقام بفتح الأبواب الزجاجية المفضية إلى باحة كبيرة . وانسابت نسمة لطيفة من الهواء البارد فى جنبات الحجرة .

ثم أكمل حديثه قائلاً : " أنا لم أقابله يا أليكس . ولم يقابله شريكى كوركى هانكوك مطلقاً . كما لم يقابله أى من أعضاء الفريق الآخرين جاى وسام وكلارك . كان الأمر مخططاً بهذه الصورة فى البداية . لقد كان هذا الاتفاق الذى عقدناه معه قبل أن يخرج من روسيا . ولقد ساعدنا وولف فى التفوق على جهاز المخابرات الروسى السابق العتيد الملقب بـ : كى . جى . بى ، كما أمدنا بأسماء عملاء هناك ، وهنا فى الولايات المتحدة . لكن لم يره أحد . صدقنى ، لقد قام بتسليم الأسماء والمعلومات التى ساعدت فى النهاية على الإطاحة بإمبراطورية الشر " .

أومأت برأسى وقلت : " أجل ، إنه رجل يحفظ وعوده . لكنه الآن حر طليق ، وقام بإنشاء شبكته الإجرامية الخاصة ـ بل وأكثر من هذا " .

أخذ كاهيل قضمة من كعكته ثم واصل حديثه بفم ممتلئ قائلاً : " من الواضح أن هذا هو ما فعله تماماً . بالطبع لم تكن لدينا أدنى فكرة أن هذا هو ما سيئول إليه الحال . كما لم يعلم البريطانيون شيئاً . ربما كان توماس وير على علم بالأمر ، لا أعلم " .

كنت بحاجة لبعض الهواء ، لذا قمت من مجلسى واتجهت صوب الأبواب المفتوحة . وشاهدت أشجار البلوط الضخمة . واستدرت لمواجهة جو كاهيل .

" حسناً ، إذن فأنت لا تستطيع مساعدتى بأى معلومات بخصوص وولف ، ما الذى يمكنك مساعدتى به يا جو ؟ "

قطب كاهيل جبينه وبدا عليه الارتباك وقال : " أنا آسف يا أليكس ، ليس بإمكانى مساعدتك بالكثير . أنا مثل الحصان العجوز الآن ، لا أصلح لفعل الكثير . إن الكعكة ذات مذاق طيب ، أليس كذلك ؟ "

هززت رأسى وقلت : " كلا يا جو ، ثق بى ، إن الكعك الذى تشتريه من المتاجر ليس له طعم طيب " .

عبس وجه كاهيل للحظة ، ثم ابتسم ، على الرغم من أن عينيه لم تبد عليهما ذلك وقال : " أعتقد أنك تريد الحديث بصراحة إذن . ما الذى جاء بك إلى هنا بحق الجحيم ؟ ما الأمر ؟ مجرد الحديث مع العم جو . ما الذى يحدث ؟ لا أدرى ماذا تريد تحديداً ، ولِمَ تتلاعب معى هكذا ؟ "

خطوت داخل الحجرة وقلت : " آه ، الأمر كله متعلق بـ " وولف " يا جو . وأعتقد أنكما أنت وشريكك القديم يمكنكما مساعدتنا كثيراً ـ حتى ولو لم تقابلوه بصورة شخصية ، وهو ما أشك فيه بشدة " .

لوح كاهيل بيديه فى إحباط وقال : " اسمع يا أليكس ، إن ما تقوله يشوبه الجنون . ولدىّ شعور بأننا ندور فى دائرة مفرغة . ولقد كبرت ووهنت بدرجة لا تسمح لى بتحمل هذا " .

" حسناً ، لقد كان الأسبوعان السابقان صعبين للغاية على الجميع . والجنون يسود العالم ، وأنت لا تدرى حتى بنصف ما يحدث " ، كنت قد سئمت من هراء " العم " جو كاهيل ، ومددت يدى وأخرجت له صورة ليراها .

ثم قلت له : " انظر جيداً ، هذه هى المرأة التى قتلت المدير وير فى مبنى مكتب المباحث الفيدرالية " .

هز كاهيل رأسه وقال : " حسناً ، وماذا بعد ؟ "

" إن اسمها هو نيكى ويليامز ، وقد خدمت مسبقاً فى الجيش ، كما عملت فى قوات المرتزقة لبعض الوقت . وهى قناصة ـ قناصة ماهرة . ولقد قامت بالعديد من أعمال القتل بمهارة . أعلم أنك ستقول يا جو " وماذا بعد ؟ "

" أجل ، وماذا بعد ؟ "

فى وقت مضى ، كانت تلك المرأة تعمل معك أنت وشريكك هانكوك . لقد أطلعتنا وكالة المخابرات على ملفك يا جو . هناك عصر جديد من التعاون . وإليك المفاجأة ـ أعتقد أنك أنت من استأجرتها لقتل وير " .

" ربما تكون قد نفذت هذا عن طريق جيفرى شافير ، لكنك أنت المتورط بالأمر . وأعتقد أنك تعمل لحساب وولف . ربما كان الأمر كذلك منذ البداية ـ ربما كان هذا جزءاً من التخطيط كذلك " .

قام جو كاهيل وتحدث بغضب وفتات الكعكة يتناثر من فمه وهو يقول : " أنت مجنون . وأنت مخطئ كذلك ! وأعتقد أنه من الأفضل أن ترحل الآن . أنا آسف بشدة لأننى أدخلتك إلى منزلى . لقد انتهى حديثنا " .

قلت له : " كلا يا جو ، فى الواقع ، لقد بدأ لتوه " .

الفصل ٩٤

قمت بإجراء اتصال بهاتفى الخلوى وبعد دقائق كان المكان يعج بالعملاء القادمين من لانجلى وكوانتيكو وقاموا بالقبض على جو كاهيل ، حيث قاموا بتكبيل يديه بالأغلال واصطحبوه إلى خارج منزله الهادئ اللطيف الواقع فى الريف .

لدينا خيط جديد نتتبعه الآن ، خيط جيد .

تم نقل جو كاهيل إلى أحد المنازل الآمنة التابعة لوكالة المخابرات المركزية الذى يقع على ضفاف نهر أليجانى . كان المنطقة والمنزل نفسه لهما مظهر عادى : فقد كان المنزل مكوناً من طابقين ومحاطاً بكرمات العنب وأشجار الفواكه وكانت نباتات الوستريا (الحلوة) تغطى المدخل . لكن هذا المنزل لن يكون آمناً بالنسبة للعم جو .

كان العميل السابق مقيداً ومكمماً ، ثم ألقى به فى حجرة صغيرة لعدة ساعات . حتى يتاح له الفرصة ليتفكر فى مستقبله ـ وما فيه .

ثم وصل الطبيب التابع لوكالة المخابرات : وكان رجلاً طويلاً بديناً ضخم الجثة ، وبدا كما لو كان فى أواخر الثلاثينيات من عمره . وكان اسمه جاى أو كونيل . ولقد أخبرنا عن عقار تجريبى جديد يستخدم لحمل المستجوبين على التحدث بالحقيقة ، ولقد تمت الموافقة على استخدامه على كاهيل . ولقد شرح أو كونيل أن مشتقات هذا العقار يتم استخدامها حالياً على الإرهابيين والمحتجزين فى سجون عديدة .

قال لنا : " هذا العقار مشتق من حامض البيرترويك ، وهو مشابه لمصل الحقيقة القديم المصنوع من أميتال الصوديوم . وسيشعر السجين بعد الحقن به وكأنه ثمل وبأن حواسه مشوشة . وبعد ذلك لن يصبح قادراً على أن يدافع عن نفسه ضد أى سؤال يوجه إليه . نأمل فى ذلك على الأقل . وقد يتصرف السجين بصورة مختلفة . سنرى ما سيحدث مع هذا الرجل . وعموماً إنه كبير فى السن إلى حدٍ ما وأنا واثق من أننا سننال منه " .

سألت أو كونيل قائلاً : " وما أسوأ شىء قد يحدث ؟ "

" أن يصاب بأزمة قلبية ، اللعنة ، إنها مجرد مزحة . حسناً ، ليس هناك خطر على ما أعتقد " .

وفى الصباح الباكر تم - اقتياد جو كاهيل من حجرته الصغيرة التى كان محتجزاً بها ونقل إلى زنزانة بدون أى نوافذ . وقد تم فك العصابة من على عينيه والأخرى التى تكمم فمه ، لكن قيوده كانت كما هى محيطة بمعصميه ، وأجلسناه على أحد المقاعد منتصب الظهر .

طرف كاهيل بعينيه بضع مرات قبل أن يدرك أين يوجد أو يلمح الأشخاص الموجودين معه فى الحجرة كذلك .

قال لنا : " أساليب الاستجواب . لن تفلح البتة معى . هذا شىء غبى حقاً ، هراء ، محض هراء " .

قال أو كونيل : " نعم ، نحن نوافقك الرأى " ثم استدار لأحد العملاء ويدعى لارى لا دوف وقال له : " شمر أكمامه على أى حال . ها نحن ذا . ستشعر بوخزة بسيطة ثم لسعة . بعد ذلك ستلقى على أسماعنا كل ما نريد معرفته وأكثر " .

الفصل ٩٥

وعلى مدار الساعات الثلاث والنصف التالية واصل كاهيل التحدث بصعوبة وتلعثم وكأنه رجل ثمل إلى أقصى حد .

قال العم جو وهو يلوح تجاهنا بإشارات بذيئة : " أنا أعلم ما تحاولون فعله " .

قال عميل المخابرات المركزية لادوف : " نحن نعلم ما تفعل أيضاً ، وما فعلت كذلك " .

" أنا لم أفعل شيئاً . أنا برىء حتى تثبت إدانتى . وإذا ما كنتم تعلمون كل هذا القدر ، فلِمَ الحديث معى إذن ؟ "

سألته قائلاً : " أين وولف يا جو ؟ فى أى دولة ؟ أعطنا أى معلومات " .

قال كاهيل : " لا أعلم " ، ثم ضحك كما لو أنه قال شيئاً مضحكاً وأضاف : " طوال هذه السنوات وأنا لا أعلم ، لا أعلم " .

قلت له : " لكنك قابلته ؟ "

" لم أره قط . ولا حتى مرة واحدة . ولا حتى فى البداية . لطالما كان شديد الذكاء والمهارة والحذر . لا تنطلى عليه حيلة مطلقاً . ربما يكون رجال البوليس الدولى قد رأوه أثناء نقله ، وربما رآه كذلك توماس وير ، وربما رآه البريطانيون ، فلقد مكث عندهم لفترة قبل أن يأتى إلينا " . وكنا قد تأكدنا مسبقاً من البريطانيين لكن لم يكن لديهم أى معلومات مهمة تخص عملية النقل . ولا أى معلومة عن الخطأ الذى حدث فى باريس " .

سألت كاهيل : " منذ متى وأن تعمل معه ؟ "

نظر على السقف قبل أن يجيب قائلاً : " تعنى أعمل لحسابه "

" أجل ، منذ متى ؟ "

" منذ وقت بعيد . منذ بداية اللعبة كلها ، يا إلهى ، منذ وقت بعيد . " ثم بدأ يضحك ثانية وقال : " ولقد فعل ذلك العديد منا ، من رجال المخابرات المركزية ، ومكتب التحقيقات الفيدرالية وغيرها ، أو هكذا يقول . وأنا أصدقه " .

قلت له : " ولقد أعطاك الأمر بقتل توماس وير ، لقد أخبرتنا بهذا بالفعل " .

قال : " حسناً ، إذا كنت قد قلت هذا ، فهو صحيح . أنا أوافقك على كل ما تقول " .

أكملت حديثى قائلاً : " ولِمَ أراد أن يتخلص من توماس وير ؟ لماذا وير بالتحديد ؟ ما الذى حدث بينهما ؟ "

" لا فائدة مما تقول . كل منا له مهمة محددة يؤديها إنه لا يطلع أحداً على الخطة كلها . لكن هناك بالفعل شيء بينه وبين وير ، ثأر قديم " .

" وعلى أية حال ، لم يتصل هو بى مطلقاً . بل كان يتصل بشريكى ، دائماً كان يتصل بـ " هانكوك " . إنه هو من أخرج وولف من روسيا ، مع كوركى والألمان والبريطانيين . لقد قلت لك هذا ، أليس كذلك ؟ "

ثم غمز بعينه وأضاف : " إن تأثير مصل الحقيقة هذا جيد حقاً . عليكم بتجربته يا أولاد . " ثم التفت ناحية أو كونيل وقال : " وأنت أيضاً يا د. مينجل ، اشرب المصل اللعين ، وسوف تشعر بالحرية وأنت تقول الحقيقة " .

الفصل ٩٦

هل استطعنا الحصول على الحقيقة كاملة من جو كاهيل ؟ هل هناك معنى لما كان يهزى به من أثر العقار ؟

كوركى هانكوك ؟ الألمان ، البريطانيون ؟ توماس وير ؟

بكل تأكيد يوجد من لديه أى معلومات عن وولف . عن مكانه ، هويته الحقيقية ، وما ينتوى فعله مستقبلاً .

وهكذا انطلقت مجدداً محاولاً تتبع أثر وولف . كان شريك جو كاهيل قد انتقل للعيش بالقرب من جبال روكى بوسط أيداهو بعد تقاعده المبكر . وكان يعيش فى ضواحى مدينة هايلى فى منطقة تسمى وود ريفر فالى على بعد حوالى اثنى عشر ميلاً من هان فالى ، وهى ليست بالحياة السيئة بجاسوس سابق .

وبينما كنا نتجه بسيارتنا من المطار إلى مدينة هايلى مررنا بما أطلق عليه سائقنا اسم " الصحراء البرية " فقد كان هانكوك مثل جو كاهيل يعشق الجرى وصيد الأسماك على ما يبدو . وكانت محمية سيلفر كريك ،

وهى مكان رائع يصطاد به الناس السمك ثم يطلقون سراحه بعد ذلك ، على مقربة من هنا .

قال لنا العميل المسئول وهو شاب صغير يدعى نيد راست : " لن نقوم بإلقاء القبض على هانكوك الآن ، بل سنراقبه فقط . وسنحاول معرفة ما ينتوى فعله . إنه الآن فى الجبال يمارس الصيد . وسوف نمر بمنزله وندعكم تلقون نظرة على منزله . وبالمناسبة ، إن هانكوك خبير لا يشق له غبار فى إصابة الأهداف ببندقيته ، وقد خطر لى أنكم ستحبون معرفة ذلك " .

واصلنا القيادة عبر التلال والتى كانت بها منازل فاخرة كبيرة الحجم مقام الواحد منها على ضيعة مساحتها من خمسة إلى عشرة هكتارات من الأرض . وأمام بعض المنازل كان العشب مسوى بعناية فائقة وهو ما بدا غير طبيعى بالتناقض مع التلال الرمادية الشاحبة .

وفى الطريق حدثنا راست ببعض المعلومات الغزيرة التى يملكها عن هذا المكان قائلاً : " لقد وقعت انهيارات صخرية فى المنطقة مؤخراً . وقد ترون بعض الجياد البرية هنا . وربما ترون بروس ويليز ودينزل واشنطون والأطفال كذلك . وعموماً ، ها هو منزل هانكوك أمامنا . وهو مطل على النهر ، وهو من أجمل الأماكن وأكثرها شعبية هنا . أعتقد أنه يتخطى إمكانيات عميل متقاعد ليس له عائلة " .

قلت له : " لقد حصل على بعض المال وقرر إنفاقه على متعته الشخصية بكل تأكيد " .

كان المنزل كبيراً بحق ، ومنمقاً ، ويطل على مناظر غاية فى الروعة من ثلاث جهات . وكانت هناك حظيرة للماشية مساحتها أكبر من مساحة منزلى ، وبالقرب منها كان هناك جوادان يقفان يحدقان إليها . لم يكن هانكوك موجوداً . لقد كان فى الخارج ، فى رحلة صيد .

مثلى تماماً .

ولم يحدث شيء فى هايلى على مدار الأيام القليلة التالية . كان العميل المسئول ويدعى ويليام كوتش يبلغنى بأى تطورات . كما أرسلت وكالة المخابرات أحد عملائها المخضرمين وتدعى بريدجيت رونى إلينا . وقد عاد هانكوك من رحلة الصيد وبدأنا نراقب تحركاته كلها . وتم وضع نقاط مراقبة ثابتة عن طريق إحدى الفرق التى جاءت إلينا بالطائرة من كوانتيكو . كما كانت هناك فرق مراقبة متحركة مستعدة لملازمة هانكوك كلما غادر منزله . كنا نأخذ الأمر بمنتهى الجدية . فعلى أى حال ، كان وولف حراً طليقاً ، وبحوزته ما يقارب المليارين من الدولارات . ربحاً صافياً .

لكن ربما أصبحت أمامنا فرصة لتعقبه : عن طريق عميل المخابرات المركزية الذى أخرجه من روسيا . فربما كان لهذا الأمر علاقة بما حدث بين وولف وتوماس وير .

الخطأ الذى حدث فى باريس .

الفصل ٩٧

لم يكن الأمر لينتهي في غضون يوم أو اثنين أو حتى ثلاثة أيام .

وفي يوم الجمعة حصلت على إذن للسماح لي بالذهاب إلى سياتل لزيارة ابني الأصغر . وبالفعل اتصلت بـ " كريستين " والتي قالت إنه لا مانع وأن أليكس الصغير سيكون سعيداً برؤيتي ـ وكذلك هي . ولقد لاحظت أن الحدة التي كانت ملحوظة في صوتها مسبقاً قد اختفت وهي تحادثني هذه الأيام ، بل إنني أحياناً ما أتذكر كيف كانت الأمور تسير بيننا . ولم أكن واثقاً من أن هذا شيء طيب .

وصلت إلى منزلها قبل الظهيرة بوقت قليل وشعرت بالدهشة ثانية لمرأى مدى دفء وسحر المكان . كان كل من المنزل والحديقة يوشيان بلمسات كريستين ، فقد كانا يمتلئان بالدفء والراحة والضوء ، خاصة في وجود السور الأبيض ذي الأوتاد الخشبية والمتماشي مع الدرابزين الملاصق للدرجات الحجرية التي تفضي إلى باب المنزل الأمامي . وقد

ملأت نباتات الروز ماري والزعتر والنعناع الحديقة مشيعة رائحتها في المكان . كان المكان كله آية في الجمال .

فتحت كريستين الباب بنفسها وكانت تحمل أليكس بين ذراعيها . وعلى الرغم من أنني حاولت منع نفسي من ذلك إلا أنني لم أمنع نفسي من التفكير فيما كانت ستئول إليه الأمور لو لم أكن شرطياً مختصاً بجرائم القتل ، ولو لم تكن حياتي كمحقق تداخلت مع حياتي الشخصية بهذا العنف مرة أو اثنتين .

كنت مندهشاً لوجودها بالمنزل ، ولابد أنها لاحظت النظرة المتبدية في عيني .

قالت لي : " لن أقوم بعضك يا أليكس ، أعدك بهذا " . ثم ناولتني الصبي ، وكان هو كل ما أريد التفكير به في هذه اللحظة .

قال لي : " أهلاً يا أبي " ، ثم ضحك بخجل ، وهو دأبه دائماً في بداية لقاءاتنا ، وابتسمت في وجهه . لقد قالت لي إحدى النساء في منطقة واشنطن دي سي إنني " قديس " ، ولا أعتقد أنها تقصد بهذا أن تجاملني . فأنا لست كذلك ، ولست حتى قريباً من ذلك ، لكني تعودت على أن أنظر للأمور من الجانب الطيب ، وأعتقد أنها لا تفعل ذلك .

قلت له معبراً عن دهشتي وكذلك فخري وسعادتي بطفلي : " يا لك من طفل كبير ! كم عمرك ؟ ستة أعوام ؟ ثمانية ؟ اثني عشر عاماً ؟ "

قال لي : " بل أنا في الثانية ، وأقترب من الثالثة " وضحك على مزحتي . إنه دائماً يفهمني ، على الأقل يبدو الأمر كذلك .

قالت كريستين : " لقد كان يتحدث عن رؤيته لك طيلة الصباح يا أليكس . وكان يردد : " أبي قادم اليوم " طيلة الوقت . فلتستمتعا بوقتكما معاً . " ثم قامت بشيء أدهشني للغاية : حيث مالت نحوي وقبلتني قبلة خفيفة على خدي . ولقد دهشت بشدة لهذا . ربما أكون حذراً ، لكني لست عديم الإحساس . ففي البداية قبلتني كايلا ، والآن

كريستين . ربما كان شكلى سيئاً لدرجة تجعلنى أبدو فى حاجة للتعاطف والاهتمام . أجل ، ربما كان هذا هو الأمر .

على أى حال ، قضيت أنا وأليكس وقتاً طيباً معاً . وتصرفت كما لو أن سياتل هى موطنى ، وتماشيت مع هذا التفكير . فى البداية اتجهنا صوب منطقة فيرمونت حيث قمنا بزيارة محقق متقاعد من أصدقائى والذى أعرفه منذ سنوات خلت . كانت فيرمونت مليئة بالمبانى القديمة والعديد من محلات الملابس والأثاث الكلاسيكية . كان المكان ذا شخصية راقية خاصة ، كما لو أن تلك الصفات يمكن إطلاقها على الأماكن ، قد يعتقد العديد من الناس هذا ، لكنى لست متأكداً من ذلك .

وبعد وصولنا إلى هناك تشاركت أنا وأليكس الصغير فى تناول كعكة بالزبد ومربى التوت والتى اشتريناها من مخبز تاتشستون . ثم أكملنا جولتنا وتفحصنا متجر فيرمونت روكيت البالغ طوله خمساً وخمسين قدماً عن قريب والذى كان أحد متاجر المنطقة . بعد ذلك اشتريت لـ " أليكس " طائرة ورقية وذهبنا لنجربها فى منتزه جاز ووركى ، والذى كان يطل على كل من ليك يونيون ومدينة سياتل . إن هذه المدينة بها الكثير من المتنزهات . وتساءلت فى نفسى ما إذا كان باستطاعتى العيش هنا ، وبعدها تساءلت عن سبب تفكيرى فى هذا الأمر من الأساس . هل لمجرد أن كريستين منحتنى قبلة سريعة على خدى ؟ هل أنا فى حاجة ماسة للحب والحنان لهذه الدرجة ؟ شىء مؤسف .

أكملنا جولتنا الاستكشافية وذهبنا إلى حديقة لها أعمال نحت وكذلك إلى فيرمونت ترول ، وهو عمل ضخم من أعمال النحت جعلنى أتذكر منظر المطرب جو كوكر وهو يمسك بسيارة فولكس فاجن الخنفساء فى راحة يده ، وأخيراً ستناولنا غداءنا ، وكانت كل مكوناته طبيعية بالطبع . وكان مكوناً من سلطة خضراوات مشوية بالإضافة إلى زبد الفول

السودانى والجيلى والخبز . لابد للمرء أن يتصرف وكأنه من أهل المدينة كما تعلمون .

قلت بينما نحن نتناول طعامنا : " إن الحياة جميلة للغاية هنا ، أليس كذلك ؟ هذا هو أفضل مكان يا صغيرى " .

أومأ أليكس الصغير موافقاً ، لكنه نظر لى محدقاً بعينيه الواسعتين البريئتين وقال : " متى ستعود إلى المنزل يا أبى ؟ "

يا إلهى ، متى سأعود حقاً ؟ !

الفصل ٩٨

كانت كريستين قد طلبت منى العودة بـ " إليكس " قبل السادسة ، ولقد التزمت بوعدى لها . فأنا إنسان مسئول ، وهذه طبيعتى ، وهو ما يصيبنى بالجنون أحياناً . كانت واقفة فى انتظارنا على الشرفة الأمامية مرتدية رداءً ذا لون أزرق زاهٍ وحذاء له كعب عال ، وتعاملت بكل الهدوء الذى أتوقعه منها . فلقد ابتسمت بدفء عندما رأتنا ، ثم ضمت أليكس إليها عندما جرى نحوها وهو يصيح : " أمى ! "

قالت وهى تربت على رأس صغيرنا : " يبدو أنكما قد حظيتما بوقت طيب . هذا شيء جميل ، كنت أعلم أنكما ستفعلان هذا . إن والدك يجب أن يرحل الآن يا أليكس ، إلى واشنطن دى سى . ويجب أن نذهب أنا وأنت لتناول العشاء مع ثيو " .

ملأت الدموع مقلتيه وهو يعترض قائلاً : " لا أريد أن يرحل والدى " .

" أعلم هذا يا صغيرى ، ولكن لابد أن يذهب والدك إلى عمله . هيا ، عانقه ، وسوف يأتى لزيارتك مجدداً فى القريب " .

قلت وأنا أتساءل فى نفسى عمن يكون ثيو هذا : " بالطبع سأفعل ، سآتى دوماً لرؤيتك " .

جرى أليكس نحوى وألقى بنفسه بين ذراعى . كم أحب قربه منى وشعرت أننى لا أرغب فى الافتراق عنه مطلقاً . كنت أحب رائحته ، لمسته ، الإحساس بنبضات قلبه الغض ، لكننى كذلك لم أكن أريده أن يشعر بآلام الفراق التى تعتمل فى صدرى وتنكأ قلبى .

قلت له : " سأعود سريعاً ، فى أقرب وقت ممكن . لا تكبر بسرعة من وراء ظهرى ! "

همس أليكس قائلاً : " أرجوك لا تذهب يا والدى . أرجوك لا تذهب " .

استمر يردد تلك الكلمات حتى ركبت سيارتى المستأجرة وقدتها بعيداً ، وأنا ألوح لولدى والذى كنت أبتعد عنه أكثر وأكثر حتى اختفى تماماً عندما انعطفت عند أحد المنحنيات . وكنت لا أزال أشعر بجسد أليكس الصغير وهو فى أحضانى ، مازلت أشعر به حتى الآن .

الفصل ٩٩

قبل الثامنة من مساء نفس الليلة بقليل كنت جالساً بداخل مطعم كينجز فيش الواقع بين شارع رقم ١٩ وشارع ميرسير فى سياتل . كانت الأفكار تتصارع فى عقلى ، وكلها عن ابنى الأصغر - بل عن أطفالى كلهم حقاً - وعندئذ دخلت جاميلا إلى المطعم .

كانت ترتدى معطفها الجلدى الأسود الطويل وتنورة سوداء وابتسمت ابتسامة مشرقة عندما رأتنى جالساً هناك ، وربما فرحت لرؤياى كما فرحت أنا لرؤياها ، كان أهم ما يميز جاميلا هو أنها امرأة جميلة ، لكنها تبدو وكأنها تجهل ذلك ، أو حتى تصدقه . كنت قد ذكرت لها أننى قادم إلى سياتل ، فقالت لى إنها ستطير إلى هناك لتناول العشاء معى .

فى البداية لم أكن واثقاً من أن تلك فكرة سديدة ، لكنى كنت مخطئاً . لقد سعدت للغاية لرؤيتها ، خاصة بعد أن تركت أليكس .

قالت لى هامسة : " تبدو بحالة طيبة يا عزيزتى . لكن يبدو عليك الإنهاك ، وأنا واثقة أنك تجهد نفسك إلى أقصى درجة فى العمل " .

قلت لها : " أشعر بتحسن كبير الآن . وعموماً أنت تبدين فى حال طيبة بما يكفينا نحن الاثنين " .

" حقاً ؟ حسناً . أشكرك على هذا القول . صدقنى ، لقد كنت بحاجة لسماعه " .

كان مطعم كينج فيش غير متقيد بالقواعد إلى حد كبير ، فعلى الرغم من عدم وجود حجز مسبق لنا ، إلا أننا جلسنا إلى مائدة لطيفة ، مجاورة للحائط . وبالفعل طلبنا الطعام والشراب ، لكننا لم نأبه لهذا كله ، فقد كان هدفنا هو الجلوس سوياً والتحدث عما يجرى فى حياتنا من أحداث .

قلت لـ " جاميلا " ونحن فى وسط العشاء : " إن موضوع أليكس يشعرنى بتعذيب مستمر . فالأمر يتناقض مع شخصيتى ، ومع كل ما تعلمته من جدتى ، لا أستطيع تحمل تركه هنا والابتعاد عنه " .

قطبت جاميلا جبينها وقالت : " ألا تعامله والدته كما يجب ؟ "

" كلا ، مطلقاً . إن كريستين أم رائعة ، لكن الافتراق عنه هو ما يقتلنى . فأنا أحب هذا الصبى الصغير ، وأفتقده بشدة كلما ابتعدت عنه . فأنا أفتقد لرؤيته وهو يمشى ، ويتحدث ، ويفكر ، ويلقى النكات السخيفة ، ويستمع إلى مزاحى السخيف . نحن أصدقاء بمعنى الكلمة يا جام " .

قالت جاميلا وهى تثبت عينيها فى عينى : " إذن ؟ أنت تجد المهرب والخلاص فى الانغماس فى العمل " .

أومأت برأسى قائلاً : " بالفعل ، هذا صحيح . لكن ذلك أمر مختلف . هيا ، دعينا نخرج من هذا المكان " .

" ما الذى يدور بخلدك يا أليكس ؟ "

" لن أفعل شيئاً سيئاً أيتها المحققة هيوز " .

" همم ، حقاً ؟ يا للعار " .

الفصل ١٠٠

أفضل مكان يكون فيه الإنسان هو بيته . حسناً ، كان لدىّ غرفة بالفعل فى فندق فيرمونت أوليمبيك فى شارع يونيفرستى وتطل على ميدان رانير ، ولم أكن أطيق الانتظار للوصول إليها . أخذت جاميلا تصدر صفيراً يعبر عن الإعجاب والدهشة بينما كنا ندخل إلى البهو المبهر . وأخذت تحدق إلى السقف المزخرف والذى كان يبلغ ارتفاعه ما لا يقل عن أربعين قدماً . وكان الهدوء يعم البهو الفسيح المزين عندما دخلنا بعد العاشرة بقليل .

قالت جاميلا وهى تبتسم وتتحدث بحماس شديد كعادتها :

" ديكورات من عصر النهضة الإيطالى ، وثريات قديمة فاخرة ، تصميمات فاخرة لمكان خمس نجوم ، أنا منبهرة حقاً " .

" لابد للمرء أن يرفه عن نفسه من حين لآخر " .

قالت جاميلا : " هذا هو الترفيه بحق يا أليكس " ، ثم أضافت : " أنا حقاً سعيدة بوجودك هنا ، ووجودى معك أيضاً ، أنا أحب وجودنا معاً كثيراً " .

من هنا بدأت الأمور تسير إلى الأفضل . كانت الحجرة فى الطابق العاشر وكان بها كل ما نحتاجه ، فقد كانت رحبة ، بهيجة ، فاخرة وبها سرير ذو حجم كبير . حتى إنها كانت تطل على منظر رائع على خليج اليوت والذى تبدو فيه جزيرة براينبريدج على بعد ، وكانت إحدى العبارات تغادر الشاطئ . كان المشهد الذى تطل عليه الحجرة من أروع ما يكون ، بل أروع مما كان سيبدو عليه الأمر لو أننى قمت باختيار المنظر بتفاصيله الدقيقة بنفسى .

أما عن ذلك السرير ذى الحجم الكبير فقد كان مغطى بغطاء منقوش ذى لون أخضر وذهبى ، أو ربما كان الغطاء من النسيج المخملى ؟ لا أدرى ، لطالما كنت عاجزاً عن التأكد . وجلسنا على طرف الفراش ونحن نتحدث ونضحك فى سعادة بالغة ، لكوننا سوياً ، وقد أدركنا كم كنا بحاجة لقضاء وقت كهذا مع بعضنا البعض .

بل إنه حتى عندما بدأ الهاتف فى الرنين ، لم آبه لذلك ووضعته على الأرض وغطيته بإحدى الوسائد . حتى لو كان المتحدث هو وولف نفسه ، فبإمكانه الانتظار حتى الصباح .

الفصل ١٠١

فى الصباح التالى عدت أدراجى إلى أيداهو روكيز . وقد استقللت سيارة أجرة أنا وجاميلا حتى المطار ، وهناك ركبنا طائرتين متجهتين اتجاهين مختلفين . وقد قالت لى وهى تودعنى : " ذلك خطأ كبير ، ولذلك يتعين عليك السفر معى إلى سان فرانسيسكو ، فأنت بحاجة لأن تواصل فترة الراحة " ، وكنت أعلم أنها على حق .

لكن لم يكن هذا ممكناً . فقد كان كوركى هانكوك هو أهم خيط لدينا ، وكانت المراقبة الموضوعة عليه تتزايد شدتها بصورة كبيرة . فلم يكن هناك مكان يذهب إليه هانكوك فى ولاية أيداهو دون أن يكون تحت رقابة لصيقة . وقد وُضعت نقاط للمراقبة على منزله ، وعلى المناطق المحيطة ، وحتى على الحظيرة الوحيدة . كما تم وضع أربع فرق رقابة متحركة لمتابعته يدعمها أربع فرق أخرى فى حال ما دعت الحاجة إليها . وبعد أن غادرت تم إضافة المراقبة الجوية إلى كل ما سبق .

وفى أيداهو حضرت اجتماعاً ضم ما يزيد على العشرين من العملاء الموكلين بهذه القضية . وقد تم عقد الاجتماع فى إحدى دور عرض الأفلام فى صان فالى . وقد كان فيلم " توينتى وان جرامز " " ٢١ جراماً " من بطولة شين بين وناعومى واتس ولكن كان يتم عرضه هناك فى الحفلات المسائية ، لكن ليس أثناء النهار .

كان العميل المحنك ويليام كوتش واقفاً أمامنا بقامته المديدة وكان يثير الإعجاب بمظهره وسلوكه ، وكان يرتدى قميصاً قطنياً خفيفاً وسروالاً من الجينز وحذاء أسود ذا رقبة طويلة . كان يلعب دور العليم بالمكان إلى حد ما ، لكنه لم يكن أحمق ، وأراد منا أن نعلم ذلك جيداً . وكان نفس الكلام ينطبق على مثيلته ، عميلة المخابرات المركزية المسئولة بريدجيت رونى ، وهى امرأة واثقة من نفسها ذات شعر أسود وكان ذكاؤها حاداً .

قال كوتش : " سأبسط الأمور لكم جميعاً ، إما أن هانكوك يعلم أننا نراقبه ، وإما أن يكون مريضاً للغاية بطبيعته . فلم يتحدث مع أحد منذ أن جئنا إلى هنا . ولقد استخدم الانترنت عدة مرات ، منها لموقع إى باى لتفقد أحدث أدوات صيد الأسماك ، كما دخل على بضعة مواقع إباحية ، بالإضافة إلى موقع عن دورى البيسبول . وهو لديه صديقة تدعى كورال لى ، والتى تعيش بالقرب من هنا فى كيتشوم ، وهى أمريكية من أصول آسيوية . ومن الواضح أنها فتاة تعرف كيف تجد ما تريد ، على العكس من هانكوك . ولقد قدرنا المبالغ التى قام بإنفاقها عليها خلال هذا العام بحوالى المائتى ألف دولار . سواء على صورة رحلات قاما بها سوياً أو فى صورة حلى ومجوهرات بالإضافة إلى السيارات الرياضية التى تحبها الفتيات .

ثم توقف كوتش ونظر عبر الحجرة ثم قال : " هذا هو كل ما لدينا ، بالإضافة إلى معرفتنا بأن هانكوك متصل بـ " وولف " وأنه تلقى منه مبالغ مالية كبيرة مقابل خدماته . ولهذا وفى تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً

سندخل منزل هانكوك لإلقاء نظرة بأنفسنا . فلقد سئمنا " وأضاف وهو يلحن الكلمات : " سئمنا من الانتظار " .

ابتسم كل من فى الحجرة ، حتى هؤلاء الذين لم يسمعوا تلك الأغنية التى بها نفس المقطع . وربت أحدهم على كتفى ، كما لو أننى كنت أحد المسئولين عن اتخاذ القرار الذى بلا جدال جاء من واشنطن .

استدرت لأحادث العميل الذى هنأنى وقلت وأنا أهز كتفى : " ليس أنا ، أنا مجرد جندى " .

كان الفريق الذى يعتزم دخول منزل هانكوك مكوناً فى أغلبه من رجال المباحث الفيدرالية ، لكن كان هناك بعض عملاء المخابرات المركزية ، بقيادة رونى . إن وجود رجال المخابرات هنا فى أيداهو يشبه ما نطلق عليه المجاملة المهنية ، ويرجع هذا إلى العلاقة الجديدة التى تربط بين الكيانين ، لكن السبب الأكبر كان يرجع إلى أن هانكوك كان مسئولاً بصورة مباشرة عن مقتل توماس وير " أحد أهم رجالهم . لكن لا أعتقد أن هناك من يتمنى الإمساك بـ " هانكوك " وحمله على الاعتراف مثلى . فلقد كنت أريد وولف ، وفى يوم ما ، وبطريقة أو بأخرى سأمسك به . على الأقل ، هذا هو ما أعتقد أننى كنت بحاجة للتفكير فيه .

الفصل ١٠٢

كان كل من كوتش ورونى فى موقع المسئولية ، وأخيراً أعطيا لنا إشارة البدء . وفى الساعة المحددة اقتحمنا جميعاً منزل هانكوك . وملأ رجال المباحث الفيدرالية بقمصانهم التى تحمل الحروف FBI وستراتهم القصيرة المكان . لدرجة أنهم أصابوا بعض الغزلان والأرانب البرية بالفزع ، على الرغم من عدم إطلاق أى أعيرة نارية .

كان هانكوك فى الفراش مع صديقته . كان يبلغ من العمر أربعة وستين عاماً ، أما كورال فكان من المفترض أن عمرها ستة وعشرون عاماً ، وكانت ذات شعر أسود كثيف وقوام ممشوق ترتدى العديد من الخواتم والحلى الأخرى .

بدأ هانكوك فى الصراخ فينا ، وهو ما بدا لنا شيئاً مضحكاً مثيراً للسخرية : " ما هذا بحق الجحيم ؟ اخرجوا من منزلى عليكم اللعنة ! "

لكنه نسى أن يرسم تعبير الدهشة على وجهه ، أو ربما كان ممثلاً فاشلاً . وعلى أى حال خالجنى شعور أنه كان يعلم بمقدمنا ، لكن

كيف ؟ هل لأنه لاحظ رجال المراقبة خلال الأيام الماضية ؟ أم أن شخصاً فى أحد الجهازين . قام بتحذير هانكوك ؟ هل يعلم وولف أننا نتعقب هانكوك ؟

خلال الساعات الأولى من استجوابه ، جربنا استخدام مصل الحقيقة الخاص بالدكتور أو كونيل ، لكنه لم يكن فعالاً مع هانكوك كما كان مع جو كاهيل . فبالرغم من أنه دخل فى نفس حالة انعدام الاتزان ، إلا أنه لم يضف لنا الكثير . بل إنه حتى لم يؤكد لنا صحة المعلومات التى اعترف بها كاهيل .

وفى نفس الوقت كانت عملية تفتيش المنزل والحظيرة والستين هكتاراً المحيطة تتم على قدم وساق . ولم يظهر حتى الآن شىء مثير للريبة ، ربما باستثناء اقتناء هانكوك لسيارة رياضية سريعة من طراز أستون مارتين ، وقد كان معروفاً عن وولف ولعه بالسيارات السريعة . واستمر الحال هكذا لثلاثة أيام تالية ، والتى خلالها قام مئات العملاء بتمشيط كل بوصة مربعة فى المزرعة . وفى نفس الوقت كان حوالى ستة من خبراء الكمبيوتر - بعضهم تم الاستعانة بهم من شركتى آى . بى . إم ، وإنتل - يقومون بمحاولة استكشاف كافة المعلومات المخزنة على جهازى الكمبيوتر الخاصين بهانكوك . وفى النهاية استقروا على أنه استعان ببعض الخبراء لتزويد الأجهزة ببرامج أمنية تمنعهم من سبر أغوارها .

وهكذا لم يعد بوسعنا فعل شىء سوى الانتظار حتى ظهور أى شىء جديد . ولقد قمت بقراءة كل جملة وجريدة موجودة فى منزل هانكوك بما فى ذلك إصدارات عديدة لمجلة **إيداهو ماونتين اكسبريس** . وقمت كذلك بعدة جولات سيراً على الأقدام محاولاً التفكير فى مجرى حياتى ومحاولة إيجاد أى منطق فيها . بالطبع لم أنجح فى الوصول لشىء محدد ، لكن هواء الجبال النقى كان مريحاً لرئتى .

بعد ذلك ، وعندما تمكنا من معرفة المعلومات المخزنة على أجهزة الحاسب ، لم يعد هناك الكثير لنفعله . فلم نجد أى صلة مباشرة

بـ " وولف " أو أى فرد نرتاب فى صلته به ، على الأقل كان هذا ما بـدا عند بداية الأمر .

فى اليوم التالى تمكن أحد خبرائنا فى مكتبنا فى أوستين بتكساس مـن إيجاد ملف مخبأ داخل ملف آخر مشفر . وكان يتضمن سجلاً بالتعاملات الدورية مع بعض المصارف فى سويسرا .

وفجأة لم نعد نشك ، بل أصبحنا واثقين من أن هانكوك يملـك الكـثير من الأموال . ما يزيد على الستة ملايين ، على الأقل . وكان هـذا أفضـل خبر تلقيناه منذ وقت طويل .

وهكذا اتجهنا صوب زيـوريخ ، ليـوم أو اثـنين علـى الأقـل . لم أكـن أتوقع بالطبع أن أجد وولف . هناك ، لكن من يدرى ؟ كما أننـى لم أقم بزيارة سويسرا من قبل . ولقد طلبت منى جانى أن أحضر لها الكثير مـن الشيكولاتة ، حقيبة مليئة بهـا ، ووعـدتها بهـذا . حقيبـة كاملـة مليئـة بالشيكولاتة السويسرية يا عزيزتى ، هذا أقل ما أفعله لأعوضك عن غيابى خلال سفرى الطويل .

الفصل ١٠٣

لو أننى كنت فى مكان وولـف ، لكان هذا المكـان مناسـباً لمعيشـتى . فقد كانت زيوريخ مدينة جميلة نظيفـة بصـورة مدهشـة ، وكانـت تطـل علـى بحيرة وتملأ ظلال الأشـجار الوارفـة والأرصـفة العريضـة الملتويـة جوانـب البحيرة إلى جانب هواء الجبل النقى . وعندما وصلت كانت هناك عاصفة على وشك الهبوب وكانت رائحة الهـواء تشـبه رائحـة النحـاس . كانـت الأسطح الخارجية لمعظم المبانى مطلية بألوان خفيفة تتدرج ما بين الأصـفر والأبيض ، وكان العديـد منهـا مزينـاً بـالأعلام السويسـرية والتـى كانـت الرياح القادمة من البحيرة تجعلها ترفرف .

وبينما كنت أشق طريقـى داخـل المدينـة لاحظـت العديـد مـن قضـبان الترام فى كل مكان ، والتى تعلوها الأسـلاك الكهربائيـة الثقيلـة للإمـداد بالطاقة . كما لاحظت العديـد مـن نمـاذج الأبقـار المصـنوعة مـن الأليـاف الزجاجية بالحجم الطبيعى والملونة والمرسوم عليها منـاظر طبيعيـة لجبـال

الألب ، وهو ما ذكرنى باللعبة المفضلة لصغيرى أليكس والتى تدعى مو . ما الذى سأفعله مع أليكس ؟ ما الذى بوسعى أن أفعله ؟

كان مبنى مصرف زيوريخ مصمماً على طراز مبانى الستينيات بواجهته الأمامية المصنوعة من الزجاج والصلب ، وكان يقع بالقرب من البحيرة . وقد قابلتنى ساندى جرينبرج بالخارج ، وكانت ترتدى سترة رمادية وتتدلى من كتفها حقيبة سوداء ، وبدت كما لو أنها تعمل بالمصرف وليس فى البوليس الدولى .

قالت لى وهى تصافحنى : " لم تأت مطلقاً إلى زيوريخ يا أليكس ، أليس كذلك ؟ "

" كلا ، كل علاقتى بسويسرا تنحصر فى المِدْية متعددة الاستخدامات التى اقتنيتها مرة حينما كنت فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمرى " .

" لابد أن تتناول إحدى الوجبات هنا يا أليكس . عدنى بهذا . والآن دعنا ندخل ، فهم بانتظارنا والناس لا تحب الانتظار فى زيوريخ ، خاصة رجال المصارف " .

كان مصرف زيوريخ من الداخل يشى بالثراء ، وكان منمقاً ونظيفاً إلى أقصى حد ، وتزينه الزخارف والألواح الخشبية فى كل مكان ، وكان نظيفاً مثل حجرة الجراحة بالمستشفى . وكانت المنطقة الخاصة بأمناء الصناديق مكسوة جدرانها بالأحجار الطبيعية ، مع المزيد من الألواح الخشبية ، أما عن الأمناء أنفسهم فقد كان مظهرهم يشى بالجدية والاحتراف ، وكانوا يتحدثون إلى بعضهم البعض همساً . كانت أصالة وعراقة المصرف واضحة ، ومع هذا كان هناك العديد من أعمال الفن الحديث على الحوائط ، وأعتقد أننى فهمت . لقد كانت الأعمال هى التى تشى بعراقة المكان .

قالت ساندى دون أن تهمس : " لقد كانت زيوريخ دوماً قِبلة لرواد الفن والثقافة بكل أنواعها . لقد ولد مذهب الدادية الفنى هنا ، كما عاش هنا كل من فاجنر وشتراوس ويونج " .

قلت لها وأنا أغمز بعينى : " كما أن جيمى جويس كتب رائعته أوليس فى زيوريخ " .

ضحكت وقالت : " لقد نسيت أنك رجل مثقف " .

تم اصطحابنا إلى مكتب مدير البنك والذى كان ذا منظر جاد ، منمقاً إلى أقصى حد أيضاً . ولم يكن هناك سوى أوراق أحد التعاملات المالية على دفتر السجلات .

ناولت ساندى السيد ديلمار بوميروى مظروفاً وقالت له : " إنها مذكرة رسمية . رقم الحساب هو Q٦١٦٤٧٩ " .

قال السيد بوميروى لنا : " لقد تم إعداد وتجهيز كل شيء " ، ولم يقل أكثر من ذلك ، ثم اصطحبنا أحد موظفيه لكى نبحث كافة أعمال السحب والإيداع التى تمت على الحساب ذى الرقم المذكور . أعتقد أن بمقدورنا أن نقول على سرية الحسابات السويسرية السلام . لقد تم إعداد وتجهيز كل شيء .

الفصل ١٠٤

كان الأمر كله يبدو كأنه عبارة عن تحقيق شامل منمق من تحقيقات الشرطة ، على الرغم من أننى أعلم أن الأمر ليس كذلك . ولقد قمت أنا وساندى واثنان من معاونيها من البوليس الدولى بتفحص كافة العمليات التى أجريت على حساب كوركى هانكوك وذلك فى غرفة صغيرة بدون نوافذ تقع فى أعماق قبو مصرف زيوريخ . ولقد اتضح أن حساب عميل المخابرات السابق هانكوك نما وازداد من مجرد مائتى ألف دولار لما يربو على الستة ملايين . يا للروعة .

ولقد تم إيداع آخر مبلغ ، وأكبرها والبالغ قيمته الإجمالية ثلاثة ملايين ونصف المليون دولار على أربع دفعات خلال هذا العام .

وكانت هذه المبالغ آتية من حساب شخص آخر يدعى شيكوموروف . ولقد استغرق منا قرابة الساعتين حتى نتفقد كافة السجلات والتى بلغ عدد صفحاتها ما يزيد على المائة صفحة والتى تسجل المعاملات التى

تمت على الحساب منذ عام ١٩٩١ ، وهو نفس العام الذى خرج فيه وولف من روسيا . مصادفة ، لم أعد أومن بالمصادفات . مطلقا .

بعد ذلك تفقدنا معاملات السحب التى تمت على حساب شيكو موروف والتى تضمنت دفع بعض المبالغ لإحدى الشركات التى تقوم بتأجير الطائرات الخاصة ، وكذلك لشراء تذاكر الطيران للشركة البريطانية والفرنسية ، والفنادق : مثل كلاريدج وبيل إير فى لوس أنجلوس ، وشيرى نيزرلاند فى نيويورك ، وفور سيزونز فى شيكاغو وماوى . بالإضافة إلى تحويلات مالية إلى كل من الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا واستراليا وباريس وبروكسل . هل هذا أثر لتحركات وولف ؟

ثم لفت انتباهى أحد التحويلات المهمة ، والذى كان مخصصا لدفع قيمة أربع سيارات رياضية باهظة الثمن فى فرنسا ، كلها تخص إحدى شركات تجارة السيارات فى نيس وتدعى ريفيرا موتورز . والسيارات الأربع من طراز : لوتس ، ونسخة خاصة من جاجوار وسيارتان استون مارتينز .

قلت لـ " ساندى " : " من المعروف عن وولف أنه مولع بالسيارات الرياضية . ربما تعنى هذه السيارات شيئا مهماً . ربما نكون أقرب مما نتصور . ماذا تظنين ؟ . "

أومأت برأسها موافقة وقالت : " أجل ، أعتقد أنه يجدر بنا زيارة ريفيرا موتورز فى نيس . إن مدينة نيس مدينة لطيفة . لكن علينا أولا يا أليكس أن نتناول الغداء فى زيوريخ ، لقد وعدتك بهذا ."

" كلا ، أعتقد أنك جعلتنى أعدك بهذا ، بعد المزحة السيئة الخاصة بالمدينة السويسرية ."

على أى حال كنت أشعر بالجوع ، لذا بدت لى الفكرة طيبة ولقد اختارت ساندى مطعم فالنتين كلير ، وهو أحد مطاعمها المفضلة ، ولقد ظننت أننى سأعجب بهذا الاختيار .

وبعد دخولنا أوضحت لى أن مطعم فالنتين كيلر يعمل منذ عام ١٥٥١ ، وهو وقت طويل للغاية لاستمرار أى نشاط . وهكذا تناسينا أعمال الشرطة والتحقيقات لما يقارب الساعة والنصف . وتناولنا فى الغداء حساء الشعير ، طبق من الخضراوات المشكلة واللحم وبعض العصير . وقد كان كل شيء على أكمل وجه . حيث أغطيه ومناديل المائدة البيضاء المجعدة ، والزهور الموضوعة فى المزهريات المصنوعة فى الفضة والملاحات الصغيرة المصنوعة من الكريستال .

قلت لـ " ساندى " قبل نهاية الوجبة بقليل : " هذه إحدى أفضل أفكارك ، وقت للراحة وسط الأحداث المضطرمة ."

إنهم يطلقون عليها اسم وجبة الغداء ولابد أن نستمتع بها أكثر مما نفعل الآن . وأعتقد أنه ينبغى عليك أن تأتى إلى أوروبا مع صديقتك جاميلا فأنت تكثر من العمل .

" هذا واضح على ملامحى على ما أعتقد ."

كلا ، بل أنت تبدو فى أفضل حال ممكن . فأنت متماسك ، أفضل من دينزل واشنطن فى فيلمه الأخير . فبطريقة أو بأخرى أنت مثابر . لا أعلم كيف بإمكانك هذا ، لكنك كذلك . لكنى أقول لك إنك منهك فى داخلك ، تناول طعامك واسترخ ، ثم سنذهب إلى نيس ونتحقق من أمر تلك السيارات الرياضية . اعتبر الأمر مثل الإجازة ، وربما حتى تتمكن من الإمساك بالمجرم . هيا ، انته من وجبتك يا أليكس . "

قلت لها : " أنت محقة ، كما أن علىّ أن أشترى بعض الشيكولاتة من أجل جانى ، حقيبة كاملة مليئة بها لقد وعدتها بهذا . "

سألتنى ساندى : " ألم تعد أيضا بالإمساك بـ " وولف " ؟ أجل ، لقد وعدت بهذا أيضا . "

الفصل ١٠٥

المحطة التالية كانت فى إحدى شركات تجارة السيارات الفخمة فى نيس ، وشعرت كما لو أننى فى وسط أحد أفلام ألفريد هيتشكوك .

ولقد اتضح أن مالك شركة ريفيرا موتورز ، وصاحب امتياز بيع السيارات الجاجوار واستون مارتينز ولوتس ، يحب التأثيرات الدرامية كذلك ، على الأقل فيما يختص بتصميم المكان . وحتى يتأكد من تحقيق هذا الانطباع ، فقد اصطفت مجموعة كبيرة من السيارات السوداء اللامعة فى حجرة العرض . وكان بالإمكان رؤية السيارات بوضوح من الشارع عبر النوافذ الضخمة . وكانت السيارات السوداء البراقة تلفت الأنظار بتناقضها مع الأرضية البيضاء الصافية .

قالت لى ساندى ونحن نخرج من سيارتنا البيجو المستأجرة ، والتى أوقفناها فى الناحية المقابلة من الشارع : ما رأيك ؟

قلت لها : " أعتقد أننى بحاجة لسيارة جديدة كما أننى أعلم يقينا أن وولف يحب السيارات الرياضية الفارهة . "

دخلنا إلى الشركة ووقفنا أمام مكتب الاستقبال والذى كانت تجلس خلفه موظفة استقبال رائعة الجمال ، ببشرتها المسمرة من أشعة الشمس وبشعرها المعقوص على هيئة ذيل الحصان . وكانت تنظر بتفحص لكلينا : **كلاهما ذو طول يزيد عن الأقدام الست ، من يكون هذين الشخصين ؟**

" قالت ساندى محدثة المرأة بالفرنسية : إننا هنا لمقابلة السيد جارنير " .

فقالت لها : " لابد أن تحددوا ميعاداً لمقابلته يا سيدتى . "

" لقد حددنا ميعادا بالفعل ، نحن نعمل لحساب البوليس الدولى والمباحث الفيدرالية بالترتيب ، والسيد جارنير ينتظرنا على ما أعتقد . فنحن هنا من أجل عمل مهم " .

وبينما كنا نجلس فى الانتظار واصلت تفقد المكان كانت السيارات مصفوفة على شكل صفوف مائلة متوازية تفصل بينها نباتات موضوعة فى آنية كبيرة . وفى ورشة جانبية ملحقة كان عمال السيارات يعملون مرتدين ستراتهم الخضراء وحاملين معداتهم البدائية .

بعد عدة دقائق من الانتظار ظهر مدير شركة السيارات . وكان مرتديا سترة رمادية أنيقة لكنها لم تكن ملفتة ، فقط غالية الثمن ومناسبة لمكانته .

سألنا قائلا : " لقد أتيتما للاستفسار عن سيارتين استون مارتينز وأخرى جاجوار ورابعة لوتس ، أليس كذلك ؟ "

قالت له ساندى : " أجل سيدى ، دعنا نصعد إلى مكتبك ، فلا نريد أن يتأثر عملك إذا ما تحدثنا هنا فى صالة العرض .

ابتسم المدير وقال : صدقينى يا سيدتى ، إن عملنا غير قابل للتأثر بأية صورة من الصور . "

قلت له بالفرنسية : " سنرى هذا . وربما تتضح الأمور بصورة أفضل عندما أقول لك هذا : هذا تحقيق فى جرائم قتل . "

الفصل ١٠٦

وفى الحال أصبح المدير مهذباً ومتعاوناً . وأخبرنا أن الأربع سيارات الفاخرة المعنية قد اشتراها من يدعى م . أجليونبى ، والذى له منزل قريب فى شبه الجزيرة الجميلة المسماة كاب فيرات شرقى نيس . وقد أخبرنا السيد جارنير أنهما على جانب طريق باس كورنيش ، وهو الطريق الساحلى الرئيسى المؤدى إلى موناكو . ومن السهل الوصول إليه للغاية ، كما أنه من السهل تمييز ضيعة أجليونبى هناك .

قالت ساندى ونحن نسرع متجهين نحو كاب فيرات : " علينا الإمساك باللص " ، وكنا قد تأخرنا ساعتين حيث استغرقنا بعض الوقت لطلب بعض القوات المساعدة .

قالت ساندى : " فى الواقع لقد تم تصوير معظم المشاهد الخالدة فى فيلم هيتشكوك هذا هناك " . ثم أشارت نحو طريق ملتو يصعد أعلى المنحدرات الصخرية ، وكان ارتفاعه يعلو ارتفاع الطريق الذى نمر عليه بمائة ياردة على الأقل ، بمعنى أنه كان عالياً جداً ، وخطيراً للغاية .

قلت لها : " بالإضافة لذلك ، فنحن هنا أيضا للإمساك بقاتل يفتك بحياة الآلاف دون أدنى وازع أخلاقى ، وليس مجرد سارق سيارات مثل كارى جرانت فى الفيلم " .

قالت ساندى : " هذا صحيح أيضا . حاول أن تساعدنى على الاحتفاظ بتركيزى على هذا الطريق يا أليكس ، فمن السهل علىّ أن يتشتت انتباهى هنا " لكننى كنت أعلم أن ذهنها حاد متقد طوال الوقت ، ولهذا السبب كنا نتوافق سويا .

• كانت ضيعة أجليونبى تقع فى الجانب الغربى من كاب فيرات فى منطقة فرانش المطلة على البحر حيث كان بمقدورنا أن نلمح العديد من الفيللات والحدائق المختفية خلف الأسوار الحجرية المزخرفة ونحن نركب السيارة على امتداد الطريق دى ١٢٥ ، والمعروف أيضا باسم جادة سيركيولير . وقد كانت تتبعنا حوالى ست سيارات وشاحنات ، وكلها كانت تشاهد نفس المناظر الملفتة للانتباه بلا شك : مثل تلك السيارة الرياضية ذات السقف المتحرك واللون الأزرق اللامع من طراز رولز رويس والتى تقودها شقراء تضع وشاحا ونظارة سوداء وتخرج بها من إحدى الضياع ، أو السياح المستلقون على شرفات فندق جراند أوتيل دو كاب فيرات بنظاراتهم السوداء طلبا لأشعة الشمس ، أو حوض الاستحمام المحفور فى الصخر فى شاطئ بيسين دى سان بيتش .

سألتنى ساندى : " هل تظن أن هذا البحث لا طائل منه يا أليكس ؟ "

" إنه كل ما نفعله حتى الآن ، نضرب ونخطئ ، نصطاد وننقب . لكن يراودنى شعور طيب هذه المرة . لابد أن يسفر عن شىء . لابد أن تكون هناك صلة ما للسيد أجليونبى بالأمر " .

كنت متفائلا . كنا قد وجدنا قدراً كبيراً من المال فى حساب كوركى هانكوك ، وقد تم إيداع معظمه حديثا . لكن ما الذى نعرفه حقا عن وولف ؟ ما الذى يعرفه أى شخص عنه ؟

وهنا شاهدنا الضيعة التى نبحث عنها ـ وتجاوزتها ساندى وقالت : أمسكت بك أيها الوغد أجليونبى ؟ وولف ؟ لِمَ لا ؟

إن من يعيشون بهذه الأماكن متخمون بالمال ، يا إلهى ، ما الذى يكفى هؤلاء الناس ؟

حينما تمتلك ملياراً من الدولارات أو نحو ذلك يا أليكس يصير كل هذا شيئاً عادياً بالنسبة لك . فليس الأمر متعلقاً بمنزل واحد ، بل عدة منازل فى الريفيرا ، ولندن ، وباريس ، وأسبن .

قد يكون هذا صحيحا ، فأنا عن نفسى لم أمتلك يوماً ملياراً من الدولارات فقط ، ولا فيلا فى الريفيرا .

كان المنزل الذى نقصده عبارة عن قصر من الطراز المتوسط أصفر اللون تلوحه أشعة الشمس وبه خطوط بيضاء ، وكانت أعمدة الرواق وأسوار الشرفات تلتمع تحت ضوء الشمس ، بينما أغلق الخدم النوافذ اتقاء لشمس الظهيرة . أو ربما يكون الناس القاطنون بالداخل لا يرغبون فى أن يتم رؤيتهم ؟ وكان مكونا من أربعة طوابق وما يزيد على الثلاثين غرفة ، وكان فسيحاً رحباً مثل قصر فرساى .

لكن الآن كل ما يهمنا هو أن نختلس النظر إلى الداخل . وكما خططنا فقد استقررنا فى فندق صغير على الساحل . وقرر مسئولو الشرطة الفرنسية استخدام الضيعة الملاحقة لضيعة أجليونبى من جهة الجنوب الغربى ، والتى كانت خالية من سكانها حالياً ، ما عدا مجموعة الخدم . وسوف نرتدى ملابس عمال الحدائق وخدم المنزل بدءاً من الغد ولقد استمتعت أنا وساندى للخطة أثناء شرحها خطوة بخطوة . ثم نظرنا لبعضنا البعض وهززنا رأسينا . كلا ليس هذه المرة .

تحدثت قائلا : " سندخل هناك الليلة . سواء بمساعدتكم أو بدونها . "

الفصل ١٠٧

لقى قرارى بالهجوم الفورى تأييداً حماسياً من جانب البوليس الدولى ، بل وحتى من جانب الفرنسيين فى باريس والذين كانوا على اتصال مع واشنطن وكانوا يريدون القبض على وولف بشدة ، تماما كما يريد باقى العالم ، وربما أكثر . وعلى سبيل التغيير ، سارت الأمور بسرعة ذلك المساء . وتقرر أن أكون جزءاً من فريق الهجوم ، وكذلك ساندى .

وقد تم تخطيط عملية الهجوم كما لو أن وولف بنفسه داخل الفيلا . وقد تم وضع سبع فرق من القناصة ، وكل منهم مكون من رجلين ، بحيث يحيطون كافة جوانب الضيعة والتى تم تقسيمها إلى اللون الأبيض (الجانب الشمالى) والأحمر (الشرقى) والأسود (الجنوبى) والأخضر (الغربى) . وقد تمت تغطية كل باب ونافذة ، وتم تحديد عدد الأهداف الخاصة بكل قناص وكانوا جميعاً بالقرب من الضيعة ، فهم بمثابة عيوننا وآذاننا .

وحتى الآن لا يوجد ما يشير إلى أنه تم ملاحظة وجودنا من قبل من بالضيعة .

وبينما كان القناصة يتخذون مواضعهم ، كان الباقى وهم رجال البوليس الدولى والمباحث الفيدرالية وقوات الشرطة والجيش الفرنسى يضعون عدة الحرب ، والمكونة من : سترات قتال سوداء وسترات واقية من الرصاص ومسدسات يدوية وبنادق آلية من طراز إم . بى ٥٠ . وعلى بعد أقل من الميل كانت هناك ثلاث طائرات هليكوبتر مراقبة فى انتظار المشاركة فى الهجوم . كنا فى انتظار إشارة البدء ، لكن بعض المتشائمين كانوا يتوقعون وصول إشارة بإلغاء الهجوم فى آخر لحظة بسبب التعقيدات السياسية أو بسبب وقوع حادث طارئ لم يكن فى الحسبان .

كنت مستلقياً ووجهى على الأرض بجوار ساندى جرينبرج وكنا على بعد أقل من مائة ياردة من المنزل . وبدأ شعور بالإثارة يجتاحنا ، أو على الأقل يجتاحنى أنا ، قد يكون وولف بداخل المنزل ، وربما كان هو نفسه أجليونبى .

كانت بعض الأضواء مضاءة بالداخل ، لكن لم نر أحداً بالقرب من النوافذ حتى منتصف الليل . وكانت الحراسة متوسطة ، مجرد بضعة حراس حول المنزل .

قالت ساندى : الجو ساكن بصورة عجيبة ، لا أعلم إذا ما كان من المفترض أن يريحنى هذا يا أليكس كما أن الحراسة ليس شديدة . "

" الساعة تقارب الثانية صباحاً " .

سألتنى ساندى : " هل أنت مندهش أننا سندخل القصر ؟ "

ابتسمت وقلت : " هل سندخل ؟ كلا ، لست مندهشاً . " تذكرى أن الفرنسيين يريدون الإمساك بـ " وولف " ربما أكثر مما نريد نحن .

وهنا صدرت الإشارة ببدء الهجوم وكنت أنا وساندى جزءاً من موجة الهجوم الثانية . وبالفعل جرينا نحو المنزل بعد موجة الهجوم الأول

بخمس وأربعين ثانية . ولقد دخلنا من الجزء الخلفى ـ **الأسود** . من باب المطبخ تحديداً .

كان أحدهم قد قام بإضاءة المصابيح العليا . وكان أحد حراس القصر ملقى على الأرض ويداه مكبلتان خلف ظهره ، وكان الرخام المصقول فى كل مكان ، كما كانت هناك أربعة مواقد فى منتصف المطبخ ، ولاحظت إناء كبيرة من الزجاج موضوعة على مائدة . ونظرت إلى محتواه فوجدت ما يشبه الأنوف الصغيرة السوداء بداخله .

تين ! هكذا أدركت أخيراً وأنا أبتسم لنفسى .

بعد ذلك هرعت أنا وساندى عبر رواق طويل . لم نسمع صوت أى أعيرة نارية بداخل المنزل حتى الآن لكن كانت هناك أصوات أخرى .

وصلنا إلى حجرة معيشة رسمية والتى كانت مؤثثة بصورة دبلوماسية : فقد كانت الثريات تتدلى فوق رؤوسنا ، والأرضية مصنوعة من الرخام الفاخر المصقول ، وتزين حوائطها بعض لوحات أشهر الفنانين الفرنسيين والهولنديين .

لا وجود لـ " وولف " حتى الآن ، لا أثر له .

قالت ساندى متسائلة : " هل هذه الحجرة للجلوس والمعيشة أم لتوقيع المعاهدات ؟ لِمَ لا يقاتل أحد منهم يا أليكس ؟ ما الذى يجرى ؟ **هل هو هنا ؟** "

صعدنا درجات السلم الملتوية وشاهدنا بعض الجنود الفرنسيين وهم يقتادون بعض الرجال والنساء من غرفاتهم كان معظمهم يرتدى ثياب النوم ، وقد بدت عليهم الدهشة .

لم أر منهم من يمكن أن يكون وولف ، لكن كيف كان يمكننى معرفة شكل وولف بالتحديد ؟ كيف يمكن لأى إنسان هذا ؟

بدأت التحقيقات على الفور فى البهو . **أين وولف ؟ .....أين أجليونبى ؟**

تم تفتيش المنزل بالكامل للمرة الثانية ، ثم لمرة ثالثة .

لم يكن مارسيل أجليونبى بالمنزل ، هذا ما قاله لنا العديد من الضيوف . **إنه فى رحلة عمل إلى نيويورك** . وقد كانت إحدى بناته حاضرة ، وكان هذا الحفل خاصاً بها ، وكان هؤلاء ضيوفها ، وأصدقاءها ، على الرغم من أن بعضهم كان يبدو فى ضعف عمرها .

ولقد أقسمت لنا أن والدها رجل مصرفى محترم . ومن المستحيل أن يكون مجرماً ، ومن المستحيل أن يكون هو وولف .

إذن هل هو من يدير أعمال وولف المصرفية ؟ وإلى أين يقودنا كل هذا ؟

كنت أكره التفكير فى الأمر ولكن ، لم أستطع منع نفسى من الوصول للنتيجة المنطقية : **لقد ربح وولف ثانية .**

الفصل ١٠٨

قمنا بتفتيش المكان مرة أخرى رغم تهديدات الابنة وقمنا بتفكيك المكان قطعة تلو الأخرى .

وعليّ أن أعترف بأن المنزل كان مدهشاً ، فقد كان مليئاً بالتحف الأثرية والفنية . ولقد اعتقدت ساندى أن أجليونبي كان يحاول أن يبني قصر مثل قصر لا فيورنتينا القريب والمعروف بأنه أجمل منزل في العالم كان الرجل يتمتع بحس وذوق فني راق وكان لديه من المال ما يكفي لتحقيق كل ما يرغب به . كانت القطع الأثرية المدهونة باليد من طراز لويس السادس عشر في كل مكان ، كما كانت هناك أثريات معلقة من عصر لويس الخامس عشر وسجاجيد تركية أثرية ومجموعة من الأطر وقطع القماش المزخرف الصينية بالإضافة إلى العديد من اللوحات الكلاسيكية والحديثة على كل حائط تقريباً . كانت هناك أعمال لكل من فراجو نارد وجويا وبيتر برو جهيل . كل هذا يموله وولف ؟ ولم لا ؟ إن لديه ما يزيد على المليارين من الدولارات لينفقها كيف يشاء .

قمنا بتجميع المشتبه بهم في حجرة لعب البلياردو ، و التي كانت تحوى ثلاث موائد للعب وبها العديد من الأرائك الوثيرة مثل حجرة المعيشة . نفس الجو الرسمي . هل يعرف الموجودون هنا شيئاً عن وولف ؟ لم يبد هذا محتملاً لي . بل اعتقد أن مثل هؤلاء الناس لا يعرفون إلا أشخاصاً مثل باريس ونيكي هيلتون .

قال رئيس قوات الشرطة الفرنسية مخاطبا إياهم : " هل يود أحدكم الحديث نيابة عن الباقين ؟ "

لم يتطوع أحد ، ولم يجب أحد عن سؤاله . إما أنهم لم يكونوا يعلمون شيئا ، أو أنه تم إخبارهم بعدم الحديث .

قال المسئول محذراً : " حسنا فلنقم بالتحدث إليهم كل على حدة . وسوف نبدأ التحقيق الآن . وسوف يتكلم أحدهم لا محالة . "

وبما أنه لم يتم توجيه الدعوة لي للمشاركة في التحقيق فقد بدأت أتجول في المكان وقمت بالمشي حتى مياه البحر . هل تم إلقاء ذلك الخيط المضلل في طريقنا كي نتبعه ؟ لقد ظل وولف يلاعبنا بخططه المحكمة وخططه المضادة القاسية منذ البداية ، فلم يتوقف الآن ؟

وبجوار حافة المياه كان هناك مرآب كبير الحجم للقوارب . وكان يقع على بعد حوالي مائة ياردة من القصر الرئيسي . لكن ما هذا ؟ لقد قام أحدهم بتحويله إلى مرآب يحوى أكثر من ثلاثين من السيارات الرياضية والسيارات العائلية الفخمة . ربما يكون هذا شيئاً هاماً . قد يكون دليلاً على أن وولف قد استخدم هذه الضيعة . أم تراه مجرد خيط مضلل آخر ؟

كنت واقفاً بالقرب من ذلك المرآب والمياه وفجأة انفتحت أبواب الجحيم .

الفصل ١٠٩

كان لا يعرف شيئاً سوى الجزء المنوط به من المهمة ، المهمة الرهيبة . لكن كان ذلك يكفى . كان بارى نافيس يعلم أنه سوف تتم الإغارة على الضيعة الموجودة فى فيل فرانش سور ميروا وأنه فى خلال الساعة القادمة سيموت العديد من الناس جراء ذلك ، بما فى ذلك أحد أصدقائه وإحدى الفتيات اللاتى يعرفهن ، وكانت تعمل عارضة أزياء فى هامبورج ، وكانت جميلة حقا .

كانت قوات الجيش والشرطة الفرنسيين قد استولوا بالفعل على القصر . والآن حان دور بارى ليبدأ العمل ، ولينفذ مهمته . لم يكن يعلم السبب وراء ما سيحدث ، فقط يعلم أنه سوف يحدث .

وبينما كان ينحرف إلى الطريق دى ١٢٥ خطر له أن الوقت قد فات . لكن كان لديه أوامره . هناك شخص ما كان يعلم يقينا أن هذا سوف يحدث .

إن وولف كان يعلم أن كل هذا سيحدث ، أليس كذلك ؟ إن له عيوناً فى كل مكان ! يا له من وغد مرعب .

كان هذا كل ما يعلمه بارى - وكل ما يهمه الآن . لقد تلقى مبلغاً كبيراً من المال مقدماً لأداء هذه المهمة ، وكان هذا كافياً ، حتى لو لم يكن يفهم سبب قيامه بتلك المهمة ومهما بدت له بغيضة . فما الداعى وراء قتل وجرح وتشويه كل هذا العدد من البشر ؟

منذ ما يقرب من نصف ساعة خلت ، تلقى إشارة لاسلكية من المنزل الرئيسى ، ولقد أيقظه صوت الرسالة من نومه العميق فى حجرة الفندق .

لقد هب من فراشه فزعاً ، متضايقاً ثم أسرع نحو المكان المحدد سلفا فى إحدى الضياع فى الشمال . ولقد حاول جاهدا ألا يفكر فى أصدقائه وحبيبته الموجودين بالمنزل ربما تستطيع النجاة بصورة أو بأخرى .

لا يهم . لا يمكنه أن يُغضب وولف بسبب فتاة . كان بارى يجرى بين الأشجار وكان يحمل على كتفه إحدى القاذفات المحمولة المستخدمة فى الدفاع الجوى ، وكانت ذات حجم كبير . كانت القاذفة تبلغ فى طولها حوالى الخمس أقدام وتزن ما يزيد قليلا على الخمسة وثلاثين رطلا . ومع هذا كانت تتمتع بثبات وتوازن عاليين ومزودة بزناد يشبه ذلك الخاص بالبنادق مما يسمح بإمساكها بإحكام . وكانت القاذفة تطلق قذائف من نوع ستينجر أف . آى . أم - ٩٢ - أيه ، وكان هناك زميلان آخران له وسط الأشجار بجواره . وكل منهم كان له مهمته الخاصة به ، الجزء الخاص به .

كان هناك ثلاثة من القتلة المحترفين يعملون فى نفس اللحظة ربما كان الثلاثة يتشاركون فى نفس الشعور الذى يشعر هو به .

لقد وقعت قوات الشرطة فى شرك .

كل من بالمنزل وقع فى شرك مميت ، بما فى ذلك قوات الشرطة . يا لها من فوضى .

وعندما اتخذ موقعه النهائى ، على بعد حوالى ألف وخمسمائة قدم من المنزل الرئيسى ، أحكم بارى وضع القاذفة على كتفه . ثم وضع يده اليمنى على مقبض الزناد وأحكم توجيه القاذفة بيساره . كان يمسك بالقاذفة مثل البندقية التقليدية ، على الرغم من أنها أبعد ما يكون عن شىء تقليدى .

ومن خلال المنظار حصل على صورة واضحة لهدفه . لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يخطئ إصابة المنزل . بعد ذلك انتظر وصول الأمر النهائى الذى سيصله عبر سماعات الأذن .

يا إلهى ، لم يكن يحب ما سيفعل ! وتراءت فى مخيلته صورة فتاة هامبورج ، جيرى ، هذا هو اسمها .

كم كانت جميلة . وجلس منتظراً وصول الإشارة وفى قرارة نفسه كان يتمنى ألا تصل . من أجل جيرى ، ومن أجل كل من بالداخل .

لكن ها هى الإشارة ! الإشارة الالكترونية . جافة وقاتمة مثل جنازة شخص غريب . ودوت صفارتها الرفيعة فى أذنيه .

صفارتان قصيرتان ، ثم أخرى طويلة .

أخذ نفساً عميقاً ، ثم أخرجه ببطء . ثم ضغط الزناد بأصابع مترددة .

وشعر بارى بارتداد خفيف ، أخف من ذلك الخاص بالبندقية .

اشتعل محرك الإطلاق الموجود بالقاذفة ملقياً إياها لمسافة تصل إلى عشرين إلى ثلاثين قدماً ، وعندئذ بدأ نظام الدفع الثانى فى العمل .

تتبعت عيناه آثار الدخان الذى يخلفه العادم المنطلق من القذيفة .

كانت القذيفة ستينجر فى طريقها نحو هدفها . وترامى لسمعه أزيز خفيف بينما كانت القذيفة تتسارع لتصل سرعتها إلى ألف وخمسمائة ميل فى الساعة

فلتكونى فى أمان يا جيرى .

وارتطمت القذيفة بجانب الضيعة ضربة شبه مثالية وفى هذا الوقت . كان يعيد حشو القاذفة بقذيفة أخرى .

الفصل ١١٠

كانت أصوات الانفجارات العنيفة القاتلة تملأ المكان ، وسادت الفوضى المكان ، وساد الموت أيضا .

كان جنود الجيش والشرطة الفرنسيين يجرون فى كل مكان طلباً للحماية . لقد أصيب الجانب الشمالى من القصر بقذيفة أو صاروخ مما تسبب فى تطاير قطع الطوب والخشب فى الهواء . بعد ذلك ارتطمت قذيفة أخرى . تبعتها ثالثة بعدها بثوان .

شرعت فى العدو نحو المنزل الرئيسى ، لكن عندئذ فوجئت بشىء لم يكن فى الحسبان .

حيث انفتح أحد الأبواب الجانبية لمرآب السفن واندفعت منه سيارة مرسيدس متجهة نحو الطريق الرئيسى . هرعت نحو إحدى سيارات الشرطة الواقفة على العشب وانطلقت بها مطارداً السيارة الأخرى .

لم يكن الوقت كافياً لإخبار أى إنسان بما أفعل ، ولا حتى ساندى . وتساءلت فى نفسى عن مدى استطاعة سيارة الشرطة أن تجارى مثل هذه

السيارة المرسيدس القوية . من المحتمل ألا تبلى فى ذلك بلاءً حسناً ، بل من المرجح ألا نفعل .

استمررت فى ملاحقة المرسيدس القوية طراز س . ال ٥٥ حتى خرجنا من كاب فيرات ووصلنا إلى طريق بامى على الكورنيش الساحلى . وقد كدت أقتل نفسى من جراء السرعة العالية ، وكدت أقتل غيرى من المارة كذلك بسبب الطريق كثير المنحنيات ، لكن واصلت تعقب ذلك الذى يقود السيارة أمامى .

من يكون بداخل تلك السيارة ؟ لم يحاول ذلك الشخص الهرب ؟ هل من الممكن أن يكون ذلك وولف ؟

كان المرور فى اتجاه موناكو ثقيلا ، لكن كان يتحرك بانسياب . ولقد أنبأتنى الأضواء الآتية من إحدى عربات القطار البادية أمامى من بعيد أن أحد السائقين المساكين قد ارتطم بسيارته بأحد جوانب الطريق المنحنى . وأعطانى ذلك بصيصاً من الأمل ، حيث أبطأ المرور الآن من حركة السيارة المرسيدس بنز . لكن فجأة انحرفت السيارة المرسيدس ناحية الغرب .

كانت السيارة الرياضية تتحرك بسرعة فائقة متجاوزة صفوفاً لا نهائية من لوحات الإعلانات والمطاعم المتراصة على جانب الطريق ، وكذلك فعلت سيارتى المثل .

وبعد أن انعطفت متبعا أحد المنحنيات ، ظهر أمامى المنظر الكامل لخليج فيل فرانش سور مير بكل جماله وروعته ، وكان القمر بازغا بقرصه المستدير باعثا بضوئه الفضى فى أرجاء المكان . كانت المدينة موجودة أعلى الخليج ، والذى كان ممتلئاً بمراكب الإبحار واليخوت ، كما لو كان حوض استحمام طفل غنى ملىء بالألعاب الطافية . أسرعت المرسيدس هابطة أحد التلال المنحدرة ، بسرعة تصل إلى مائة ميل فى الساعة . وأتذكر أننى قرأت مسبقاً أن تلك السيارة تصل قوة محركها إلى ما يقرب إلى الخمسمائة حصان ، وبدا هذا واضحاً فيما أراه أمامى .

بعد هذا دخلنا مرفأ مدينة نيس القديم ، وبدأت فى تقليل الفجوة بينى وبين السيارة المرسيدس ، وكانت الشوارع الضيقة مزدحمة بصورة غير متوقعة ، خاصة قرب الحانات والمطاعم والنوادى ، وفى كل مكان تقريبا ، حمداً لله .

تفادت السيارة المرسيدس مجموعة من الشباب الخارجين من مطعم أتويل فيلانت بالكاد .

وبعد ذلك تبعتها مطلقا نفير سيارتى ، وأفسح لى المارة الطريق وهم يصيحون استنكاراً ويشيحون لى بأيديهم .

بعد ذلك انحنت المرسيدس بصورة حادة نحو طريق إن ٧٠ أو هوين كورنيش ، وهو طريق أعلى .

تبعت السيارة محاولا الاقتراب منها بأقصى طاقتى ، بيد أننى كنت أدرك أنى سأفقد أثرها الآن . أفقد أثر من بالتحديد ؟ من هذا الذى يقود المرسيدس الزرقاء ؟

كان الطريق الصاعد إلى أعلى منحدراً بشدة وذا منحنيات كثيرة . كنا متجهين صوب موناكو ، لكم كان المرور خفيفاً فى هذا الاتجاه . وكانت سرعة السيارة المرسيدس تتزايد بصورة كبيرة . وكان السائق يسرع بالسيارة بشدة بصورة لا تستطيع سيارة الشرطة التى أقودها أن تجاريها .

بعد حوالى كيلو مترين غدوت واثقا من أننى سأفقد أثره . كنا قد عدنا إلى منطقة فيل فرانش ، لكن فى الجزء العلوى من المدينة . وكان مشهد كل من كاب فيرات وبوليو أخاذاً ، ولم أستطع أن أمنع نفسى من النظر ، وحتى مع مثل هذه السرعة كان المنظر يتمثل أمامى كلوحة جميلة .

لم يكن بوسعى أن أتركه يفلت ، لذا زدت من سرعة سيارة الشرطة مقتربا بها من المائة ميل فى الساعة . إلى متى سيمكننى مواصلة المطاردة ؟

بعد ذلك عبرنا أحد الأنفاق ، وأحاطتنا الظلمة الخفيفة ثم الظلمة الحالكة وفى نهاية النفق انكشف أمامى المشهد الرائع لقرية تنتمى للعصور الوسطى على أحد التلال العالية .

وكانت اللافتة تشير إلى أن اسمها (إيزى)

وبعد عبورنا القرية مباشرة ازداد الطريق وعورة وخطورة . وبدا وكأن طريق موين كورنيش ملاصقا لجانب المنحدر الصخرى . وفى الأسفل التمعت أضواء البحر وبدت وكأنها تتحول من اللون الأزرق السماوى إلى اللون المائل للاخضرار .

كان باستطاعتى أن أشم رائحة الليمون والبرتقال تملأ الهواء . كانت حواسى متقدة ، يمكن للخوف أن يسبب هذا .

إلا أننى كنت أفقد أثر المرسيدس ، لذا فعلت الشئ الوحيد الذى بوسعى ، وبدلا من أن أهدئ سرعة سيارتى فى المنعطف التالى ، زدت من سرعة السيارة .

الفصل ١١١

بدأت ألحق بالسيارة المرسيدس ، وواصلت الضغط على دواسة البنزين بأقصى قوتى . وتساءلت فى نفسى ما إذا كان ما أقوم به عملاً انتحارياً ؟

وفجأة بدأت السيارة المرسيدس تنزلق على الطريق تجاه الحارة المقابلة ، ثم ارتطمت بجانب الجبل ارتطامة خفيفة ، لكن مع هذه السرعة كانت ارتطامة قاتلة . بعد هذا بدأت تتخبط على الطريق بين الحارتين .

وبعدها انحرفت تماما عن الطريق ، وطارت فى الهواء .

طارت السيارة فى الهواء ، وهوت ناحية البحر .

أوقفت سيارتى بجانب الطريق وخرجت منها فشاهدت السيارة المرسيدس وهى ترتطم بجانب المنحدر مرتين ثم تدحرجت وانقلبت حتى وصلت إلى الطريق الموجود بالأسفل . لم يكن بوسعى النزول من مكانى هذا . كان من المستحيل تماما أن أتسلق المنحدر نزولا .

لم ألمح أى حركة بين الحطام . أيا كان الشخص الموجود بين الحطام ، لابد أنه قد مات ، لكن من هو ؟

عدت ثانية إلى سيارة الشرطة التى سطوت عليها فى الضيعة واستغرق الأمر قرابة العشر دقائق حتى أنزل إلى الطريق السفلى حيث حطام السيارة . كانت قوات الشرطة والإسعاف الفرنسيين قد وصلوا بالفعل ، كما كان هناك العديد من المتفرجين .

وعندما خرجت من السيارة . لاحظت أنه لم يتم إخراج السائق من بين الحطام . وكان رجال الإنقاذ ملتفين حول السيارة وكان بادياً أنهم يعملون بجنون . وكانوا يتحدثون إلى السائق ، لكن من هو ؟ صاح أحدهم قائلاً : " إنه لا يزال حياً ، رجل واحد ! إنه حى " .

بدأت فى الجرى صوب الحطام لألقى نظرة على السائق ، من هو ؟ هل باستطاعته الحديث معى ؟ ثم نظرت إلى أعلى نحو مولين وتعجبت كيف استطاع السائق أن يحيا رغم السقوط من هذا الارتفاع الهائل ، من المفترض أن وولف رجل قوى ، لكن هل إلى هذا الحد ؟

أظهرت هويتى لرجال الشرطة وبالتالى سمحوا لى بالاقتراب من الحطام .

وعندئذ تمكنت من رؤيته . وعلمت على الفور هوية الشخص الحبيس وسط الحطام ، إلا أننى لم أكن أصدق ، لم أكن أصدق ما رأته عيناى .

كان قلبى يدق بصورة عالية ، وتتسارع دقاته بما يفوق الحد . كما كان عقلى ، أو ما تبقى منه ، يعمل بسرعة . اقتربت من السيارة المحطمة المقلوبة ، ثم رجعت بركبتى على الأرض وانحنيت للأمام .

قلت : " إنه أنا ، أليكس "

نظر سائق السيارة إلىّ محاولاً التركيز . كان جسده محشوراً وسط حطام السيارة المرسيدس ، وقد سحقت الأجزاء المعدنية جسده تماماً فيما أسفل كتفيه . ياله من منظر بشع .

لكن كان مارتن لودج حياً ، ويحاول التماسك وبدا وكأنه يرغب فى قول شىء ما ، لذا اقتربت منه وقلت ثانية : " إنه أنا ، أليكس " وقربت أذنى من فمه .

كنت بحاجة لمعرفة هوية وولف . كان لدىّ من الأسئلة الكثير .

همس مارتن قائلاً : " ليس هناك طائل من وراء ذلك . لقد ضاع بحثك سدى ، أنا لست وولف . كما أننى لم أره قط "

ثم مات أمام عينى ، مخيباً آمالى وآمال كل من يرغب فى معرفة الحقيقة .

الفصل ١١٢

تم نقل عائلة لودج ووضعها فى الحجز الوقائي في إنجلترا . فقد شعرنا جميعا أنه لو أن وولف قد شك في أن مارتن قد أخبر زوجته أو أطفاله بأي شيء بخصوص الجرائم فسوف يستهدفهم ويقتلهم ، فقط ليشعر بالأمان أو لمجرد رغبته في قتل شخص آخر ذلك اليوم .

فى صبيحة اليوم التالي ذهبت إلي لندن وتقابلت مع قيادات الشرطة فى سكوتلانديارد خاصة الرئيس المباشر لـ " مارتن لودج " وهو رجل يدعي جون هورتينسون وأول شيء قاله لي هو أنه لا يوجد من بين من نجوا فى كاب فيرات من يعلم شيئا عن وولف أو حتي عن هوية مارتن لودج .

ثم قال لي : " لقد حدث تطور جديد ، تغير فى الأحداث " .

استرخيت فى المقعد الجلدى الوثير ناظرا إلى قصر باكينجهام وقلت : " فى هذا الوقت لا أعتقد أن هناك شيئاً يدهشنى يا جون ، أخبرني بما يجرى ، هل الأمر متعلق بعائلة لودج ؟ "

أومأ برأسه ثم تنهد وقال : " فلنبدأ بالحديث عن كلارا لودج أو كلارا سيرنوهوسكا في الواقع ، لنبدأ بها ، لقد علمنا أن مارتن كان واحداً من أعضاء الفريق الذي قام بإخراج المدعو " ادوارد موروزوف من روسيا في عام ثلاثة وتسعين ولقد كان مارتن يعمل مع رجال المخابرات الأمريكية مع كل من كاهيل وهانكو وكذلك توماس وير لكن في حقيقة الأمر لم يكن هناك من يدعي ادوارد موروزوف ، لقد كان هذا الشخص أحد المنشقين غير المعروف هويتهم علي جهاز المخابرات الروسية ، ولا نعلم حتي باسمه ونحن نعتقد أن هذا الشخص هو وولف "

" لقد بدأت حديثك بالحديث عن زوجة مارتن ، ماذا عنها ؟ "

" إنها ليست تشيكية ، لقد جاءت من روسيا مع ذلك المدعو موروزوف . وقد عملت كمساعدة لأحد كبار رجال المخابرات الروسية ، ومثلت لنا مصدراً مهماً للمعلومات فى موسكو . ومن الواضح أنه قد نمت مشاعر ألفة بينها وبين مارتن لودج . وبعد هذا تم نقلها إلى إنجلترا ، ثم غيرت هويتها وتم التخلص من سجلاتها ثم تزوجها مارتن . ما رأيك فى هذا ؟ "

" وهى تعلم هوية وولف ، وتعلم شكله ؟ أهذا ما تعنى ؟ "

" نحن لا نعلم تحديداً ما تعلمه كلارا . فهى ترفض الحديث معنا . لكنها قد تتكلم معك أنت " .

استندت بظهرى وهززت رأسى وأنا أقول : " لِمَ أنا ؟ إننى لم أقابلها إلا مرة واحدة " .

هز هورتينسون كتفيه ثم ابتسم ابتسامة فاترة وقال : " إنها تقول إن زوجها كان يثق بك ، هل تصدق هذا ؟ ما الذى يعنيه هذا بحق الجحيم ؟ كيف تثق بك بينما لم تقابلك سوى مرة واحدة ؟ "

لسوء الحظ ، لم تكن لدىّ أى فكرة .

الفصل ١١٣

كان من تبقوا من أسرة لودج موضوعين تحت حماية شديدة فى بلدة صغيرة تدعى شيبتون ماليت ، والتى كانت تقع على بعد حوالى مائة وعشرين ميلا غربى لندن . وكان يحيط بها العديد من الوديان والحقول الخضراء ، وكانت تمثل مكاناً رائعاً للاختباء المؤقت على الأقل .

كانت العائلة تقطن أحد المنازل الواقعة على طريق مسدود خارج المدينة حيث كانت الأرض مستوية هناك ، وبالإمكان رؤية أى شىء يقترب من مسافة أميال . بالإضافة إلى هذا ، كان المكان جيد التسليح للغاية .

وصلت هناك فى حوالى السادسة مساءً حيث كان الجو داخل المنزل مريحاً ، وكان المنزل مليئاً بالأثاث الأثرى الجميل ، وقد تناولت العشاء مع العائلة فى غرفة حصينة تحت الأرض .

لم تقم كلارا بطهو الطعام كما فعلت مسبقاً فى لندن ، وتساءلت ما إذا كان هذا تم برضاها ، لكنى كنت أشك . فلقد كان الطعام مريعاً ، أسوأ

من الطعام الذى نتناوله على متن الطائرات . وقلت لها محاولا المزاح : " لا يوجد ميتشانا فيكا على قائمة الطعام مع الأسف ."

قالت كلارا : " أنت مازلت تذكر ذلك الإفطار الذى تناولناه فى باترس ، أنت قوى الملاحظة . لقد كان مارتن يقول عنك إنك عميل كفء " .

وبعد انتهاء الوجبة اتجه الأطفال ـ هانا ودانيلا و جوزيف ـ إلى غرفتهم لأداء فروضهم المنزلية . وجلست كلارا معى وهى تدخن إحدى سجائرها وكانت تأخذ منها أنفاسا عميقة

قلت لها : " فروض منزلية ؟ هنا ؟ الليلة ؟ "

قالت : " من الطيب أن يلتزم الأطفال بالنظام وبعاداتهم . أعتقد هذا ، إذن فقد كنت مع مارتن ؟ عندما مات ؟ ماذا قال لك ؟ أخبرنى أرجوك . "

تفكرت جيداً فى إجابتى . ما الذى أرادت كلارا سماعه ؟ وما الذى ينبغى علىّ أن أقوله لها ؟

" لقد قال لى إنه ليس وولف . هل هذا صحيح يا كلارا ؟"

" ماذا أيضا ؟ ماذا قال لك أيضا ؟ "

خطر ببالى أن أقول لها إنه تحدث عنها وعن الأطفال لكنى لم أفعل . لم أرغب فى أن أكذب عليها . لم أكن لأقدر على الأرجح . فقلت لها : " كلا يا كلارا : هذا هو كل ما قاله . لم يكن هناك وقت كاف ، مجرد بضع ثوان . إنه لم يعانى كثيرا . ولم يبد لى أنه يعانى آلاماً مبرحة . أعتقد أنه كان فى حالة صدمة . "

أومأت قائلة : " لقد كان مارتن يعتقد أنه بإمكانى الوثوق بك . لقد قال إنه خطؤك . لم يكن ليقول شيئاً عاطفياً ، حتى وهو يموت . "

حدقت فى عينى كلارا العميقتين البنيتين واللتين بدا عليهما اليقظة بصورة مفاجئة .

سألتها قائلا : " ما هو شعورك حيال هذا الأمر ؟ "

ضحكت ثم قالت : " هذا هو سبب حبى له . "

كان لديها الكثير لتخبرنى به تلك الليلة فى الريف الإنجليزى . وبدأت المفاوضات بيننا ، أو على الأحرى كان علىّ الاستماع لمطالبها .

" أريد منكم أن تؤمنوا لى الخروج من إنجلترا أنا والأطفال بصورة آمنة . هويات جديدة ، وبعض المدخرات لننفق منها . وسوف أخبركم بالمكان الذى أرغب العيش فيه ، لكن ليس الآن . سيأتى وقت هذا لاحقاً . "

قلت لها مازحاً : " براغ ؟ "

" كلا يا أليكس ، ليس براغ ، وبالتأكيد ليس فى روسيا ، أو حتى فى الولايات المتحدة . سوف أخبركم بالمكان ، لكن عندما يحين وقت ذلك . لكن أولا ، دعنا نتحدث عما سأعطيه لكم فى مقابل خروجى بأمان من إنجلترا . "

قلت لها : " الأمر سهل . سيكون عليك أن تمنحينا الكثير . لابد أن تفصحى لنا عن هوية وولف . " لكن هل هذا بمقدورك يا كلارا ؟ ما الذى تعرفينه ؟ من هو ؟ أين هو ؟ ما الذى أخبرك به مارتن ؟ "

ابتسمت أخيرا وقالت : " آه ، لقد أخبرنى بكل شىء . لقد كان مارتن يحبنى لدرجة الجنون . "

الفصل ١١٤

قاد وولف طائرته الخاصة إلى مطار تيتير بورو الواقع فى شمال نيو جيرسى ، وكانت فى انتظاره سيارة رانج روفر سوداء ، وانطلق صوب مدينة نيويورك ، المدينة التى لا يشعر تجاهها إلا بالاحتقار . كان المرور مزدحماً كالعادة ، واستغرقت قيادة السيارة من المطار وحتى مانهاتن نفس الوقت الذى كان سيستغرقه فى الطيران من العاصمة وحتى نيوهامبشاير .

كانت عيادة الطبيب تقع فى مبنى من الحجر الأسمر يقع فى الشارع الثالث والستين ، المتفرع من الشارع الخامس . وأوقف وولف سيارته أمام المبنى وأسرع بالدخول .

كانت الساعة تتخطى التاسعة صباحاً بقليل . ولم يجشم نفسه مشقة التأكد مما إذا كان أحد يتبعه أم لا . فلم يكن يعتقد هذا ، ولكن حتى لو كان أحد يتبعه فعلا ، لكان وقت الحذر قد فات ، بالإضافة لذلك ، كان يشعر بأن الأمر على ما يرام هذا الصباح ، وكالمعتاد ، كانت هناك خطة لكل شىء .

كانت المرضة المناوبة فى عيادة جراحات التجميل تقوم بمهمة موظفة الاستقبال وستكون هى والطبيبة الشهيرة وحدهما فقط الحاضرتين أثناء الجراحة . لقد أصر على أن يتكون فريق العمل من اثنتين فقط ، وأن تغلق العيادة أبوابها أمام باقى المرضى اليوم .

قالت له المرضة بابتسامة متحفظة : " هناك بعض الأوراق التى تستلزم منك أن تقوم بتوقيعها وقراءتها جيداً . كانت على الأغلب لا تعرف من يكون ، لكنها خمنت أنه لابد من وجود سبب وجيه يستدعى كل هذه السرية ،ناهيك عن أنها تلقت مبلغاً مجزياً للقيام بهذه المناوبة . "

قال لها : " كلا ، لن أقوم بالتوقيع على أية أوراق ، أشكرك ، ثم تخطاها ودخل للقاء د . ليفين . ووجدها واقفة فى غرفة عمليات صغيرة والتى كانت بالفعل مضاءة جيداً وباردة للغاية .

قال لها : " يذكرنى هذا الجو بجو سيبيريا . بإحدى الزنازين التى قضيت بها بعض الوقت فى الشتاء . "

استدارت الطبيبة نحوه ، وكانت جذابة ذات قوام رشيق ، وكانت فى بداية الأربعينيات من عمرها .

قال لها : " د . ليفين " ثم صافحها وأضاف : أنا مستعد الآن ، ولا أريد أن أقضى هنا أكثر من بضع ساعات ، لذا دعينا نبدأ الآن . "

قالت د . ليفين معترضة : " لكن هذا ليس ممكناً . "

رفع وولف يده ليسكتها وبدا كما لو كان سيضربها بيده ، وأجفلت الطبيبة خائفة .

" لن أكون بحاجة للتخدير . وكما قلت لك ، أنا جاهز الآن ."

" سيدى ، لا أعتقد أنك تتخيل معنى ما تقول . أؤكد لك هذا . إن الجراحة التى ستخضع لها تتضمن عمليات تجميل لك من الوجه والرقبة والحاجبين . بالإضافة إلى شفط الدهون وتغيير شكل كل من الفك والخدين . فضلا عن تجميل الأنف . لن يكون الألم محتملا . صدقنى . "

قال وولف : " بل سيكون محتملا ، لقد عانيت من آلام أقصى بكثير . ولن أسمح لك سوى بقياس مؤشرات الحيوية الأساسية ، ولن نتحدث ثانية فى موضوع التخدير هذا . والآن عليك أن تبدئى بتجهيزى لإجراء العملية ، وإلا " .

قالت د . ليفين : " وإلا ماذا ؟ " وأجفلت الطبيبة متراجعة بظهرها .

أجابها وولف : " فقط وإلا ، وهذا يعنى أشياء كثيرة ، ألا توافقينى ؟ فهو يعنى مثلا معاناتك لآلام تفوق أسوأ ما قد يخطر ببالك . هل ستتحملين هذا ؟ هل يستطيع طفلاك مارتين وآمى تحمل مثل هذا الألم ؟ أم هل يستطيع زوجك جيرولد ذلك ؟ دعينا نبدأ . إن لدىّ مواعيد أخرى ملتزماً بها . "

دائما توجد مواعيد .

وخطط .

الفصل ١١٥

لم يصرخ قط ، ولم يصدر عنه أى صوت أثناء أى من مراحل الجراحة المؤلمة ، ولم تستطع الطبيبة أو الممرضة فهم ما كانتا تشاهدانه . لقد بدا وكأن المريض فاقد القدرة على الإحساس تماماً وكما هو معتاد مع الرجال ، فقد نزف كمية كبيرة من الدماء خلال العملية الجراحية وغطت وجهه العديد من الندوب والقرح القرمزية اللون ، كان الألم الذى تحمله أثناء الساعة ونصف الساعة التى استغرقتها عملية تجميل الأنف هو الأسوأ على الإطلاق ، خاصة عندما تمت إزالة أجزاء كبيرة من العظام والغضاريف دون أى تخدير ، حتى ولو كان تخديراً موضعياً .

وفى نهاية عملية تجميل الأنف ، وهى الجزء الأخير من عمليات اليوم ، أخبرته د . ليفين ألا يقف ولكنه وقف من فوره .

كانت رقبته مشدودة الآن وكان مطهر البيتادين يغطى فروة رأسه وجلده ، ثم قال : " ليس سيئاً ، لقد كنت أتوقع الأسوأ " .

قالت الطبيبة بإصرار وهى تحاول الحفاظ على كبريائها وتحكمها فى الأمور : " عليك **ألا** تتمخط لمدة أسبوع على الأقل . "

هنا أسرع وولف بمد يده فى جيوب بنطاله مخرجا منديله ، لكنه أرجعه مكانه وقال : " لقد كنت أمزح معك " ثم قطب جبينه وأضاف : " ألا تتمتعين بروح الدعابة يا طبيبتى ؟ "

قالت الطبيبة : " كما أنه لا يمكنك القيادة ، لن أسمح لك بهذا لمصلحة الآخرين " .

" كلا ، بالطبع لا يمكننى أبداً تعريض حياة الآخرين لأى خطر . سأترك سيارتى هنا فى الشارع لكى تتم سرقتها . دعينى أعطك مالك ، لقد أصبحت أشعر بالملل من وجودى معك هنا . "

وهنا مشى لإحضار حقيبته ، ومشى ببطء ثم نظر لنفسه فى المرآة ، وشاهد وجهه المنتفخ المتورم المليء بالجروح ، أو على الأحرى ما ظهر من وراء الأربطة .

ضحك وقال : " لقد أديت عملاً طيباً " .

ثم فتح حقيبته مخرجاً منه مسدس البيريتا المزود بكاتم الصوت . ثم أطلق الرصاص على الممرضة المندهشة مصيبها فى وجهها مرتين ، ثم استدار مواجها د . ليفين ، والتى آلمته كثيرا .

سألها قائلا : " هل هناك شيء آخر ينبغى على أن أفعله أو لا أفعله ؟ هل هناك أى نصائح أخرى تودين إسداءها لى ؟ "

قالت الطبيبة فى توسل : " أطفالى ، أرجوك لا تقتلنى . أنت تعلم أنه لدىّ أطفال . "

" سيكونان أفضل حالا بدونك . أعتقد هذا أيتها الساقطة . وأعتقد أنهما سيوافقانى على هذا . "

ثم أطلق الرصاص على قلبها ، قتل رحيم هكذا فكر فى نفسه ، خاصة بعد الطريقة التى عذبته بها بالإضافة لهذا ، فإنه لم يكن معجبا بتلك الساقطة ثقيلة الظل .

وفى النهاية غادر وولف العيادة ومشى باتجاه سيارته الرانج روفر . وكان يفكر كيف أن لا أحد يعرف شكله الآن . لا يعلمه أى إنسان فى أى مكان .

وجعله هذا التفكير يضحك ، دون سيطرة . كان هذا هو الجزء الخاص به من اللغز أو من لعبة البازل .

الفصل ١١٦

" ها هو ذا . لابد أن هذا هو من نريد " .

" إنه يضحك ! ما الأمر المثير للضحك ؟ انظر إليه ، هل تصدق هذا ؟ "

قال نيد ماهونى عندما رأى الرجل المغطى بالضمادات يخرج من المبنى ذى الحجر الأسمر مرتدياً معطفه الرمادى : يبدو وكأن رأسه قد سلخ ، وأيضاً يبدو أنه سلخ جلد وجهه . إنه يبدو مثل الغول تماماً " .

قلت مذكراً نيد : " لا تستهن به . ولا تنس أنه غول حقيقى " .

كنا نراقب وولف . أو على الأقل الرجل الذى نظن أنه وولف ـ وهو يغادر عيادة جراحات التجميل الموجودة فى الجانب الشرقى من مانهاتن ، كنا قد وصلنا لتونا ، منذ أقل من دقيقة خلت كدنا أن نفقد أثره مجدداً .

" لا تقلق يا أليكس ، فأنا لا أستهين به . ولهذا يوجد ما يزيد على ستة رجال مستعدين للانقضاض عليه . ولو كنا قد وصلنا إلى هنا مبكراً ، لكنا قد أمسكنا بالوغد وهو لا يزال فى عيادة التجميل " .

أومأت برأسى وقلت : " على الأقل نحن هنا . لقد كانت المفاوضات صعبة فى إنجلترا . وكلارا لودج وأطفالها فى مكان آمن فى شمال أفريقيا الآن . لقد أدت دورها . "

" إذن يوجد تحت كتف وولف جهاز تتبع موضوع منذ مغادرته روسيا ، أليس كذلك ؟ أهذه هى القصة كلها ؟ " .

" نحن هنا ، أليس كذلك ، وطبقا لما قالته كلارا فقد كان مارتن لودج على علم بمكانه منذ البداية وهو ما أبقى لودج على قيد الحياة " .

" هل نحن مستعدون للانطلاق الآن ؟ للإمساك به ؟ " .

" أجل ، نحن مستعدون ، الإمساك بهذا الوغد بشدة . لا أطيق الانتظار لرؤية وجهه لحظة الإمساك به ."

تحدث ماهونى فى الميكروفون المتصل بسماعة الرأس قائلا : " اقتربوا منه الآن . وتذكروا ، أنه خطير للغاية ."

كم أنت محق فى هذا يا نيد .

الفصل ١١٧

تم توقيف السيارة الرانج روفر السوداء عند تقاطع الشارع الخامس مع الشارع التاسع والخمسين ، حيث أحاطت بها سيارتان سوداوان من الجانبين بينما توقفت ثالثة أمامها ، ومن الثلاث سيارات قفز عملاؤنا متجهين نحوه . لقد ظفرنا به !

بيد أنه بدأت الطلقات النارية تنطلق من السيارة الهامر البيضاء التى تسبق الرانج روفر . وانفتحت أبوابها ، وخرج منها ثلاثة رجال يطلقون رصاصات أسلحتهم الأتوماتيكية .

صاح ماهونى فى الميكروفون : " من أين أتى هؤلاء بحق الجحيم فليتخذ الجميع ساتراً ! "

خرجنا من السيارة مسرعين وهرعنا نحوهم . وأطلق نيد الرصاص وقتل أحد حراس وولف ، وقمت أنا بقتل الثانى بينما فتح الثالث علينا الرصاص .

فى نفس الوقت خرج وولف من سيارته الرانج روفر وانطلق جرياً فى تجاه الشارع الخامس ، وكان يجرى فى وسط الشارع ، بين السيارات . كانت حالة وجهه تجعله يبدو وكأنه قد أصيب بعيار نارى ، أو ربما أصيب وجهه فى حريق كان المشاة منبطحين على أرضية الرصيف تفادياً لطلقات الرصاص المتطاير من كل صوب ، وكان العديد منهم يصرخ بصورة هيستيرية ، إلى أى مدى يظن وولف أنه يستطيع الفرار بهيئته هذه ؟ من مدينة مزدحمة مثل نيويورك ، ربما يستطيع الفرار بعيدا !

ظهر العديد من الرجال المسلحين من مكان لا يعلمه إلا الله ، المزيد من حراسه . لقد استدعى مساعدة بكل تأكيد ، هل قمنا نحن بإحضار ما يكفى من الرجال ؟

بعد ذلك اختفى وولف داخل أحد المتاجر الكائنة فى الشارع الخامس وتبعته أنا وماهونى فورا ، لم أعرف أى نوع من المتاجر هو . كان أحد المتاجر الراقية الجذابة الواقعة فى الشارع الخامس ، يا إلهى !

وهنا فعل وولف شيئاً لم يخطر على بالى ، على الرغم من أننى كنت أعتقد أنه لا شىء سيدهشنى بعد كل ما مررنا به ، حيث طوح ذراعه اليمنى ملقياً بشىء أسود اللون فى الهواء ناحيتنا ، وشاهدت هذا الشىء يتدحرج على الأرض .

صحت قائلاً : " إنها قنبلة يدوية ! فلينبطح الجميع أرضاً ، انبطحوا ! إنها قنبلة يدوية ! "

وهنا دوى انفجار هائل بالقرب من مقدمة المتجر محطماً بنافذتى عرض هائلتى الحجم وأصيب بعض الرواد من جراء الانفجار وتعالى الدخان أسود وكثيفاً . وكان كل من بالمتجر يصرخون بمن فيهم البائعون الواقفون خلف الموائد .

لكن وولف لم يغب عن أعيننا ، ولم أفقد تركيزى عليه مطلقاً . فمهما فعل ، ومهما كان الخطر محدقاً ، فلم أسمح له بالهرب هذه المرة فسوف

يكلفنا ذلك الكثير ، فها هو الرجل الذى أبقى العالم كله خائفاً حبيساً . كما قتل الآلاف بالفعل .

جرى ماهونى عبر أحد الممرات وانطلقت أنا عبر آخر وبدا أن وولف يحاول الاتجاه نحو أحد المخارج إلى شارع جانبى ، لم أعد أدرك أين كنا بالتحديد ، الشارع الخامس ؟ أم الشارع السادس والخمسين ؟

صاح نيد مخاطباً إياى : " إنه لم يخرج بعد ! "

" هذا صحيح "

كنا نقترب منه ، وكان بمقدورى الآن رؤية وجه وولف ، محاطا بكل هذه الضمادات ، منتفخاً متورماً ، وبدا لى أشرس مما كنت أتوقع . والأسوأ من هذا أنه بدا يائساً ، وقادراً على فعل أى شىء . لكننا كنا نعلم هذا بالفعل ، صاح قائلا : " سأقتل كل من فى المتجر ! " .

لم أرد أنا ولا ماهونى عليه ، فقط واصلنا الاقتراب لكننا لم نشك لحظة فى أنه قد ينفذ تهديده .

وهنا أمسك بفتاة شقراء صغيرة منتزعاً إياها من مربيتها وقال : " سأقتلها ، سأقتل الفتاة الصغيرة ، ستموت ! سأقتل الفتاة ! " .

بيد أننا واصلنا الاقتراب .

رفع الفتاة الصغيرة وضمها إلى صدره ، وكانت الدماء المتساقطة من وجهه تتساقط عليها . وكانت الفتاة تصرخ وتحاول الإفلات من بين ذراعيه .

سأقتل ..... .

أطلقت أنا ونيد الرصاص فى نفس اللحظة تقريبا ـ طلقتان ، وتراجع وولف بعنف إلى الوراء ، مطلقا سراح الفتاة ، والتى وقعت على الأرض ثم نهضت وزحفت نحو الأمان .

وكذلك فعل وولف ، حيث اتجه نحو أقرب باب جانبى وخرج إلى الشارع .

إنه يرتدى سترة واقية من الرصاص . بكل تأكيد .

قلت لـ " نيد " : " سنطلق الرصاص على رأسه إذن " .

الفصل ١١٨

واصلنا مطاردته فى الاتجاه الشرقى للشارع الخامس ، يصحبنا اثنان من العملاء واثنان من الدورية المترجلة لشرطة نيويورك . وحتى ما إذا كان أى من حراس وولف قد نجوا من إطلاق الرصاص الذى وقع فى الشارع الخامس ، فبكل تأكيد قد فقدوا أثره الآن بعد ما حدث فى المتجر . فلم يكن أى منهم موجوداً بالمنطقة .

ومع هذا ، بدا وكأن وولف يعلم وجهته تحديداً .

هل هذا ممكن ؟ كيف يمكن أن يكون قد خطط لموقف مثل هذا ؟ على الأغلب لم يفعل ـ وسوف نظفر به الآن ، أليس كذلك ؟

لم أستطع إقناع نفسى بالعكس وإن كل هذا الجهد سيضيع هباء .

كان فى مجال نظرنا ، حيث كان أمامنا مباشرة ، وفجأة انحرف داخلاً أحد المبانى . كان المبنى من الطوب الأحمر ويبلغ ارتفاعه ما بين ثمانية إلى عشرة طوابق . هل يعرف وولف أحداً بالداخل ؟ المزيد من رجاله ؟ هل هى مصيدة ؟ ماذا يوجد بالضبط ؟

كان هناك أحد رجال أمن المبنى ملقى على الأرض وهو ينزف على الأرضية الرخامية الملساء .

كانت كل المصاعد مشغولة ، وكانت الأضواء الحمراء تشير إلى أرقام الأدوار ، الثامن ، الرابع ، الثالث ، وكلها صاعدة .

قال ماهونى : " لن يخرج من هنا حياً ، لا نقاش فى هذا . "

" لا يمكنك معرفة هذا يقينا يا نيد "

" لا يستطيع ذلك اللعين الطيران ، أليس كذلك ؟ "

" كلا ، لكن من الذى يجزم بما قد يفعله . لقد أتى إلى هنا لغرض محدد . "

كلف ماهونى بعض العملاء بالمكوث وانتظار هبوط كل المصاعد ثم القيام بتفتيش كافة الطوابق بالترتيب من أسفلها إلى أعلاها . وكانت هناك قوات مساندة ودعم قادمة من قسم شرطة نيويورك . وسرعان ما سيكون هنا العشرات من رجال الشرطة . ثم المئات . إن وولف فى المبنى الآن .

صعدت أنا وماهونى درجات السلم بسرعة .

" إلى أين سنصعد بالتحديد ؟ إلى أى مدى ؟ "

" إلى السطح . إنه طريق الخروج الوحيد من هنا . "

" أنت فعلا تظن أن لديه خطة ؟ كيف ذلك يا أليكس ؟ "

هززت رأسى فى حيرة ، فلم تكن هناك وسيلة لمعرفة ذلك . لقد كان ينزف بشدة ، وبالتأكيد بدأ الضعف يتسرب إلى أوصاله ، بل ربما كان يهذى . وربما تكون لديه خطة . اللعنة ، دائماً ما كان لديه خطة فى السابق .

وهكذا صعدنا ، متجهين نحو السطح . وكان الطابق الأخير هو الطابق التاسع ، ولم نر أثراً لـ " وولف " ونحن ننظر من بئر السلم . وفتشنا المكاتب سريعاً ، لكن لم يره أحد ـ فبكل تأكيد كانوا سيتذكرونه لو أنهم رأوه .

قال لنا أحد العاملين فى مكتب محاماة : " بالخلف ، هناك سلم يؤدى إلى السطح . "

صعدنا أنا ونيد ماهونى درجات السلم ثم خرجنا إلى السطح فى ضوء النهار الساطع ، لكننا لم نر وولف . وكانت هناك إحدى الغرف المبنية فوق السطح وكانت تبدو وكأنها قبعة صغيرة فوق المبنى . هل هى خزان للمياه ؟ أم غرفة إشراف ؟

حاولنا فتح الباب ، لكنه كان مغلقا .

قال نيد : " لابد أنه هنا فى مكان ما ، إلا إذا كان قد قفز . "

وهنا رأيناه وهو يدور حول الغرفة الصغيرة وقال لنا : " أنا لم أقفز يا سيد ماهونى . وأعتقد أننى حذرتك من العمل فى هذه القضية . وأعتقد أن كلامى كان واضحاً . ألقوا أسلحتكم الآن . "

تقدمت منه وقلت : " لقد أحضرته أنا إلى هنا . "

" بالطبع فأنت د . كروس المثابر العنيد الذى لا يهزم قط ، لهذا تكون كل تصرفاتك متوقعة ومفيدة لى " .

وفجأة ظهر أحد رجال شرطة نيويورك من الباب المخصص إلى السطح والذى أتينا منه . وعندما رأى وولف أطلق الرصاص .

وبالفعل أصاب وولف فى صدره ، لكن هذا لم يوقفه ، حيث كان يرتدى سترة واقية من الرصاص ، بكل تأكيد . وقد زمجر الرجل الروسى كالدب الغاضب واندفع نحو الشرطى ، رافعا كلتا يديه فوق رأسه .

ثم أمسك بالشرطى بغتة ورفعه من على الأرض . ولم يكن فى وسعى أو فى وسع نيد أن نفعل شيئاً . وبعد ذلك ألقى الشرطى المسكين من فوق السطح .

ثم بدأ وولف الجرى تجاه الطرف الآخر من السطح ، وبدا وكأنه قد جُن حقاً . ماذا سيفعل ؟ وفجأة عرفت ما ينوى فعله . لقد كان المبنى المجاور من جهة الجنوب قريباً بما يكفى كى يقفز إليه . وبعد ذلك شاهدت مروحية تقترب من جهة الغرب . هل هى تابعة له ؟ هل هذه

هى خطته فى الهرب ؟ يا إلهى ، لا تدع هذا يحدث . جريت وراءه ، وكذلك فعل ماهونى وصحت قائلا : " توقف ! توقف مكانك ! " .

كان يجرى بصورة متعرجة مبتعداً عنا . وعلى الرغم من أننا أطلقنا عليه الرصاص ، إلا أننا لم نصبه بطلقاتنا .

بعد ذلك قفز وولف وطار فى الهواء ، ملوحاً بذراعيه وبدا وكأنه سيصل فعلاً إلى سطح المبنى المجاور بكل سهولة .

صاح نيد : " أيها الوغد ! كلا ! "

توقفت عن الجرى وأحكمت تصويب مسدسى ثم ضغطت الزناد أربع مرات .

الفصل ١١٩

واصل وولف تحريك قدميه وبدا وكأنه يجرى فى الهواء ، لكنه بدأ فى السقوط . وصلت ذراعاه إلى حافة المبنى الآخر ، ولامست أصابعه السطح .

جريت أنا وماهونى إلى حافة سطح مبنانا . هل من الممكن أن ينجو وولف من هذا الموقف ؟ كان معتاداً على الخروج من المواقف الصعبة بصورة أو بأخرى ما عدا هذه المرة ـ كنت موقناً من أننى أصبته فى حلقه . لابد أنه يغرق فى دمائه الآن .

صاح نيد فيه قائلا : " اسقط أيها اللعين " .

قلت له : " لن يستطيع النجاة " .

وبالفعل كان ما قلته صحيحاً ، فلقد سقط الرجل الروسى دون أن يستطيع أن يقاوم ذلك . وسقط دون أن يصدر صوتاً ، ولا حتى صرخة واحدة . لم يصدر منه أى صوت على الإطلاق .

صاح ماهونى به وهو يسقط : " حسنا يا وولف ، حسنا أيها الرجل الذئب ! اذهب إلى الجحيم ! "

بدت السقطة وكأنه تم تصويرها بالتصوير البطىء ، وسرعان ما ارتطم بأرضية الشارع الضيق الواقع بين المبنيين . ونظرت إلى جسد وولف المسجى ووجهه المغطى بالضمادات وشعرت بالرضا لأول مرة منذ وقت بعيد . كم شعرت بالرضا والسعادة . لقد ظفرنا به ، وهو يستحق بكل تأكيد ميتة كهذه ، ملقى على الأرض مثل الحشرة المسحوقة .

ثم بدأ نيد يصفق بيديه ويتقافز فرحاً كما لو كان قد جن . لم أشاركه ما يفعل ، لكنى كنت مدركاً لشعوره . لقد استحق هذا الرجل ما حدث له ، حيث كان ملقى جثة هامدة فى الشارع الضيق .

قلت له أخيراً : " إنه حتى لم يصرخ ، لم يرد حتى أن يسعدنا بهذا ! . "

هز ماهونى كتفيه العريضتين وقال : " لا أبالى أنا بما كان قد فعل أم لا ها نحن هنا بالأعلى ، وهو ملقى بالأسفل وسط القمامة ، ربما تحققت العدالة أخيراً . حسناً ، ربما لا . " ثم ضحك وهو يضع يده حول كتفى ويضغط عليها .

قلت له : " لقد ربحنا ، اللعنة ، لقد ربحنا أخيراً يا نيد " .

الفصل ١٢٠

لقد ربحنا .

فى صبيحة اليوم التالى توجهت صوب كوانتيكو على متن إحدى المروحيات بصحبة نيد ماهونى وبعض من أبرز عملائه المعاونين ، واحتفل الجميع بنهاية ولف فى مقر وحدة إنقاذ الرهائن فى كوانتيكو ، ومع ذلك كنت أشعر بالرغبة الشديدة فى العودة إلى منزلى . وبالفعل أخبرت جدتى بألا تدع الأطفال يذهبون للمدرسة اليوم لأننا ننوى الاحتفال .

فقد ربحنا !

حاولت التخلص من الضغط العصبى الذى كان يثقل كاهلى خلال رحلة السيارة من كوانتيكو إلى واشنطن وعندما اقتربت من المنزل ، وتراءى أمام ناظرى بدأت أشعر بصورة طبيعية ، حيث شعرت بأننى عدت إلى طبيعتى المألوفة ، أو ما يقاربها . لم يخرج أحد إلى الشرفة الأمامية بعد . بكل تأكيد لم تر جدتى ولا الأولاد السيارة وهى تقترب وقررت أن أفاجئهم .

لقد ربحنا !

لم يكن الباب موصداً ، فدلفت للداخل . كانت بضعة مصابيح مضاءة بالداخل ، لكن لم يكن بمقدورى رؤية أحد بعد . **ربما يريدون هم مفاجأتى ؟**

اتجهت صوب المطبخ ملتزماً الصمت . وهناك كانت الأنوار مضاءة . وكانت الأطباق وأدوات المائدة جاهزة لوجبة الغذاء لكن لم يكن هناك أحد .

راودنى إحساس غريب ، كأن هناك شيئاً فى غير موضعه . اقتربت منى القطة روزى وتمسحت فى قدمى .

فى النهاية صحت قائلا : " لقد عدت للمنزل . لقد عاد والدكم . أين أنتم ؟ لقد عدت من الحرب . "

أسرعت بالصعود للطابق العلوى لكنى لم أجد أحداً به وتفحصت المكان بحثاً عن رسائل ربما يكونون قد تركوها لى فلم أجد .

هرعت للطابق السفلى لأفحص المكان ثانية ثم فتحت باب المنزل ونظرت خارجه فى الشارع الخامس ، لكن لم يكن هناك مخلوق واحد أمامى ، أين الجدة والطفلان ؟ لقد كانوا يعلمون بأننى آت .

عدت إلى داخل المنزل وأجريت بعض المكالمات الهاتفية للأماكن التى يحتمل ذهاب الجدة والطفلين لها ، لكن كان من عادة جدتى أن تترك لى رسالة كلما خرجت مع الطفلين ، حتى ولو كان هذا لمدة ساعة أو نحوها ، بالإضافة لذلك فهم كانوا يتوقعون مجيئى .

شعرت فجأة بالغثيان ، وانتظرت لمدة نصف ساعة أخرى ثم قمت بالاتصال ببعض زملائي فى المباحث الفيدرالية ، بداية من تونى وودز نفسه فى مكتب المدير و بعدها تفقدت المنطقة المحيطة بالمنزل ثانية ، لكن لم أعثر على أثر لأى نوع من أنواع العنف .

بعد وصول فريق من الفنيين إلى المنزل اقترب منى أحدهم فى المطبخ وقال لى : " هناك آثار أقدام فى الفناء ، ربما تكون خاصة برجل .

وتوجد بعض الأتربة بداخل المنزل . قد يكون مجرد أحد عمال الإصلاح أو توصيل الطلبات للمنازل ، لكنها آثار حديثة بكل تأكيد . "

كان هذا كل ما وجدوه هذا اليوم ، لا توجد أدلة أخرى ، ولا حتى دليل واحد .

فى المساء جاء سامسون وبيلى إلى منزلى وجلسنا معا منتظرين ، ربما وصول مكالمة أو أى شئ يفسر لنا الأمر ، أو يعطينا بعض الأمل . لكن لم تأت أى مكالمة وغادر بيلى منزلى فى العاشرة مساءً بينما مكث معى سامسون لفترة أطول قبل أن يغادر فى الثانية صباحاً .

ظللت مستيقظاً طوال الليل ، لكن لم يحدث أى اتصال ولم يأت أى خبر عن الجدة أو الطفلين . قمت بالتحدث مع جاميلا على هاتفى الخلوى ، وساعدنى هذا كثيراً ، لكن ليس بدرجة كافية . لا يوجد ما يمكنه التخفيف عنى تلك الليلة .

وأخيراً وفى الصباح الباكر وقفت أمام الباب الأمامى للمنزل أحدق بأعين زائغة إلى الشارع . وأيقنت أن هذا هو أسوأ مخاوفى ، أن يكون وحيداً ، دون أحد بجانبه ، وأن يكون أكثر من يحبهم فى خطر محدق لقد خسرنا .

الفصل ١٢١

فى اليوم الخامس جاءتنى رسالة عبر البريد الإلكترونى ولم أستطع الانتظار لقراءتها . كنت أشعر بالغثيان بينما كانت عيناى تلتهمان الكلمات التهاماً .

بدأت القراءة ، أليكس .

مفاجأة يا صغيرى العزيز .

أنا لست ذلك الشخص القاسى عديم الرحمة الذى تظنه حقاً . إن القساة حقا ، وغير المتعقلين ، والذين يجب علينا أن نخشاهم حقاً ، هم من فى بلدك ، الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية . وسوف تساعدنى الأموال التى بحوزتى الآن على ردعهم . هل تصدق هذا ؟ يجدر بك هذا ، ولِمَ لا ؟ لِمَ لا ؟

أشكرك بشدة لكل ما قدمته من أجلى ، وأشكرك نيابة عن هانا ودانيلا وجوزيف . نحن مدينون لك بمعروف كبير ، وأنا أسدد دينى

دوما . وبالنسبة لى أنت (نكرة) ، مجرد نكرة . ستعود إليك عائلتك اليوم ، وهكذا سنكون متعادلين . لن ترانى مجددا ، ولا أريد أن أراك كذلك . وإذا حدث ورأيتك ، فسوف أقتلك . هذا وعد منى بذلك .

كلارا سيرنوهوسكا
وولف

الفصل ١٢٢

لم أستطع تقبل الأمر ، لم أفعل ولن أفعل . لقد انتهك وولف حرمة منزلى ، واختطف عائلتى ، حتى وإن أعادهم بعد ذلك سالمين . لا يمكن أن يحدث مثل هذا الأمر ثانية .

وعبر الأسابيع القليلة التالية قمت باستغلال علاقة التعاون الجديدة بين مكتب المباحث الفيدرالية ووكالة المخابرات ، حيث سافرت إلى مقر وكالة المخابرات فى لانجلى عشرات المرات وتحدثت مع الجميع بدءا من أصغر المحللين شأناً وصولاً إلى المدير الجديد جيمى داود . كنت أريد أن أعرف المزيد عن توماس وين وأحد عملاء المخابرات الروسية الذين ساعدهم للخروج من روسيا . كنت بحاجة لمعرفة كل شىء يعلمونه . هل هذا ممكن ؟ كنت أشك فى هذا ، لكن هذا لم يمنعنى من المحاولة قدر استطاعتى .

بعد ذلك وفى أحد الأيام تم استدعائى إلى مكتب المدير بيرنز . ولدى وصولى وجدت بيرنز جالساً بصحبة المدير الجديد لوكالة المخابرات

المركزية فى انتظارى فى غرفة الاجتماعات ، لقد حدث شىء جديد . قد يكون جيداً أو سيئاً للغاية .

قال بيرنز بصورة غير رسمية كعادته دوماً : " تفضل بالدخول يا أليكس . نحن بحاجة للحديث قليلاً . "

دخلت الحجرة وجلست قبالتهما وكان كلاهما يرتدى قميصاً دون سترة وهو ما أعطى الانطباع بأنهما خارجان لتوهما من جلسة عمل مطولة شاقة . بخصوص ماذا ؟ وولف ؟ هل هناك شىء آخر لا أود سماعه ؟

قال بيرنز : " إن المدير يرغب فى إخبارك ببعض الأشياء . "

قال داود : " بالفعل يا أليكس " ، وكان داود محامياً فى نيويورك وتم اختياره بصورة مفاجئة كمدير للمخابرات المركزية . وكان قد بدأ عمله فى قسم شرطة نيويورك ، ثم اتجه نحو مجال ممارسة المحاماة الخاص المربح لعدة أعوام . وطبقا لما تقوله الشائعات فهناك أشياء لا يعلمها أحدنا ، أو حتى يريد معرفتها بخصوص عمل داود فى مهنة المحاماة

قال لى داود : " إننى لا زلت أتحسس طريقى فى لانجلى ، وفى الواقع لقد ساعدنى هذا التحقيق كثيراً . حيث قضينا وقتاً وبذلنا جهداً كبيراً . فى محاولة معرفة كل ما يخص المدير وير . "

نظر داود إلى بيرنز وأضاف : " وفى المجمل كان كل ما وجدناه جيداً ، وكان ملف خدمته أكثر من ممتاز لكن هذا النوع من فتح الملفات القديمة لا يحبذه بعض المحاربين القدامى الموجودين فى فيرجينيا كثيرا . لكن بكل صراحة ، أنا لا آبه لما يعتقدونه .

كان قد تم تجنيد أحد العملاء فى روسيا ويدعى أنطون كريستياكوف ثم تم اخراجه من هناك فى عام ١٩٩٠ . كان هذا الرجل هو وولف . نحن متأكدون من هذا . وقد تم نقله إلى إنجلترا ، وهناك تقابل مع بعض العملاء ، ومنهم مارتن لودج . ثم تم نقله إلى أحد المنازل خارج واشنطن . ولم تكن هويته معروفة إلا لعدد قليل من الناس ، أغلبهم ميت الآن بمن فيهم توماس وير .

" وفى نهاية المطاف تم نقله إلى مدينة من اختياره . باريس . وهناك تقابل مع أسرته المكونة من والده ووالدته ، وزوجته وابنيه الصغيرين واللذين يبلغان من العمر تسعة واثنى عشر عاما . "

" لقد كانوا يعيشون على بعد شارعين من متحف اللوفر يا أليكس ، فى أحد الشوارع التى تم تدميرها منذ أسابيع قليلة ماضية . ولقد قتلت عائلته كلها هناك فى عام أربعة وتسعين لكن كريستياكوف لم يمت . ونحن نعتقد أنه تم تدبير هذا الهجوم من قبل الحكومة الروسية ، لكننا غير واثقين من هذا الأمر . لكن من المؤكد أن أحدهم قد قام بتسريب معلومات عن مكان إقامته إلى شخص أو أشخاص كانوا يبغون قتله . ولقد حدث الهجوم على الجسر الذى يعبر نهر السين والذى تم تدميره بعد ذلك .

قال بيرنز : " ولقد حمل وولف مسئولية هذا الهجوم على توماس وير والمخابرات الأمريكية ، كما حمل كل الحكومات المتورطة بالأمر المسئولية . "

" وربما فقد صوابه بعد ذلك ، من يعلم . ولقد انضم إلى المافيا الروسية وارتقى فيها بسرعة ، هنا فى الولايات المتحدة ، ربما فى نيويورك . "

توقف بيرنز عن الحديث ، ولم يضف داود شيئاً . واكتفى كلاهما بالنظر إلىّ .

" إذن فهى ليست كلارا . ما الذى نعرفه خلاف ذلك عن كريستياكوف ؟ "

رفع داود يديه فارداً راحتيه وقال : هناك بعض معلومات عن هذا الأمر ، لكنها نادرة للغاية . كان معروفاً لبعض من قادة المافيا ، لكن يبدو أن جميعهم ميتون الآن أيضا . ربما يكون زعيم المافيا الروسية فى بروكلين على علم ببعض المعلومات عنه . وهناك خيط آخر نتتبعه فى باريس ، كما أننا نعمل على بعض المحاور فى موسكو . "

هززت رأسى وقلت : لا يهمنى كم يستغرق الأمر ، فأنا أريده ، فقط أخبرنى بكل ما لدينا من معلومات .

قال بيرنز : " لقد كان قريباً للغاية من ولديه ، وربما كان هذا هو السبب الذى دفعه للعفو عن عائلتك يا أليكس وعن عائلتى أيضاً . "

" لقد عفا عن عائلتى حيث أراد أن يثبت لى مدى قوته ، ومدى تفوقه علينا .

قال داود : كما أنه يضغط كرة مطاطية فى يده دوما ، كرة مطاطية سوداء .

لم أركز فيما قال ، فقلت له : أنا آسف ، ماذا قلت ؟

" لقد أعطاه أحد أبنائه كرة مطاطية سوداء قبل مقتله ، كهدية عيد ميلاد ، وتفيد إحدى المعلومات لدينا أن كريستياكوف يعتصر تلك الكرة فى راحته كلما انتابه الغضب . كما يقال أيضا أنه يفضل اللحى . وطبقا للشائعات فإنه غير متزوج الآن ، على أى حال ، كلها مجرد معلومات متناثرة يا أليكس . هذا هو كل ما لدينا ، أنا آسف . "

شعرت بالأسف أنا أيضا ، لكن هذا لا يهم . فسوف أظفر به لا محالة .

إنه يعتصر كرة مطاطية .

ويفضل إطلاق لحيته .

كما أن عائلته تعرضت للقتل .

الفصل ١٢٣

بعد ستة أسابيع سافرت إلى نيويورك ، وهى رحلتى الخامسة خارج المدينة على التوالى . كان توليا بايكوف واحداً من أكبر زعماء ، أو هو بالفعل أكبر زعماء المافيا الحمراء الروسية فى نيويورك . تحديداً فى منطقة برايتون بيتش ، ظل زعيماً لها للسنوات الخمس الماضية . ولقد كان أحد أكبر رجال المافيا فى موسكو وكان أقوى الزعماء الذين قدموا إلى الولايات المتحدة . وكنت فى طريقى لمقابلته .

وفى يوم مشمس ، دافئ على غير العادة توجهت أنا ونيد ماهونى إلى ميل نيك على شاطئ جولد كوست الموجود فى لونج إيلاند وتخترقها طرقات ضيقة ، دون أى أرصفة .

وصلنا إلى منزل بايكوف مصحوبين بأكثر من عشرة عملاء متخفين . وكان لدينا إذن توقيف . وكان الحراس الشخصيون الخاصون به موجودين فى كل مكان ، وتساءلت فى داخلى كيف يمكن

لـ " توليا بايكوف " أن يعيش هكذا ، ربما كان مضطراً لهذا حتى يبقى على قيد الحياة .

كان المنزل نفسه ضخماً للغاية ، وكان مكوناً من ثلاثة طوابق ، وكان يطل على مناظر رائعة للمياه الممتدة حتى كونيتيكيت . كما كان هناك حمام سباحة كبير الحجم به شلال للمياه ، ومرآب ومرسى للسفن ، أهذه ثمار المال الحرام ؟

كان بايكوف جالساً فى انتظارنا فى منزله للحديث معنا . ولقد شعرت بالدهشة للكبر والإرهاق الباديين عليه . كانت عيناه صغيرتين تبدوان كالخرزتين الغائرتين فى وجهه السمين . وكان فائق البدانة بصورة تثير الاشمئزاز ويصل وزنه لما يقارب الثلاثمائة رطل . كانت أنفاسه متقطعة وكان يسعل بشدة .

وكان قد قيل لى إنه لا يتحدث الإنجليزية .

قلت له بعد أن جلست قبالته إلى المائدة الخشبية : " أريد أن أعرف معلومات عن ذلك المدعو وولف " . وقام أحد عملائنا من مكتبنا فى نيويورك بترجمة الحوار ، وكان شاباً أمريكياً من أصول روسية .

حك توليا بايكوف مؤخرة عنقه ثم هز رأسه للأمام والخلف ثم تمتم ببعض العبارات باللغة الروسية من بين فكيه المغلقين .

استمع المترجم لما قال ثم نظر إلىّ وقال : " إنه يقول إنك تضيع وقته سدى ، ووقتك كذلك . لِمَ لا ترحل الآن ؟ فهو لا يعرف أى وولف تعنى " .

" إننا لن نرحل ، سيظل رجال المباحث الفيدرالية والمخابرات المركزية هنا حول السيد بايكوف ومراقبين لكل أعماله حتى نجد وولف " .

أخبره بهذا .

تحدث العميل بالروسية فضحك بايكوف فى وجهه . ثم قال شيئاً ، وتضمنت الجملة كلمة كريس روك .

" إنه يقول إنك تتمتع بروح الدعابة ، أكثر حتى من كريس روك ، فهو يحب كريس روك السياسى الكوميدى " .

وقفت وأومأت برأسى محيياً بايكوف ثم غادرت الحجرة . لم أكن أتوقع الكثير من أول مقابلة ، فقد كانت مجرد مقدمة . فقد كانت هذه هى القضية الوحيدة التى أعمل بها حالياً . ولقد تعلمت أن أكون صبوراً ، صبوراً للغاية .

الفصل ١٢٤

بعدها بدقائق كنت أسير مغادراً المنزل الكبير بجوار نيد ماهونى . وكنا نضحك بخصوص تلك المقابلة الأولى ، وماذا فى هذا ، فلنضحك على أى حال .

وهنا لمحت شيئاً بطرف عينى ، وعاودت النظر لأتأكد ، ورأيته ثانية .

" يا إلهى ، انظر يا نيد " .

" ماذا ؟ " قالها وهو يتلفت برأسه ، لكنه لم ير ما رأيته .

وهنا بدأت العدو بأقصى طاقتى على قدمين مهزوزتين .

صاح نيد من خلفى : " ما الأمر يا أليكس ؟ أليكس ؟ "

قلت له : " إنه هو ! " .

وكانت عيناى مثبتتين على أحد الحراس الواقفين فى المكان . وكان مرتديا سترة سوداء وقميصاً داكناً بدون معطف . وكان واقفاً بالقرب من إحدى الأشجار ناظراً إلينا . واتجهت عيناى نحو يده .

وفى يده ، كانت هناك كرة سوداء ، قديمة وكان يعتصرها ، وعرفت لتوى أنها بكل تأكيد تلك الكرة المطاطية التى حصل عليها وولف من ولده قبل مقتله . وكان الرجل المسك بالكرة ملتحياً ، وتلاقت عيناه مع عينى .

ثم بدأ يجرى .

صحت فى نيد قائلا : " إنه هو . إنه وولف ! " .

جريت عابراً الحشائش القصيرة ، بسرعة لم أعهدها فى نفسى منذ فترة . وكنت واثقاً بأن نيد خلفى .

بعد ذلك شاهدت الرجل الروسى وهو يقفز فى سيارة حمراء ذات غطاء مكشوف فى تشغيلها . وقلت فى نفسى : **كلا ، يا الهى ، كلا** .

لكن قبل أن يتمكن من التحرك بها قفزت صوب المقعد الأمامى ووجهت إلى أنفه لكمة قوية . واندفعت الدماء مغطية سترته وقميصه الداكنين . وعلمت أنى قد كسرت أنفه . ثم وجهت له لكمة ثانية ، فى الفك هذه المرة .

بعد ذلك فتحت الباب المجاور للسائق ، ونظر إلى وكانت عيناه تشعان بذكاء بارد ، لم أر مثله من قبل قط ، بنظرات لا حياة فيهما ، **غير آدميتين** . كان هذا هو الوصف الذى أطلقه عليه الرئيس الفرنسى .

هل هو توليا بايكوف الحقيقى ؟ لم يكن ذلك مهماً لى ، لقد كان هو وولف ، وكنت أستطيع أن أرى فى عينيه الثقة والعجرفة ، وأهم شىء الكراهية التى يكنها لى ولكل شخص آخر .

قال لى : " الكرة ، لقد علمت بأمرى عن طريق الكرة . لقد أعطاها لى ابنى . أهنئك ."

ثم ابتسم بفتور وعض شيئا موضوعاً داخل فمه بقوة . وكنت أعلم ما حدث . وحاولت يائساً إجباره على فتح فمه . لكن فكاه كانا منطبقين بكل قوة ، وفجأة اتسعت عينا الرجل الروسى بصورة كبيرة يملأهما الألم . سم . لقد تناول كبسولة من السم .

www.rewity.com
dodyadodo

بعدها انفتح فمه وصدر عنه صوت متحشرج . وسال من بين شفتيه اللعاب والزبد إلى ذقنه . وصدرت عنه حشرجة أخرى وبدأ جسده يتشنج . لم أكن أستطيع الإمساك به أكثر من هذا . لهذا وقفت وابتعدت عن جسده المنتفض .

بدأ بعدها فى الحشرجة وحاولت الإمساك بحلقه . واستمر بالتشنج والاحتضار لعدة دقائق بشعة ، ولم يكن بيدى ما أفعله أو حتى ما أريد أن أفعله ، ما عدا مشاهدة ما يحدث .

وهنا حدث الأمر : لقد مات وولف فى المقعد الأمامى لسيارته الرياضية ذات الغطاء المتحرك ، واحدة من سيارته الغالية .

وبعد انتهاء الأمر ، انحنيت والتقطت الكرة المطاطية . ثم وضعتها فى جيبى . لقد كانت ما يطلق عليه القتلة الذين أمسكت بهم تذكاراً .

انتهى الأمر ، وكنت فى طريقى للمنزل ، أليس كذلك ؟ أمامى أشياء يجب التفكير بها ، وأشياء أخرى لأغيرها فى حياتى . وداهمتنى تلك الفكرة المؤرقة : **أنا أيضا أقوم بأخذ تذكارات** .

لكن كان هناك تفكير آخر هام : ديمون ، وجانى ، وأليكس الصغير ، وجدتى

منزلى

لقد مات وولف ، لقد رأيته يموت .

داومت على قول هذا لنفسى ، حتى صدقته فى النهاية .